

قيادة
معاصرون

سلسلة إصدارات

إبداع



الدكتور الشهيد

عبدالله يوسف عزام

شيخ الذي عرفت

تأليف

أ. محمود سعيد عزام



شيخ الذي عرفته

المجاهد الشهيد

عبدالله يوسف عزام

تأليف

أ. محمود سعيد عزام


1433هـ - 2012م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ

قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ {الأحزاب 23}

صدق الله العظيم



إن المبادئ أثمن من الحياة
وإن العقائد أغلى من الأجساد
وإن القيم أعظم من الأرواح⁽¹⁾

أيها المسلمون:
حياتكم الجهاد ...
وعزكم الجهاد ...
وجودكم مرتبط ارتباطاً مصيرياً بالجهاد...⁽²⁾

(1) الشهيد عبد الله عزام .

(2) الشهيد عبد الله عزام.

تحية للشيخ أحمد ياسين

تحية من فوق هذا المنبر..

لذاك الشيخ الأشل – أحمد ياسين –

الذي حرك جيلاً وهو لا يستطيع الحركة ..⁽¹⁾

ما رأيت قضية ...

تاجر بها التجار...

وربح فيها الفجار...

وظلم أصحابها الحقيقيون ...

مثل قضية فلسطين ...⁽¹⁾

(1) هذه العبارة كانت خلال كلمة ألقاها الشيخ عبد الله عزام في الجالية الفلسطينية في أمريكا عام 1988م بحضور ثلة من علماء العالم الإسلامي.



... إلى الذين حملوا الراية وما زالوا على الطريق يبلغون دين الله بالقول والعمل معاً.
... إلى الذين ترجموا أقوالهم أفعالاً وسلوكاً على الأرض، فكانوا منارات يُهتدى بهديهم
وقدوات ينهج نهجهم.
... إلى الذين علموا البشرية أن تغيير الواقع لا يمكن أن يكون من فوق
منابر الأقوال، وإنما يكون من وسط الركाम والمعامع والميدان والنزال.
... إلى الذين علمونا أن الحق لا يمكن أن يُعطى عطاءً وإنما ينتزع انتزاعاً من بين فكي
الموت.

... إلى المجاهدين في سبيل الله في فلسطين وفوق كل أرض وتحت كل سماء.
... إلى الشيوخ الشهيدين .
... إلى الشهداء الذين خطوا التاريخ بدمائهم وعبّدوا الطريق للأجيال بأجسادهم.
... إلى الأسرى والعلماء الذين علمونا العلم والأدب معاً.
... إلى الذين دفعوا مهر جهادهم لقيام دولة الإسلام الدماء والجماجم والأشلاء.
... إلى والدي ووالدتي وزوجتي وأولادي الذين تحملوا معي المعاناة وفراق الاعتقال ومشاق
الطريق وتكاليف الجهاد، خاصة وهم ينتقلون معي من مكان إلى مكان، في ظل تقاليد
وعادات بعيدة كل البعد عن عاداتهم وتقاليدهم وظروفهم الاجتماعية السائدة، فوق أرض
الأفغان وغيرها من البلدان... إلى أولئك جميعاً أهدي هذا الكتاب.

المؤلف

محمود سعيد عزام "أبو عادل"

سجن شطة قسم 7 غرفة 14

2008/6/12



تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه والتابعين...

إنه لشرف كبير أن أقدم لصفحة من سيرة شهيد وأي شهيد .. رجل بدأ رحلته مع المشروع الحضاري الخالد الذي بدأ منذ آدم عليه السلام والذي يتجدد في كل مرة تضل فيها الخطى وتتفرق السبل ..

الحديث عن الدكتور " عبد الله عزام " رجل حمل سلاح الكلمة الراشدة وتعمق وتخصص فيها فاستحق كل الاحترام، رجل حمل سلاح المقاومة حتى مع شركاء اتخذوها مغنماً في لحظات. صدق الرجل وتميز وبرز فاكسب مزيداً من الاحترام ثم ذهب الرجل شهيداً وأولاده في سبيل الله فنال في الدنيا أعلى درجات الحب والتقدير. وتحوط روحه الطاهرة في كل لحظة دعوات إلى الخالق الباري أن يرفع منزلته في الآخرة كما رفعها في الدنيا.. إنه لكرم أن اكتب حروفاً في مقدمة سيرة الشهيد الكبير وخاصة أن الكاتب هو شاهد عيان تربطه بالشهيد الدكتور " عبد الله عزام " صلة قرابة يتحدث فيها عن شهود ممن عايشوا الشهيد وتربوا معه بعد أن خرجوا من رحم مبارك واحد.. وأي كلمات بعد كلام الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام أصدق من كلمات عن الشهيد الكبير..

لقد قرأت الكتاب وشعرت بما أراده الكاتب أن يحدث.. نحن أمام تاريخ عريض بعرض المقاومة الإسلامية ضد كل احتلال وظلم وطغيان، وبحجم الصلة بين الأرض والسماء التي جسدها هذا الشهيد الذي في سبيل الله قاوم في الأرض وقدم حياته.. وبحجم العلاقة



بين الدنيا والآخرة والتي تلخص هذا الوجود إما نعيماً أبدياً.. وعده الله لعباده الصالحين ..
وإما جحيماً والعياذ بالله للذين طغوا في البلاد..

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب علماً في الدنيا وجنة في الآخرة ورحم الله شهداء هذه الأمة
الأبرار وأسكنهم أعلى الجنات ورزقهم صحبة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ..
وأسأله تعالى ألا يحرمنا صحبته في الآخرة إنه ولي ذلك والقادر عليه..

الدكتور/ محمود الزهار

غزة . فلسطين



أما قبل

د. محمد إبراهيم المدهون

ينحني المجد أمام العمالقة، وتبقى أسماؤهم رايات خير وجهاد شامخة، تحرق وجوه الأعداء وتشيع الدفء والأنس في نفوس المستضعفين، يتراقص النور وينبعث الضياء من هذه النجوم الساطعة ... إنهم القدر الكوني لإعادة الروح إلى الجسد (عبد الله عزام) ... أهو مجرد أسم عابر ..!! بل هو جذر متأصل في أعماق التاريخ الفلسطيني .. وشجرة كريمة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء .. إنه نموذج فريد صنعت التاريخ، وعناوين ضخمة تضم آلافاً من الأبطال الذين عرفتهم ساحات الجهاد في فلسطين ...

نموذج صلب .. رمز الخير والجهاد، هو جزء من الرصيد التاريخي لشعبنا في التحدي الشامخ كي تبقى الأمة مرفوعة الهامة، لقن الظالمين درساً قاسية في ساحات التحدي في فلسطين .. إنه جزء من هذه الأرض .. منها كان نبتته، ومن أجلها كان عطاؤه واستشهاده ..

تلك الشمعة .. شعلة في ساحة الفداء المقدس من نبت فلسطين، وتحت راية الإسلام العظيم، فهو غصن شجرة جذرها يمتد إلى النبوة المطهرة، وهو حلقة في سلسلة كبيرة، وهو زلزال صرخ في وجه الظالمين المحتلين (لا) فكان البركان .. وهو دفع ثمناً دمه ودموعه وماله .. وهو قد أثبت أن الكف يمكن أن ينتصر على المخرز، وأن الصبر



الجميل والجهاد الطويل يملك التصدي لقوى الباطل الجامحة، وهو النماذج الأروع والقذوة الأمثل التي حفرت لشعبنا مكانته اللاتئة ومنزلته السامية .. يستحيل على الذاكرة أن تطمس النور الساطع من هذا النموذج الخالد، وأنوار الشهادة والشهداء تعبق ذكره وترفع أسمه.

من (جنين القسام) وتحديداً من قرية (سيلة الحارثية) إحدى قرى جبل النار، وهي قرية (الشهيد يوسف أبو درة) أحد قادة الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936م ولد (عبد الله عزام) في العام 1941 (علم الجهاد والمقاومة) الذي حاصر الجبن والخور وخلع الدنيا وامتشق البندقية، خاض غمار الحروب رافعاً راية الله عز وجل في كل مكان ...

وقد قيل أن لكل اسم من مسماه نصيباً، وهكذا كان (عزام) .. العزيمة والصدق .. خط للجيل طريقاً غُيب، وأنار للعلماء منارة مفقودة، وأقام الحجة على كل مسلم، وعلم الجمع أن شجرة الإسلام لا ترتوي إلا بالدم الطاهر الزكي، فقد كان درس استشهاده في 1989/11/24م، وحديث دمه أبلغ ما ترك للجيل .

عزام ظاهرة فريدة، فهو العالم والمربي والمجاهد، إنه مدرسة قرآنية، وهو الترجمة العملية لمدرسة الإخوان. لم يكن يخش في الله لومة لائم، فاعتلى صهوة الجهاد، ترك حياة الترف، وانتقل إلى (قواعد الشيوخ) في الأردن والتي شنت هجمات عسكرية عدة على قوات الاحتلال الغاصب، حيث كان أميراً لقاعدة بيت المقدس، وخاض عدة عمليات ومعارك ضد جيش الاحتلال، فكانت (معركة الحزام الأخضر)، و(معركة 5 حزيران 1970)، وكان عبد الله عزام قائد الوحدة المنفذة، وقد استشهد فيها ثلاثة من الإخوان، ثم عملية (سيد قطب) .



ولمّا أغلقت أبواب الجهاد في فلسطين، وكان (د. عبد الله عزام) أستاذاً في الجامعة الأردنية انتقل للعمل في (الجامعة الإسلامية) في باكستان، وهناك عاود رحلة الجهاد عبر جبال أفغانستان، ولم يكن ذلك يشغله عن (فلسطين)، بل كان يرى أن إقامة دولة إسلامية حجر الأساس لتحرير (فلسطين)، فكان يقول لن يهدأ لنا بال، ولن يقر لنا قرار حتى نعود للجهاد في فلسطين . بل أنه أجرى اتصالات وساهم في إعادة تشكيل تنظيم المجاهدين، وتأسيس (حركة المقاومة الإسلامية - حماس)، وكتب كتابه (حماس الجذور التاريخية والميثاق)، وربما ذلك مما ساهم في اتخاذ قرار اغتياله على مستوى عالمي، حيث فُجرت سيارته وهو ينتقل مع ولديه (محمد وإبراهيم) لصلاة الجمعة، واستشهد الثلاثة، حيث ارتقى الجبل الشامخ بعد أن أفلحت قوى المكر والظلام في اغتياله بعد فشل محاولتين سابقتين (قد نال ما أراد) .

فقد كانت الشهادة أسمى أمانيه، وقد أكرمه الله بحفظ جسده رغم استخدام 20 كجم (تي. إن. تي)، وقد قذفه الانفجار بعد مترين، ووجد في استشهاده ساجداً، وظن أول من قدم للمكان أنه حي ويسجد شكراً لله، كما انبعثت منه (رائحة المسك) عبقّت المكان، وانبعثت من أبنائه (رائحة الحناء) .

في الليلة الظلماء غابت الذروة السماء وافتقد البدر الذي رحل، وهو يبني بيت الشموخ والكبرياء، ولم يكتمل البناء بعد، وها هي حلة قشبية من الشهداء الذين نسجهم الشهيد (عبد الله عزام) بجهاده وعلمه وهو ينادي بأن (مقادير الرجال تبرز في ميدان النزال لا في منابر الأقوال)، ويهتف (أيها المسلمون حياتكم بالجهاد، وعزكم بالجهاد ووجودكم مرتبط ارتباطاً مصيرياً بالجهاد، يا أيها الدعاة لا قيمة لكم تحت الشمس إلا إذا امتشقتم أسلحتكم يا دعاة



الإسلام احرصوا على الموت توهب لكم الحياة، ولا تغرنكم الأمانى، ويا علماء المسلمين تقدموا لقيادة الجيل الراجع إلى ربه، ولا تركزوا إلى الدنيا، وإياكم وموائد الطواغيت، فقد ضاعت بلاد المسلمين بقعة بقعة وتسلبت على رقابنا الطغاة، وانتشر في أرضنا البغاة ونحن ننتظر .. فهل تتحركون لإنقاذ الأمة ... يا نساء المسلمين إياكن والترف فهو عدو الجهاد، ورببن أبناءكن على الخشونة والرجولة والبطولة والجهاد، ولتكن بيوتكن عربناً للأسود وليست مزرعة للدجاج الذي يسمن ليذبحه الطواغيت ... رببن أبناءكن على نغمت القذائف ودوي المدافع وأزيز الرصاص، وهدير الطائرات والدبابات، وإياكن وأنغام الناعمين وموسيقى المترفين).

وقد قال الشاعر في حقه :

عهد من الله، عبد الله، قمت له	عزماً تشق عليه دربك الوعرا
لله دربك عبد الله من رجل	ضرب مضى أجم الأهواء فانتصرا
شمرت من عزته لله صادقة	وخضت لجة من لم يعرف الحذرا

رجل الشهيد (عبد الله عزام) بعد أن أسس مدرسة الجهاد والمقاومة، وأصبح معلماً بارزاً وركناً عتيداً في قلعة الجهاد والاستشهاد .



وللتوثيق وصيانة التاريخ تقدم مؤسسة إبداع سيرة الشهيد عبد الله عزام في الكتاب الثالث من سلسلة تاريخ القادة المعاصرين، و يتميز الكتاب بإعادة ترتيب وصياغة المعلومات في ثوب جميل والمعلومات خطت بقلم الأخ الحبيب أ.محمود عزام ابن شقيقة الشهيد والذي رافقه في محطات تاريخية هامة من حياة الشهيد النموذج. كما يُنشر مع الكتاب أسطوانة تشمل الكتاب بنسخته الإلكترونية، والسيرة المصورة الكاملة للشهيد.

إذا كانت قرأت قصة الشهيد عزام فعد إليها ثانية فهي سلاح في مواجهة النوائب تدفع فيك العزم والهمة... أو ادفعه إلى من أحببت كي تقذف فيه الروح. وأنبأ الجميع أن الوزير عزام مدرسة عظيمة خالدة، وجدير أن يسطر تاريخها بمداد النور والنار ليبقى سجلاً تتوارثه الأجيال حتى يأذن الله بالنصر والتمكين.

والله تبارك وتعالى نسأل القبول والسداد والرشاد...

أخوكم

د. محمد إبراهيم المدهون



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد...

فإنه مما لا شك فيه أن التجربة التي عشتها بجانب الشيخ الشهيد عبد الله عزام كانت من أعظم التجارب التي خضتها في حياتي، فهي تجربة مميزة استقدت منها أيما استفادة... ومن هنا أقول، وبكل جرأة، إن الفترة الماضية التي قضيتها بجوار هذا النموذج هي الفترة الحقيقية التي أحسبها من حياتي وبدون تردد؛ إذ إن هذه التجربة صاغت شخصيتي صياغة حقيقية عكست أثر عالمية الإسلام في أعماقي بعد أن حطمت جميع القيود والحدود الإقليمية والبلدية والشللية في سلوكي ونفسي.

ولهذا، فقد وجدت أنه ليس كل من عاش حياة تحسب له من عمره .. وليس كل من عاش واقعاً في أي زمان أو أي مكان يحسب له من تاريخه الطويل. .. فقد يعيش الإنسان حياة فعلية في هذه الدنيا .. ولكنه قد يخرج منها دون أن يترك له أي بصمة إيجابية على واقعه.

.. وقد يعيش البعض سنوات طويلة من عمره .. لكنه لا يحقق شيئاً لمجتمعه أو حتى لنفسه. .. واليوم أجد نفسي ملزمة، من باب الوفاء، أن أكتب ولو شذرات عن نموذج من نماذج هذه الأمة .. خاصة بعد أن ترك أثراً بارزاً وبصمات واضحة على واقع الأجيال من بعده.. هذا النموذج الذي ودع الدنيا وهو زاهد فيها، لا يلقي لها بالاً، كان همه ومبتغاه ومطعمه ومطمحه الفردوس الأعلى، بعد أن كان يُضَمَّن دعاءه في كل مناسبة من المناسبات، وبعد كل صلاة من الصلوات: "اللهم أحيينا سعداء وأممتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ .. اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى".



.. كان عمره الزمني هو العقد الرابع، ولكن عمره الحقيقي، كما كان يقول: (إن عمري الحقيقي تسع سنوات، سبعة ونصف منها في أفغانستان، وسنة ونصف في فلسطين)، وهو العمر الجهادي الذي عاشه في فلسطين وأفغانستان بين فكي الموت.

هذا هو العمر الحقيقي الذي عاشه في الميدان بين رحي طاحونة الموت التي كانت تُطحن فيها جماجم البشر و عظامهم.

.. أكتب عن نموذج عشت معه جنباً إلى جنب سنوات عديدة، بليلها ونهارها، وصيفها و شتائها .. عشت معه في أوقات غضبه ورضاه، بين طبقات مجتمعه، شبيه وشبابه، بين أهله وعائلته.

ومن هنا كان حقاً عليّ، ووفاءً له، أن أقف عنده وقات، وفي محطات مختارة من حياته، لعلني أنقل للقارئ الكريم خلاصة مختصرة عن حياة عملاق من عمالقة الحركة الإسلامية المعاصرة الحافلة بكل نبضات الحياة، وبكل ما تعنيه الكلمة وما تتركه من بصمات إيجابية في حياة هذه الأمة، فضلاً عن الجيل الذي رياه من خلال حياته العامرة عبر الجامعات والمحاضرات العامة وميادين القتال والقتال.

ولكن، وإن كان من الصعوبة بمكان أن أتتبع كل البصمات التربوية التي تركها في الصحوة الإسلامية في العصر الحديث؛ فلا أقل أن أشير إلى الوازع الجهادي الذي فجره وبثه في روح الأمة وشبابها، بعد أن أماته الأعداء والمنافقون في نفوس الأجيال الماضية، وقد كان له القدح المعلى في أيقاظ الأمة واستنهاضها لمقاومة الاحتلال ومقارعة الاستعمار عبر الفتاوى بالقول والفعل وما صاحبها من تنقلات بين البلدان، يستنهضهم فيها للوقوف أمام كل محتل غاصب لأرض الإسلام والمسلمين.

وقد كان من أشهر هذه الفتاوى، فتوى ضمنها في طي كتابه المشهور (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) والذي اعتبر فيه أن فرض العين في الجهاد مقدم على كل فروض الأعيان الأخرى، وخلاصة الفتوى: (إذا اعتدي على شبر من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة، يخرج الولد دون إذن والده، وتخرج المرأة دون إذن



زوجها -ولكن بمحرم- ويخرج العبد دون إذن سيده) ومن هنا، جاء عنوان كتابه أهم فروض الأعيان، بمعنى أن (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أولاً ثم فريضة الجهاد ثانياً. هذا العنوان استقاه من فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية، التي تقول: (والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه) فالإيمان أولاً ثم الجهاد ثانياً. لم يعد الأعداء يحتملون مثل هذا النموذج من الناس يتحرك فوق الأرض بهذا الفكر العملي الذي يجمع بين الكلمة والسيف.. فلم يعتادوا على مثل هذا الطراز من العلماء منذ عقود من الزمان بعد أن عمل الاستعمار فترة طويلة على تغييب هذه الفريضة وتحييدها من حياة الأمة، وتطويعها وتطبيعها على مفهوم الاكتفاء بجهاد القلم واللسان، فكان من الطبيعي جداً العمل على تغييب هذا الإنسان عن الوجود ظناً منهم أنهم بقتله سيراتحون منه ومن فكره، ولم يعلموا أن من ورائه أسوداً سينتقمون له إن آجلاً أم عاجلاً، فضلاً عن أن الأسود الذي أخافهم في حياته إنما هو أسدٌ يخيفهم في مماته.

لا تأسفن على غدر الزمان فطالما
رقصت على جثث الأسود كلاب
في ظلها تعلو على أسيادها
تبقى الأسود أسوداً و الكلاب كلاب

هذا الرجل الذي ترك خلفه تراثاً فكرياً من العلم والفكر⁽¹⁾ لم يعد الأمر يرتبط بوجوده أو غيابه، فقد قال ما عنده من صدق الكلمة وما لزم من تطبيقها في واقع الأرض، وسيبقى فكره حياً بين الأحياء، ترتجف منه أوصال الأعداء ولسان الحال يقول: كم من أمة أحيائها أموات؟ وكم من أمة أمواتها أحياء؟ وشتان شتان ما بين هذه وتلك. .. وإن كان لا بد لنا من كلمة أخيرة فإننا نشير إلى بعض الأمور التي تميز هذا الكتاب عن غيره من الكتب التي تناولت حياة الشيخ:

(1) نشر بعد استشهاده مباشرة، حيث جُمع كل ما قاله وما كتبه في موسوعة مكونة من أربعة مجلدات بواقع 4000 صفحة.



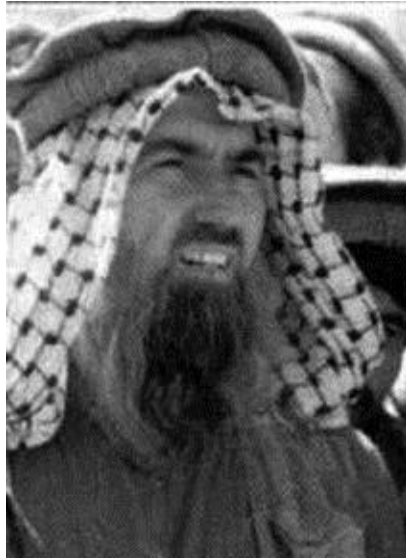
1. أن هذا الكتاب كُتب بطريقة مختصرة وبلغة بسيطة جداً يفهمها القارئ دون عناء مهما كانت ثقافته.
 2. قد يجد القارئ الكريم بين صفحات هذا الكتاب بعض المعلومات أو اللفقات التي تفتقر إليها الكتب الأخرى، التي نشرت عن حياة الشيخ، وذلك نظراً لقربي منه ومعاشتي له.
 3. نظراً لمتابعتي تراث الشيخ الفكري، وتدقيق ونشر ما كتبه وما قاله وما قيل فيه وما كتب عنه، فقد أكون واحداً من أكثر الناس إطلاعاً ومعرفة بحياة الشيخ وفكره ومنهجه.
 4. أن معظم ما نقلته في هذا الكتاب كان من خلال معاشتي ومخالطتي له وسماعي منه فماً لأذن، خاصة في الجلسات الخاصة والمخالطة اليومية، وبالتالي خلت حواشي هذا الكتاب من المراجع إلا من بعضها.
 5. أن تفاصيل ما كتبه الشيخ وما قاله أثبتُّه في نهاية هذا الكتاب بجميع تفاصيله ومراحله، باعتباري المسئول الأول عن جمعه ونشره عبر مركز الشهيد عزام الإعلامي في باكستان، وهذا لم يحظ به أي كتاب آخر.
 6. وأخيراً فقد كتبت هذا الكتاب وأنا أقضي اثني عشر عاماً في أعماق السجون دون تهمة أو لائحة اتهام، وقمت بتهديبه بعد الانعتاق من قبضة الاحتلال.
 7. وفي نهاية هذه المقدمة فإنني أدعو الجامعات ومراكز الدراسات والأبحاث وروابط الكتاب وغيرها للعمل على إخراج تجربة الشيخ وتراثه العلمي والفكري إلى حيز الوجود، ذلك للاستفادة منها وتقديمها للأجيال القادمة، لعلها تكون زاداً لها على الطريق إن شاء الله.
- هذا والله أعلم .. فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان.

المؤلف

محمود سعيد عزام (أبو عادل)

سجين شطة - قسم 7

2008/6/13



مشاهد من حياة
الشيخ المجاهد الشهيد
د. عبد الله عزام



أولاً: ما بين مولده وزواجه.

- ❖ مولده ونشأته.
- ❖ دراسته الجامعية.
- ❖ تربيته وانتسابه للحركة الإسلامية.
- ❖ مواقف مع أخته في صغره.
- ❖ مواقف مع والدته.
- ❖ موقف آخر مع والدته.
- ❖ موقف واحد فقط يدل على بساطة والدته.
- ❖ زواجه وأولاده.



مولده..نشأته

ولد ﷺ في فلسطين في قرية السيلة الحارثية لواء جنين عام 1941، ونشأ نشأة إسلامية في بيت محافظ، وعائلة محافظة على دينها في رعاية والدين بسيطين متدينين .. درس في مدارسها الابتدائية والإعدادية ثم تخرج من معهد "خضوري" الزراعي، وقد اطلعت على شهادته من الابتدائية إلى الإعدادية إلى الثانوية، فما وجدت فيها إلا الامتياز والجيد جداً.

دراسته الجامعية

انتسب الشيخ إلى جامعة دمشق وتخرج منها بشهادة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية بالمرتبة الأولى على دفعته عام 1966م .. وقد عمل مدرساً أثناء انتسابه في قرية "أدر" بمدينة الكرك الأردنية، انتقل بعد تخرجه إلى مدرسة برقين ليدرس فيها، وهي قرية تقع بالقرب من مدينة جنين.

تربيته وانتسابه للحركة الإسلامية

تربى على يد رجل من قريته اسمه الشيخ شفيق أسعد، وهو من مؤسسي نواة الحركة الإسلامية في مدينة جنين، إلا أن المنية عاجلت مربيه قبل أن يستوفي حقه من التربية التي أراد.. وقد وقف على قبر أستاذه ومربيه ليرثيه وهو في أوائل العقد الثاني من عمره في كلمة مرتجلة، لفتت انتباه الحاضرين طلاقة لسانه وجراته، مقارنة مع أبناء جيله وسنه.



التحق بالحركة الإسلامية وهو ابن الثانية عشرة من عمره، وعمل على تربية نفسه تربية إسلامية منذ صغره، وقد اهتم بصقل شخصيته بشكل جدي، حيث صدقت فيه فراسة الأستاذ عبد الرحمن خليفة المراقب العام للحركة الإسلامية في الأردن (أبو ماجد) عندما رآه يلقي كلمته الارتجالية وهو يرثي مربيه، إذ قال: إن لهذا الشاب الناشئ شأنًا عظيمًا في مستقبل حياته.

مواقف مع أخته في صغره

وهنا كان لا بد لي من أن أقف بعض المواقف من حياته أيام صغره وهو الولد المحبب والمدلل لدى والديه من بين أبنائهما، وهو بالمناسبة أصغر إخوانه وأخواته. تقول أخته الكبيرة عن أيام صغره⁽¹⁾: كان كتابه لا يفارق يديه، لا في ليل ولا في نهار، وكنت آتيه أحياناً في الليل وهو مستلقٍ على فراشه، بعد أن أعياه التعب لكثرة المطالعة وبجواره المصباح الصغير الذي يعمل على الكاز.. فكنت أحاول سحب الكتاب من بين يديه، حتى إذا ما شعر بذلك انتفض بقوةٍ ومسك الكتاب بيديه الالتئتين، فأقول له: يا أخي أخشى أن ينقلب عليك هذا السراج فيحرقك ويحرق فراشك، هكذا كان دأبه في الليل.

(1) هذا ما ترويهِ لنا أخته الكبيرة: -أم فايز- وهي بالمناسبة والدتي و ممن رعته في صغره لكثرة غياب والدته في أعمال الفلاحة في الأرض باعتبارها عادة من عادات أهل القرى كانت وما زالت منتشرة عند بعض الفلاحين (ينخرط فيها الجميع في خدمة الأرض).



أما في النهار فقد كنت أقول له: يا أخي، مالي لا أراك إلا والكتاب بين يديك.. اذهب والعب كما يلعب هؤلاء الأولاد، فكان يرد عليّ وهو يشير بيده إلى الكتاب: هذا هو الأكل، وهذا هو الشرب، وهذا هو اللعب!

ويبدو أن الشيخ لم يكن من أهل زمانه، ولا مثل أقرانه، فقد كانت أخته تؤكد على أنه آل على نفسه ألا يدخل الحرام فمه في يوم من الأيام.. فكان أحياناً يخرج إلى الجبل مع بعض أقرانه في الوقت الذي تكون فيه الطبيعة على أجمل صورها، ورائحة الأزهار تعبق في الآفاق، والأرض قد افترشت بالربيع الأخضر.. إنه منظر طبيعي أخاذ يأخذ الألباب.. كنت تجده يجلس بجوار مقر من الماء فيتوضأ منه ثم يتنفل فوق العشب الأخضر، وهو بساط تُسجَ بإرادة ربانية، بينما نجد بعض أقرانه قد سخروا أنفسهم لسرقة اللوز الأخضر من أراضي الجوار، فيأتون للشيخ ليضعوه بين يديه ويقولون له: لماذا لا تأكل معنا يا عبد الله؟ فيرد عليهم: أنا لا أكل الحرام!.

هكذا تربي شيخنا في صغره.. وهكذا روت لنا من ربه على يديها طرفاً من تربيته أيام طفولته.

وعلى هذا المنوال نهج الشيخ نهجه في كبره، يوم أن كان مجاهداً على حدود فلسطين وأغوار الأردن إبان وجودهم في قواعد الشيوخ، حيث الثمار الدانية أيام الصيف لأصحاب القرى المجاورة المحيطة بهم، والمجاهدون يعيشون على شطف العيش، والنفس تهفو لحبة فاكهة إلا أن الأيادي قصرت أن تمتد على ثمرة واحدة، رغم ما هم فيه من ضيق.



بهذا المنطق كان يوجه أوامره لأبناء قاعدة بيت المقدس التي كان مسئولاً عنها بأن اليد التي تمتد على هذه الثمار آثمة إلا بإذن أصحابها.

مواقف مع والدته

لا شك أنه كان باراً بوالديه، يصلهم بما يُرضي الله تعالى، مما كان له الدور الكبير في توفير الله تعالى له في حياته، بل انعكس هذا الأمر على نفسية والديه فتعلقوا به دون غيره من أبنائهم الآخرين ليرافقوه في حله وترحاله، فرافقوه إلى الأردن إبان تدريسه في الجامعة الأردنية، فكانوا يمكثون عنده أشهراً عديدة، ثم يرجعون إلى القرية أشهراً أخرى، وكأنها رحلة الشتاء والصيف، نظراً لأن جو الأردن يعتريه البرد الشديد، بينما نجد أن جو مناطقنا أكثر دفئاً من غيرها.

لم يكن الشيخ يتمكن من القدوم إلى فلسطين منذ أن غادرها أواخر الستينيات، وبقي الأمر هكذا حتى انتقل إلى السعودية ثم إلى باكستان فلقوا به إلى هناك، وبقوا معه حتى مرضت والدته مرضاً شديداً وعانت عناءً قاسياً لزمّت على إثره سرير المستشفى، بعد أن تجاوزت التسعين من عمرها.. ورغم مشاغل الشيخ الكثيرة، والتزاماته المتعددة، إلا أن معظم وقته كان يقضيه بجوار سرير مرضها.

لم يطل الوضع وهي على هذه الحال حتى اتصل بي ابن الشيخ الأكبر محمد ذات يوم وأخبرني بأن (الختيارة) قد وافتها المنية، فتقدمت نحو الشيخ بعد انقضاء صلاة العصر وجلست عن يمينه وهو يسبح ويهلل فهمست في أذنه بخبر وفاة والدته، وهكذا نقلت له



الخبر وانتظرت قليلاً أنفرس في وجه الشيخ أرصد فيه ردة فعله، إلا أنني وجدته صلب المراس.. لم أر عليه فزعاً ولا جزعاً ولا صراخاً، وبقي يسبح ويهمل حتى انتهى من ورده ثم قام وطلب من الشباب أن يرافقه لإتمام عملية التشييع والدفن.

لا شك بأن مثل هذه اللحظات كانت صعبة جداً على نفسية الشيخ وقد كنت ألحظها وأنا برفقته مع سائقه نحو المستشفى، وما أن دخلنا مستشفى الجامعة⁽¹⁾ حتى انفجر الشيخ بالبكاء، فقلت له: لقد كنت أتوقع منك يا شيخ أن ترفع من معنوياتنا.. إذا كان حالك هكذا فما بالك بحالنا؟؟ ويبدو والله أعلم أن هذه الكلمات وجدت طريقها إلى قلب الشيخ فتأثر بها فتوقف عن البكاء.

وهكذا نقلت الجثة إلى بيت الشيخ ليوصل معها رحلة الوداع بعد أن أغلق عليه باب الغرفة التي سُجِّي فيها الجثمان، ليكمل بكاءه بعيداً عن الأعين، وليفرغ ما تبقى عنده من أشجان وأحزان وآلام على فراق أمه.

ووفاءً لها، فقد كتب إهداءً لها على أول صفحة من صفحات كتابه "في خضم المعركة" من أروع ما رأيت، فهي قطعة أدبية رائعة رغم قصرها، ممزوجة بالحنين والفراق والحب والتقدير والوداع، هذا نصها: "إلى روحك يا أمي أقدم ثواب عملي المتواضع ضارعاً إلى الله القبول، فلطالما كتبت هذه المواضيع وأنت بين ظهرانينا أستلهم التوفيق من الله ﷻ بدعائك الصباحي الذي كنت أحس بحاجتي إليه، وكم كانت أسارى تتفرج وأعماقي تطمئن وأنا ألثم يدك الكريمة صباحاً متوجهاً إلى عملي، فأرى يدك الكريمتين ترتفع إلى

(1) جامعة بيشاور - باكستان.



السماء وأنت ترددين دعاءك لي تستمطرين الرحمة والحماية والرضا لي، ورد كيد الأعداء عني، فرحمك الله رحمةً واسعةً وجمعنا بك في الفردوس الأعلى ابنك البار / عبد الله عزالم⁽¹⁾.

بعدها نقلت إلى مقبرة الشهداء في قرية "بابي" والتي تبعد عن مدينة بيشاور الباكستانية ما يقارب الخمسين كيلومتر باتجاه العاصمة إسلام آباد.. حيث صلى عليها الشيخ سياف وخلفه آلاف المجاهدين، ثم ووريت الثرى بعد أن أنزلها الشيخ بيديه الطاهرتين إلى قبرها أواخر العام 1988م.

وتمر الأيام والأشهر ليلحق الشيخ الشهيد بأمه بعد وفاتها بسنة ليدفن بجوارها مع ولديه محمد وإبراهيم عام 1989م.. ولم يمهل القدر والده طويلاً فلحق بهم بعد سنة من استشهاد الشيخ عام 1990م ليدفن أيضاً بجوارهم، فضلاً عن ابنة شقيقته أم فيصل، التي وافتها المنية هناك وحفيدة الشيخ نفسه - ابنة الشهيد محمد - وفاطمة ابنة أخي وجميعهم دفنوا بجوار الشيخ في منطقة "بابي" المجاورة لمدينة بيشاور في باكستان.

البركسات

لم يخطر ببال هذه الوالدة أنها ستذهب في يوم من الأيام إلى باكستان ويكون مصيرها في تلك البلاد.. لم تستطع في يوم من الأيام أن تحسن لفظ اسم باكستان بالشكل الصحيح.. فقد درس قريب لنا في باكستان في أوائل السبعينيات فكنا نقول لها: أين مصطفى يا جدتي؟ فكانت تقول: في البركسات.. لم تكن تحسن لفظ باكستان آنذاك كما قلنا آنفاً، فلو

(1) إهداء كتبه الشيخ لأمه في بداية مجلد (في خضم المعركة) جمع فيه افتتاحيات مجلة الجهاد.



قيل لها في حينها أنك ستذهبين إلى باكستان وتموتين هناك وتدفنين فيها لقالت: ما الذي سيأخذني للبركسات؟؟ ولكن قدر الله فوق كل شيء..

يقول العلماء: إذا أراد الله ﷻ أن ينفذ قدره سلب من ذي العقول عقولهم حتى ينفذ قدره..

موقف آخر مع والدته

يقول الشيخ رحمه الله: كنت أرى بعض الحركات التي تقوم بها والدتي أثناء الصلاة فأعدها من البدع، فأقول لها: هذه حركات لم ترد عن الرسول ﷺ، فكانت تجيبني: إن الشيخ المعاني قال لنا هكذا.. وتقصد بالشيخ المعاني ذاك الرجل الأزهرى من مدينة معان الأردنية، الذي كان في يومٍ من الأيام مدرساً وإماماً لمسجد قريتنا، وهنا يعلق الشيخ عبدالله عزام على موقف أمه: ماذا عساني أن أفعل مع والدتي وهي تقبل من الشيخ المعاني ولا تقبل مني، علماً أن شهادتي أعلى من شهادة المعاني..

هذا الموقف يذكرني بوالدة أبي حنيفة رحمه الله عندما كانت ترفض أن تأخذ بفتوى ولدها (أبو حنيفة) فتحمله للذهاب إلى علماء هو أعلم منهم كي تستفتيهم، ولم يكن لدى أبي حنيفة حيلة إلا أن يطيعها، فيقطع معها المسافات البعيدة مشياً على الأقدام رغم الوقت الثمين الذي يحتاجه العالم، ومع هذا كان ينزل عند رغبة والدته وقد قيل سابقاً.. لا كرامة لنبي بين قومه!..



موقف واحد فقط يدل على بساطة والديه

قلنا إن الشيخ كان من المتفوقين على أبناء جيله وهو من الأذكياء، حيث حافظ على هذا التفوق من المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية إلى مراحل التعليم العالي، وهو حافظ لكتاب الله ﷻ عن ظهر قلب وكاتب بارع، وخطيب مفوه، يخطب منذ صغره خطباً ارتجالية، ومحاضر قوي قد تمتد محاضراته أحياناً لساعات ثلاث في الجلسة الواحدة دون أن يكل سامعه أو يمل، ولكن في المقابل كان والداه على الفطرة، بل من البساطة بمكان.. فتجد والدته لا تحفظ شيئاً من القرآن سوى الفاتحة، أما والده فكان يحفظ بعض السور القصيرة وغالباً لا تتجاوز المعوذتين وسورة الإخلاص، والشئ الذي يدل على بساطتهم أن والده كان يصلي بوالدته جماعة في البيت فكانت تشترط عليه قبل البدء في الصلاة ألا يطيل في قراءة القرآن، فيقرأ في الركعة الأولى سورة الإخلاص وفي الركعة الثانية سورة الفلق، وما أن ينتهي من التسليم حتى تجد الختيرة قد انتفضت في وجه الختار فتقول: يا ختار: ليش طولت الآيات؟؟

هذه البساطة الملفتة تعبر عن الجو الذي نبت فيه الشيخ عبد الله عزام لنعلم جيداً أن الأهل - مع أهميتهم - ليسوا من الضروري أن يكونوا على مستوى معين من العلم حتى يخرج أبناؤهم علماء.. ومن هنا لم نجد للشيخ أباً متعلماً يساعده في تعليمه ولا أمّاً قادرة على إعانته في تدريسه، وهذا يدل على أن الشيخ اعتمد كلياً على تربية نفسه، وبناء شخصيته وبلورتها، فكان الجهد الذاتي علامة بارزة في حياته، وهذا يشير إلى أنه بإمكان أي شخص أن يعتمد على نفسه اعتماداً ذاتياً في بناء نفسه وبلورة شخصيته إذا اختار



لنفسه حركة ربانية أو قدوة أو داعية أو مرشداً يساعده على تخطي بعض العقبات التي تقف أمام انطلاقته في حياته.

زواجه وأولاده

تحدث الشيخ حول الظلام الذي كان يلف المنطقة، والجهل الذي كان يسيطر على هذه الأمة إبان مرحلة الخمسينيات والستينيات، معلقاً على أول كتاب قرأه لسيد قطب رحمه الله عام 1965م (المستقبل لهذا الدين) حيث قال: إن سيد يعيش في الأحلام...!!

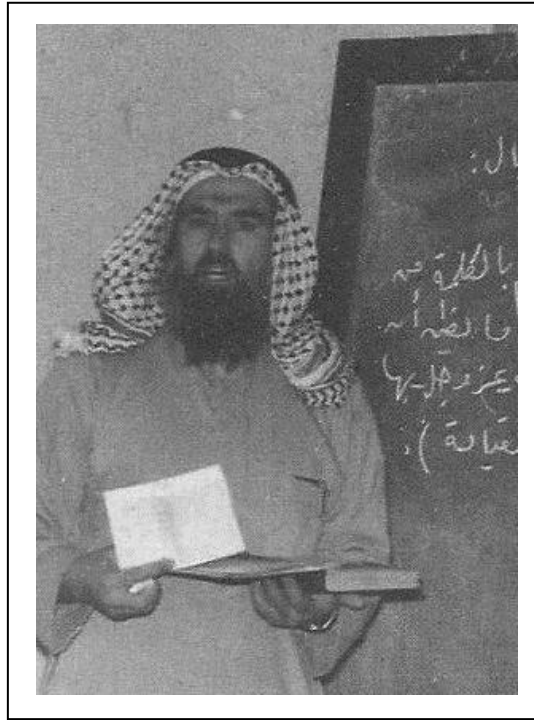
بعد مرور عقدين من الزمن حصلت النهضة الكبرى، والصحو الإسلامية الشاملة فانطلقت الحركة الإسلامية تداوي جراحها ليعلق الشيخ على الكتاب مرة أخرى في عام 1979م بقوله: (إن سيد كان ينظر بنور الله)، ليؤلف على إثرها كتاباً أسماه (الإسلام ومستقبل البشرية).

يقول الشيخ رحمه الله في ظل هذه الظروف: بحثت عن فتاة ملتزمة للزواج منها، فوجدت فتاة تلبس منديلاً يغطي ثلثي شعرها وتلبس ثوباً يغطي ركبتيها فقلت: امسك؛ هذه ولية من أولياء الله!. ويضيف الشيخ رحمه الله قائلاً: حاولت أن ألبسها جُرباناً لستر ما تحت الركبة، فحصلت معركة بيني وبين أمها إلا أنني انتصرت عليها في نهاية المطاف..

هكذا كانت الأجواء يعمها الجهل والاختلاط وعدم الالتزام في غالب الأحيان في مجتمعاتنا إبان الخمسينيات والستينيات.



تزوج الشيخ عام 1965م، وعنده خمسة من الذكور وثلاثة من الإناث، محمد أكبر الذكور ثم حذيفة ثم إبراهيم ثم حمزة ثم مصعب، وقد رحل محمد وإبراهيم مع الشيخ في رحلة الشهادة، أما الإناث ففاطمة الكبرى ثم وفاء ثم سمية، وكانت عائلته ترافقه في حله وترحاله.





ثانياً: ما بين انتقاله للأردن وفصله من الجامعة.

- ❖ انتقاله إلى الأردن.
- ❖ الشيخ في عمان 1967م والقرار الحاسم.
- ❖ قواعد الشيوخ.
- ❖ موقفان في القواعد.
- ❖ الماجستير أثناء القواعد.
- ❖ الدكتوراة من الأزهر الشريف.
- ❖ عودة الشيخ للجامعة الأردنية بشهادة عليا.
- ❖ فصله من الجامعة.
- ❖ وفد من الحكومة, وآخر من الحركة.



الانتقال إلى الأردن

حاول الشيخ أن ينهض ببعض الشباب في القرية للوقوف أمام الاحتلال، إلا أن أحد الضباط الأردنيين المنسحبين من مواقعهم في حرب حزيران عام 1967م نصحهم بمغادرة موقعهم بقوله: إن البلاد قد بيعت وسقطت بيد اليهود.. أنصحكم لوجه الله تعالى أن تذهبوا إلى بيوتكم، حتى لا تمر عليكم دبابة من الدبابات الإسرائيلية فتدوسكم دون أن يعلم بكم أحد من الناس، وفعلاً اقتنعوا بنصيحة هذا الضابط، وما أن غادروا هذا الموقع حتى سقطت قذيفة دبابة، ما أدى إلى احتراق الموقع بكامله.

لقد سقطت البلاد بسبب التجهيل الذي تعرض له الشعب الفلسطيني، وخلال هذا الواقع الأليم شعر الشيخ أن الأرض الفلسطينية أصبحت مجدبة، يصعب مقارعة المحتل من داخلها - في حينها - فقرر الانتقال لموقع آخر للعمل لفلسطين من خارجها، على إثر الهزيمة النكراء التي لحقت بالأمميتين العربية والإسلامية عام 1967م .. وفعلاً انتقل إلى الأردن مع بعض إخوانه ماشياً، على الأقدام، وهو يقول: لن أعود لفلسطين إلا مجاهداً، وقد تعرض في الطريق لخطر محقق كاد يؤدي بحياته هو ومن معه أثناء عملية تفتيش مفاجئ من قبل دورية يهودية لولا أن تداركتهم عناية الله تعالى.

الشيخ في عمان 1967م والقرار الحاسم

بدأ التدريس في إحدى المدارس الأردنية في جبل التاج بعمان، وقد مكث فترة قصيرة في هذه المدرسة.. لم ترق له الحال أن يبقى مدرساً في المدارس، والأرض والشعب والأمة تداس كرامتها، وتنتزع منها عزتها، ويتهدد دينها ومقدساتها.



يقول رحمه الله: استيقظت في وسط الليل على مجموعة من أهل اليسار وهم يهتفون بالنشيد الوطني الذي يثير المشاعر: بلادي..بلادي..بلادي، وصدى الصوت يدوي في ليل بهيم.. كان لهذا الموقف أثره العميق على قلبي ونفسي فقلت: أليس عيباً عليك يا عبد الله؟؟ أهؤلاء بلادهم أعز عليهم منا؟؟ فقررت من تلك اللحظة أن أبدأ الجهاد مهما كلف الثمن.. وفعلاً، توجه الشيخ من صباح ذلك اليوم لمدرسته وقدم استقالته، ثم توجه نحو الحركة الإسلامية وقال لهم: أنا جاهز من الآن للجهاد في سبيل الله.

قواعد الشيوخ

بعد أن وافقت الحركة على البدء بالجهاد في فلسطين، بدأت الترتيبات مع منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف)، لإقامة جبهة خاصة بالحركة الإسلامية في الأغوار تحت اسم "قواعد الشيوخ" حيث اتفقت الحركة مع المنظمة أن تعمل تحت لافتة المنظمة بشروط من قبل الطرفين؛ بحيث تقوم المنظمة بإيجاد منطقة خاصة بالحركة لتمولها على أن تصدر جميع البيانات العسكرية التي يقوم بها أبناء الحركة في فلسطين باسم العاصفة.. مقابل أن لا تتدخل المنظمة بالحركة، لا من الناحية التنظيمية، ولا التخطيطية، ولا برامج عملياتها.

وعلى هذا تم الاتفاق على إنشاء أربع قواعد كان أولها في أحرش "دبين" للتدريب، وقد قامت الحركة الإسلامية بعمليات ناجحة وموفقة مما دفع عرفات آنذاك أن يقول لأبناء فتح: نريد عمليات كعمليات الشيوخ.



تولى الشيخ عبد الله أميراً لقاعدة بيت المقدس، وهنا يتحدث الشيخ ﷺ عن بعض ذكرياته في القواعد حيث يقول: كنا بين أربع جهات؛ ثلاث منها فيها بعض فصائل منظمة التحرير وهي تحيط بنا، والجهة الرابعة، يحيط بنا اليهود. يقول: والله كنا نشدد الحراسة من بعض جهات اليسار أكثر من جهة اليهود، لشدة الحساسية بيننا وبينهم؛ ولأنهم غدروا بنا أكثر من موقف.

موقفان في القواعد

الموقف الأول: ما قام واحد منهم لصلاة الجماعة !!

يقول ﷺ: دخلت على معسكر من معسكرات المنظمة وهو يضم ثلاثمائة عنصر، وقد حان موعد الأذان فأذن المؤذن لصلاة العصر وأقيمت الصلاة، فو الله ما قام واحد منهم لصلاة الجماعة، ومن هم هؤلاء؟ هؤلاء الذين كانت ترنو إليهم أعين المسلمين لتحرير بيت المقدس !!

الموقف الثاني: أما جيفارا .. فتحت قدمي هذا !!

يقول الشيخ ﷺ: دخلت على إحدى غرفهم، وإذا بمجموعة من الشباب، فسألت أحدهم: ما اسمك؟ قال: جيفارا...!! وسألت الثاني، فقال: هوشي منة.. والثالث، قال: كاسترو، والرابع... الخ، وهكذا لم أجد واحداً منهم في هذا الموقع قد تسمى بأسمائنا ولا تقلد بتقاليدنا وعاداتنا، فكيف بالله عليكم يمكن لمثل هؤلاء أن يحققوا نصراً على عدونا ونحن على هذه الحال؟؟ فشتمت جيفارا...!!



يقول رحمه الله: استدعاني المثقف الثوري فقال لي: أنت اليوم شتمت جيفارا!!.. فقلت له: من هو جيفارا؟ قال: مناضل شريف، قلت له: أريد أن أعرف ما هو دين فتح؟ فرد عليّ من الأخير وبدون تردد أو تلثم بقوله: فتح لا دين لها، فقلت له: أما أنا فديني الإسلام، وأما جيفارا فتحت قدمي هذا!! ثم قمت ولم ينبس ببنت شفة.

الماجستير أثناء القواعد من الأزهر

يقول رحمه الله: وخلال وجودنا في القواعد أشار عليّ بعض الإخوة بأن أكمل دراستي العليا لنيل شهادة الماجستير من الأزهر الشريف، فقلت لهم: نحن جننا لنجاهد أم جننا لندرس ونتعلم؟؟ إلا أنني في النهاية وافقت إخواني تحت إصرارهم، رغم عدم وجود الكتب المطلوبة لدينا في القواعد.

وفعلاً ذهبت وقدمت الامتحانات بما فتح الله عليّ، إذ لم يكن المتبع في حينها نظام إعداد رسائل الماجستير، وإنما كان السائد لنيل شهادة الماجستير هو نظام الامتحانات، وهكذا عدت إلى القواعد من جديد.

بعد فترة وجيزة، تفاجأت ببرقية من زميل لي يقول فيها: إذا أردت أن تكمل دراستك لنيل شهادة الدكتوراة فابعث لنا أوراقك حتى نقدمها لجامعة الأزهر.. فرددت عليه برسالة وقلت له: أنت خجلت أن تقول: إنني حصلت على مقبول وهذا المستوى لا يؤهلني للدكتوراة؟ فرد عليّ برسالة أخرى خلاصتها: أنت الأول على دفعتك.



الدكتوراة من الأزهر الشريف

استمر العمل الجهادي من قبل أبناء الحركة الإسلامية في القواعد عبر أغوار الأردن من أواخر الستينيات وحتى أيلول عام 1970م، وعلى إثر الصدام الذي وقع بين الفدائيين والجيش الأردني، اضطرت الحركة الإسلامية أن تأخذ جانب الحياد حتى لا تقع في محذور سفك الدماء بين الأشقاء.

توجه الشيخ للتدريس في الجامعة الأردنية كمدرس في كلية الشريعة، وما هي إلا فترة وجيزة قضاها مدرساً في الجامعة حتى انتدب لإكمال دراسته في الأزهر الشريف لنيل رسالة الدكتوراة، وخلال تواجده في مصر تمكن من الالتقاء مع عائلة آل قطب وعرف الشيء الكثير عن حياة سيد قطب رحمه الله.

لم يمكث طويلاً في مصر حيث أنهى رسالة الدكتوراة وناقشها في فترة قياسية لا تتجاوز الستة عشر شهراً، حصل خلالها على الشهادة العليا مع درجة الشرف الأولى، ما دفع لجنة المناقشة إلى الإعجاب برسالته أيما إعجاب، علماً أن أقل مدة لنيل شهادة الدكتوراة ثلاث سنوات وأقصاها خمس سنوات⁽¹⁾.

عودة الشيخ للجامعة الأردنية بشهادة عليا

عاد الشيخ إلى الجامعة الأردنية ليدرس في كلية الشريعة، وكان له نشاط مؤثر داخل الجامعة. ويعتبر الشيخ أول من أدخل الحجاب إلى الجامعة..

(1) ولمن أراد المزيد حول هذا الموضوع عليه الرجوع إلى مقدمة رسالة الدكتوراة للشيخ عبد الله عزام حيث رأينا من المناسب أن نضع في مقدمتها رسالة لجنة المناقشة الموجهة إلى عميد كلية الشريعة والقانون في الأزهر الشريف بالكامل وسيد القارئ فيها الكثير من التفصيل.



فضلاً عن الأعداد الهائلة من الطلبة الذين رباهم على يديه، الذين كان لهم الدور البارز في قيادة عملية التربية والإصلاح والتغيير في المنطقة.

هذا النشاط لفت انتباه أمن الدولة.. فبدأت تتابعه وتطلبه بين الحين والآخر، وكان بعض المشايخ ينصحون الشيخ أن ينتبه لنفسه حتى لا يفصلوه من الجامعة، إلا أن الشيخ كان يجيبهم: أنا مستعد أن أبيع الفلاقل لطلابي الذين درستهم على أبواب الجامعة.

لم يكن يسأل في يومٍ من الأيام عن أمور الدنيا إذا اصطدمت بأمور الدين؛ لأنه كان يؤمن إيماناً مطلقاً بعقيدة الرزق، وأن باب الرزق بيد الله تعالى، وليس بيد البشر.

فصله من الجامعة

بقي الأمر على هذه الحال حتى أيلول عام 1980م، حيث لفت انتباه الشيخ كاريكاتير على صفحة من صفحات إحدى الجرائد الأردنية يصور فيها المشايخ بلحي طويلة وهم يحملون M.16 الأمريكية، وتحت الكاريكاتير جملة مكتوبة: "عملاء للأمريكان" مما حدا بالشيخ الاتصال بصاحب الجريدة قائلاً له: "أنا اسمي عبد الله عزام، مدرس في كلية الشريعة، اليوم نشرت كاريكاتيراً على صفحة من صفحات جريدتكم، يسيء للإسلام وعلماء الإسلام.. غداً عليك أن تنزل اعتذاراً مكان الكاريكاتير وإلا فقد أعذر من أندر"، ثم أغلق الهاتف.

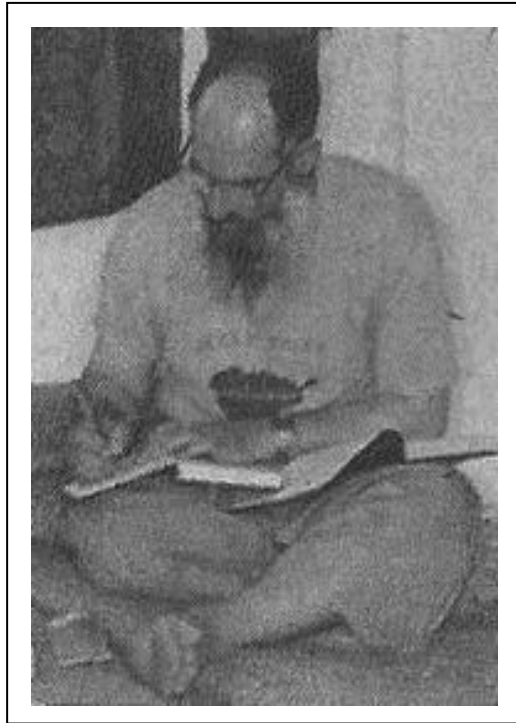


لم يكن صاحب الجريدة رجلاً عادياً، بل كان له نفوذ عند رئيس الوزراء الأردني والحاكم العسكري الأردني العام آنذاك مضر بدران، فاتصل به فوراً وأخبره بأن عبد الله عزام يهدده.. وكان مضر بدران ينتظر حدثاً مثل هذا الحدث.. فقرر فصل الشيخ من الجامعة مباشرة، وقد اطلعت على القرار الذي لا يتجاوز السطرين وخلصته: " بما أن هذا الأمر من مهماتي ومسؤولياتي أقرر فصل الدكتور عبد الله عزام من الجامعة الأردنية وذلك لقناعاتي الخاصة .." ثم وقع تحتها: الحاكم العسكري الأردني، مضر بدران!! كل ذلك، دون الرجوع إلى المؤسسات المختصة من وزارة التعليم العالي أو إدارة الجامعة.

وفد من الحكومة وآخر من الحركة.

بعد ذلك جاء للشيخ وفد من الحكومة وقالوا له: إن الحكومة لا تريد فصلك من الجامعة، بل تريد منك أن تستمر، لكن، دعك من السياسة.. ادخل لفصلك الدراسي وشرح مادتك دون أن تدخل في ساسا و سوسو وغيرهما، فرد عليهم قائلاً: أنا لست مدرساً لمادة الكيمياء أو الفيزياء أو الرياضيات..أنا مدرس الشريعة الإسلامية، أتريدون أن أدرس الدين الذي نزل على محمد بن عبد الله؟؟ فأنا جاهز!! فردوا عليه بلا.

أما عن حركة الإخوان فقد جاء الأستاذ عبد الرحمن خليفة (أبو ماجد) المراقب العام للإخوان المسلمين وقال للشيخ: نحن على أتم الاستعداد لإنزال كل الإخوان إلى الشوارع احتجاجاً على فصلك من الجامعة، إلا أن الشيخ رفض ذلك حرصاً على إخواننا من أن يصابوا بأي أذى بسببه.





ثالثاً: ما بعد عمان حتى أرض الأفغان.

- ❖ الشيخ نحو السعودية.
- ❖ مع الأستاذ السناني.
- ❖ السناني إلى مصر.
- ❖ الشيخ يرثي الأستاذ كمال السناني بعد إعدامه من قبل السادات.
- ❖ الشيخ نحو الأفغان.
- ❖ عودته من باكستان بعد الجولة الاستطلاعية والعكس.
- ❖ إنشاء مكتب الخدمات
- ❖ الشيخ جسراً بين العرب والأفغان.
- ❖ عرف قدره فوقف عنده.
- ❖ مكانة العربي لدى الأفغان.
- ❖ الوضع عام 1986م.
- ❖ ملاحقته من قبل الحكومة الباكستانية.
- ❖ زينب الغزالي توقف ملاحقته في أواخر عام 1986م.
- ❖ اشتداد الضغوط.
- ❖ الهجوم الإعلامي الغربي على الشيخ.



الشيخ نحو السعودية

بعد أن فُصل الشيخ من الجامعة الأردنية، توجه نحو المملكة العربية السعودية للتدريس في جامعة الملك عبد العزيز بمدينة جدة، وكان ذلك في أوائل الثمانينيات، حيث درّس فيها ثلاثة فصول متتالية، وكانت هذه المرحلة بالنسبة للشيخ مرحلة انتقالية حتى تنهياً له فرصة الانتقال لأي بقعة من بقاع الأرض لتأدية عبادة الجهاد.

مع الأستاذ السناني عام 1981م.

بعد مضي سنة ونصف من عمله في الجامعة عرّج الأستاذ كمال السناني خلال هذه الفترة على السعودية قادماً من باكستان، حيث ساعد على توحيد كلمة المجاهدين الأفغان هناك، وقد كان له لقاء مع الشيخ أثناء الطواف ببيت الله الحرام فقال له: ليس هذا مكانك الطبيعي يا شيخ!! إلا أن الشيخ كان يدرك مثل هذا الأمر خاصة بعد أن أغلقت الحدود مع فلسطين ووضعت السدود وحيل بينه وبين جهاده في فلسطين؛ لذلك كان جواب الشيخ حاضراً بأن خياراته كانت محصورة في أحد أمرين:-

الأول: التوجه نحو اليمن لمساعدة المسلمين في شمال اليمن، حيث المواجهة التي كانت دائرة بين المسلمين في الشمال، والشيوعيين في الجنوب في بداية الثمانينيات.



الثاني: التوجه نحو الأفغان، وهذا هو الراجح الذي كان يفكر به الشيخ، خاصة بعد أن اجتاحت الاتحاد السوفيتي أفغانستان في عام 1979م، وقد وعد الشيخ عبد الله الأستاذ كمال السنانيري بأن يقوم بجولة استطلاعية للوقوف على مجريات الأحداث وعن كثب فوق أرض الميدان على أرض الأفغان ..

السنانيري إلى مصر

بعد أن ذكرنا أن الشيخ عبد الله عزام وعد بالتوجه نحو الجهاد الأفغاني بإشارة من الأستاذ كمال السنانيري، كان لا بد لنا أن نشير إلى أن هذا الرجل كان يشغل مكانة رفيعة في سلم القيادة في حركة الإخوان المسلمين، وهو مفرز من مكتب الإرشاد لقضية الجهاد الأفغاني، وهو بالمناسبة زوج أخت سيد قطب رحمه الله، وقد حُكم عليه بسنوات طويلة في سجون عبد الناصر في حقبة محنة الإخوان في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، وهنا لا بد من الإشارة أيضاً إلى أنه كان في فترة الخطوبة، وبمعنى آخر أنه لم يكن قد دخل بخطيبته بعد...

وهنا برزت مشاعره وأخلاقه النبيلة نحو خطيبته فتوجه إليها برسالة يخبرها بين فك الارتباط أو الانتظار لحين خروجه من السجن، فاختارت الخيار الثاني، وبقيت تنتظره حتى خرج من السجن وتزوجا، إلا أنهما لم يرزقا بالذرية - حسب علمي - بسبب التعذيب الذي تعرض له في سجون عبد الناصر.



ونذكر هنا أيضاً قضية مهمة ألا وهي أن الأسرى الفلسطينيين داخل سجون الاحتلال قد استفادوا كثيراً من تجربة الأستاذ السناني، حيث أصبح الأسرى الذين يحكم عليهم بأحكام عالية يخبرون زوجاتهم على قاعدة السناني، وهكذا رأينا نساء فلسطين يضرين المثل الأعلى في الصبر على البلاء، حيث كان رد فعل الواحدة منهن لزوجها "أنا معك مهما طال الفراق" وهي مقتنعة تماماً بعدالة القضية التي يحملها زوجها.

أقول: بعد أن التقى السناني بالشيخ عبد الله عزام توجه نحو مصر لإحضار أهله واللاحق بالشيخ إلى أرض الأفغان، إلا أن السادات قبل مقتله بقليل ألقى القبض عليه وأودعه السجن في أوائل الثمانينيات، وقد خرجت الصحف المصرية على الناس بعد فترة وجيزة لتعلن أنه انتحر داخل السجن، ولكن الحقيقة التي يعرفها القاضي والداني بأنه قتل تحت التعذيب وطوي ملفه إلى أن يشاء الله...

الشيخ يرثي السناني بعد إعدامه من قبل السادات

وهنا يفتقد الشيخ صاحب والشريك والمؤنس الذي مهد له الطريق نحو أرض الجهاد حيث تفاجأ باستشهاد الأستاذ كمال السناني تحت سياط وزبانية أنور السادات، فكان لا بد أن يكتب بحقه كلمات حيث قال:

(من بين الذين افتقدتهم الساحة الأفغانية رجل جاء بصمت ومضى بصمت.. رجل خاض ميادين القتال في فلسطين عام 1948م واصطلى بنار المعركة في قناة السويس على يد طاغية من زبانية العذاب الذين رباهم عبد الناصر، ذاك الرجل هو كمال الدين السناني، إنسان ليس من أصحاب الأقلام ولا من أرباب المنابر، رجل صنعته الأحداث



بإذن خالفه، ونضج على نار المحنة من خلف قضبان السجون، وكان قد حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة من عام 1954م وكانت الأخت أمينة قطب قد رفضت الخطاب الذين تقدموا لها من الدول العربية ثم اختارت أن تعقد عقد زواجها من كمال السنانييري رغم أنها تعلم أنه محكوم بالأشغال الشاقة المؤبدة، انتظرت عشر سنوات متواصلة، ولطالما خيرها قائلاً: الأولى أن نطلق وأن تتزوجي غيري، وهي تقول له: هذه بعض مشاركتي لكم، توضحيات الطريق وآلام المسيرة، وانتظرت أطول فترة خطوبة في التاريخ الحديث.. انتظرت عشر سنوات حتى من الله على كمال بالإفراج عنه من السجن بقدرة الله وَجَلَّ (1).

الشيخ نحو الأفغان

توجه الشيخ رحمته الله نحو باكستان كما ذكرنا أنفاً كجولة استطلاعية لمعرفة الواقع عن كثب، وقد التقى مع قادة الأفغان هناك، علق بعدها بقوله: "هنا المحيا وهنا الممات... لقد كنت أبحث عن هؤلاء في الخيال"، خاصة وهو يعلم أن القرن العشرين الذي عاشه كان كله هزائم وحروباً أهلية في الأردن ولبنان، فضلاً عن إغلاق الحدود العربية مع فلسطين، بعد أن بيعت فلسطين كلها في المزاد العلني، ومع ذلك؛ واصل الكثيرون بالمتاجرة بدماء شعبها طيلة العقود الماضية حتى قال الشيخ عن هؤلاء: "ما رأيت قضية تاجر بها التجار، وريح فيها الفجار، وظلم أصحابها الحقيقيون، مثل قضية فلسطين..". (2)

(1) مقال كامل كتبه الشيخ عن الشهيد كمال السنانييري في مجلة "البيان المرصوص" الأفغانية تحت عنوان (يا علماء الأمة من يسد مكان الشهيد؟).

(2) من كتاب (من القلب إلى القلب) حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد.



ولذلك اعتبر الشيخ أن فتح باب الجهاد على أرض الأفغان بداية النهضة ومدخل لأداء عبادة الجهاد هناك، بل تعبيد للطريق نحو فلسطين، فضلاً عن أن أفغانستان تعتبر بداية خط التحول التاريخي للعالم كله.

لقد وجد هناك حركة إسلامية⁽¹⁾ تقود شعباً بكامله، تقوم على مقارعة الأعداء على أرض شاسعة تصل مساحتها 650 ألف كيلومتر على طول البلاد وعرضها، مبدياً رأيه في تلك الأرض قائلاً: وكأن الله ﷻ هياً أرض الأفغان بجالها للجهاد في سبيل الله، فوجدها فرصة ذهبية لاقتناصها والعمل من خلالها لاستنهاض الأمة من جديد، ونقل تجربة هذه العبادة إلى فلسطين لتحرير المسجد الأقصى الذي لم يكن يغيب عن ذهنه لحظة واحدة أبداً.

عودته من باكستان بعد الجولة الاستطلاعية والعكس

بعد الجولة الاستطلاعية التي قام بها، عاد إلى السعودية لإحضار أهله وقد أبرم عقداً مع جامعة الملك عبد العزيز بجدة ليدرس في الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد بباكستان.. وفعلاً اصطحب معه أهله ليكون قريباً من جهاد الأفغان، مع أن إسلام آباد تبعد 200 كم عن أرض الجهاد.

وبعد فترة قصيرة وجد الشيخ أن عمل الجامعة بهذا الشكل لا يمكنه من تحقيق أهدافه الحقيقية؛ لذا خطا خطوة ناجحة في هذا الموضوع للتوفيق بين عمله كمدرس في الجامعة وكجهاد في سبيل الله، فأقدم على جمع محاضراته الأسبوعية في ثلاثة أيام، هي: السبت والأحد والاثنين، وبهذا أصبح يتوجه نحو الأفغان عصر الاثنين من كل أسبوع منهياً جولته

(1) قادة الحركة الإسلامية الكبار في أفغانستان التحقوا بالإخوان إبان دراستهم في الأزهر.



بخطبة الجمعة بالمجاهدين العرب والأفغان ثم يعود مرة أخرى إلى الجامعة، وهكذا بقي حتى أوائل عام 1986م.

إنشاء مكتب الخدمات

فكر الشيخ جلياً في إنشاء مؤسسة جهادية خدمتية للمجاهدين على الأرض التي اختارها لتكون منطلقاً لعمله، وكان ذلك أوائل الثمانينيات، ولتكون أيضاً منطلقاً للعرب في خدمة الأفغان، فكان من أول أولويات هذا المكتب، كما يقول الشيخ: العمل على توحيد الأفغان عن طريق الإصلاح بينهم، وتسهيل أداء عبادة الجهاد لكل مسلم قادم إلى أرض الجهاد مع جميع الفصائل دون استثناء باعتبار أن العرب حياديون.⁽¹⁾

ضم مكتب الخدمات أكثر من عشرين مؤسسة تحت إمارة الشيخ، الذي كان يطلق عليه؛ أمير مكتب الخدمات أو شيخ المجاهدين العرب، وكان من أوائل هذه المؤسسات مجلة الجهاد الشهرية، التي لعبت دوراً بارزاً في نقل الأحداث الساخنة، التي دارت على الساحة الأفغانية - إلى المسلمين في العالم العربي والإسلامي والأقليات المسلمة في بلاد الغرب وبالذات أمريكا وغيرها.. وقد بدأت هذه المجلة بشكل متواضع، ثم بدأت تأخذ شهرة كبيرة حتى وصل عدد النسخ التي يُطبع منها ما بين أربعين إلى خمسين ألف نسخة .. وبهذا المستوى استطاعت هذه المجلة أن تزاحم المجالات الإسلامية الأخرى.

(1) كل عربي أو مسلم قادم إلى أرض الجهاد كان يدخل بشكل مباشر تحت إمارة الشيخ عبد الله عزام.



ومع مرور الزمن استدعى الأمر إنشاء نشرة أسبوعية كان لها الدور البارز في خدمة الأفغان وجهادهم، وكان الشيخ ينشر فكره من خلال هذا الإعلام الهادف، حيث كان يكتب الافتتاحية لكتلتيهما باستمرار.. ولك أن تتابع النضوج الذي بلغه الشيخ بشكل تدريجي عبر هذه الافتتاحيات على مدار السنوات الثماني أو التسع التي عاشها على أرض الجهاد، التي جمعت عبر مجلدي: (في خضم المعركة) و (كلمات من خط النار الأول)..

وهنا لا بد أن أترك الشيخ ليتحدث عن التجارب والأحداث والمشاعر التي كانت تعتمل بين جوانحه حول الجهاد، من خلال مجلة الجهاد، حيث يقول ﷺ: (أحداث ضخمة شرفنا الله بشهودها، وصفحات من التاريخ الإسلامي أعزنا الله بأن فُدر أن تكون كلمات بين أسطرها، وأنشودة عذبة حداها العاملون لهذا الدين، كنا بقدر الله لحناً من ألحانها، فشكراً لله وحمداً (ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي)).

تجارب عظيمة اكتسبناها على هذا الطريق الشاق الدامي، ونضوج نفسي وصفاء روحي وتوكل حقيقي جنيناه ثمرة دائية ناضجة لهذه المسيرة المريرة).⁽¹⁾

ويقول ﷺ: (من أبراجنا العاجية التي كنا نحلق بها بأحلامنا العذبة وأمانينا المحلقة؛ نزلنا ومشينا فوق أرض الواقع بإنسانية الإنسان وكبواته وهفواته وأخطائه، فوجدنا البون الشاسع والبعد الواسع بين العيش بين صفحات الكتب وبين السير على أرض المحن وجمر

(1) مقتطفات من مقدمة مجلد في خضم المعركة ص 3+4 افتتاحيات مجلة الجهاد الشهرية.



المواجهات للمشاكل الحقيقية، فالحمد لله، لقد استيقظنا من أحلامنا الهائلة على الحقائق، فاستعذبنا المرارة في مواجهتها، واستسهلنا الشدائد في القلب مع عجالاتها، والحق أننا مع هذه المحن المتلاحقة والمصائب المتساوقة ومع مواجهة المؤامرات الداخلية والعالمية، لم يعد يهزنا شيء، وأصبحت الحياة والمنية سيان أمام نواظرنا (إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير أن عافيتك هي أوسع لي) كل ما يطمع به القلب أن تكون الخاتمة شهادة في سبيل الله فوق أرض النزال ومكر الأبطال⁽¹⁾

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمر به الوحول

ويضيف رحمه الله حول الفترة التي قضاها في أرض الجهاد ومشاعره التي كانت تعتمل بين جوانحه وبعض تجاربه التي برزت من خلال مسيرته المشرفة، والأحداث العظيمة التي نقلتها مجلة الجهاد عبر صفحاتها إلى العالم العربي والإسلامي، التي صورت الواقع الحقيقي، بل مثلت مقالاتها الخط البياني الحقيقي للجهاد والأدوار التي مر بها القتال، حيث يقول:

(ثماني حجج متواصلة طوت هذه القضية من ريعان عمري، فأحالت شعري الأسود إلى ثغامة - أبيض - واشتعل الرأس شيباً. وما أنا بنادم على شيء، بل أحس بالسعادة الغامرة لجواني، وأدرك اللطف الرباني والرحمة الإلهية التي تنزلت عليّ بأن اختارني ربي أن أكون خادماً لهذا الجهاد، وشرفني بأن أخوض غماره، وأتكلم عن أفذاذه ورجاله، وأدركت

(1) مقتطف افتتاحية مجلد في خضم المعركة.



أن دين الله لا تفهم أسرارهِ، ولا تفتح كنوزه حقاً إلا للذين يجاهدون في سبيل رفع رايته وإعلاء كلمته، وفسرت الآية الكريمة على نفسي:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾⁽¹⁾، فالنافرون هم الذين يفقهون، كما رجع الطبري ومجاهد.

لقد حلت في نفسي عقد كثيرة، منها عقدة الخوف على الرزق والأجل، التي تشكل العقبة الكؤود على طريق الدعاة، وأيقنت أن دين الله لا يمكن أن يقوم في الأرض، ولا يمكن لشجرتهِ أن تستوي على سوقها، ولا أن تستقر بجذورها في الأعماق، ولا أن ترسل بثمارها في الآفاق إلا بالجهاد في سبيل الله.

وأدركت أن النفس البشرية لا تتضح، والروح لا تصقل إلا بالقتل والقتال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّهُمْ أُخِذُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾⁽²⁾.

لقد كانت هذه المقالات التي افنتحنا بها مجلة الجهاد عصارة الأحداث التي جرت فوق أرض العز والفخار، وكثير من الكلمات كانت تهتصر أعصابنا وأنفسنا وتعتصر قلوبنا قبل أن تسيل على أسنة أقالمنا.

فهي، وإن كانت سجل أحداث عظيمة، فهي مع هذا صورة حقيقية لما كان يعتمل في جوانبنا من آلام، وانعكاس واقعي لما يخلق بين جوانحنا من آمال.⁽³⁾

(1) التوبة 122.

(2) التوبة 111.

(3) مقتطف من افتتاحية مجلد في خضم المعركة.



وكان الشيخ رحمه الله يؤكد دائماً أن الجهاد الأفغاني فسّر له ألغازاً معمّاة أعجبت عليه في السيرة النبوية كان من بينها دور الخيل في المعارك وهو قول الرسول ﷺ (الخيّل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة) فضلاً عن المسافات التي كان يقطعها المجاهدون في أرض الجهاد الأسابيع والأشهر ابتداءً من حدود باكستان إلى حدود روسيا عبر الجبال والوديان، وهذا ما يذكرنا بهجرة الرسول ﷺ والصحابة من مكة إلى المدينة، وكذلك السير على الأقدام من المدينة إلى تبوك، هذا الجهاد فسر للشيخ ما أعجم عليه من السيرة، حيث يقول:

(وإنني لأحس بصغر حجمي وقزامتي أمام هؤلاء الأبطال الذين أدوا الأدوار، الذين فسروا لي ما أعجم عليّ من كثير من أحداث السيرة، وأعادوا إلى مخيلتي بطولات أولئك السلف الذين يمثلهم الحديث الشريف "خير الناس رجل آخذ بغنان فرسه يطير على منته كلما سمع هيعة أو فرعة طار إليها يبتغي الموت مظانة").

والحق أن انبھاري بهذا الدين وإعجابي بأفذاذه الذين ننشد لكل واحد منهم.

أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه ترعد

وفي النفس الكثير لا أستطيع أن أنقل انطباعاتها ومشاعرها على صفحات الأوراق، وحسبي أنني اجتهدت صادقاً وآمل من الله القبول والثواب.⁽¹⁾

هكذا كان ينقل الشيخ انطباعاته وتجربته على صفحات مجلة الجهاد مخاطباً العالم الإسلامي.

(1) مقتطف من افتتاحية مجلد في خضم المعركة.



أما الحديث حول النشرة الأسبوعية (لهيب المعركة) فيقول رحمته الله: (1)

(أوراق عادية منشورة غير مصقولة ولا مزخرفة ولا ملونة، وما كنت أعلم أنها ستحظى باهتمام العالم الإسلامي بهذا الشغف العجيب، بحيث يواجهك أبناء الصحو الإسلامية في الجزيرة وغيرها، يسألونك عن آخر التطورات وكأنهم يقفون في مواجهة العدو، وينقلون الأخبار ساخنة من أرض المعركة...)

لقد استحوذت هذه الأوراق على اهتمام الكثيرين لما تحويه من أخبار ساخنة كانت عصارة آلام وآمال ودماء وأشلاء وأحزان وتسهيد (سهر). لقد كانت الدماء التي أريقت أضعافاً مضاعفة من هذه الكلمات التي كتبت.

إنه لمن الصعب على الكلمات أن تتغلغل ثقلاً المعاناة، وتصور مرار المسيرة، وهول المأساة وحقيقة الانطباعات التي تتركها الوقائع في أعماق القلوب، وإنه لبون شاسع بين ما يكتبه الإنسان عن هذه الأحداث وما يتجرعه في أعماقه من آلام، وما يواجهه في مسيرته من أهوال.

وجماع الأمر في القضية أنني كتبت هذه الكلمات بعدما عشناها في واقع الأمر آمالاً عراضاً نحلم بتحقيقها، وآلاماً شداداً تكبدناها، وغصصاً مريرة تجرعناها، قبل أن تخرج كلمات تصور واقعنا في الأسبوع الذي كتبت فيه الكلمة.

(1) مقتطفات من مجلد كلمات من خط النار الأول (المقدمة).



وقد كانت هذه الكلمات تكتب بعد مطارقات وملاحقات شديدة من قبل أبي عادل لي، فأحياناً يأتيني وأنا بجوار سرير الوالدة (رحمها الله) في المستشفى، يلح عليّ أن العدد متوقف على كلمتك، وأخرى وأنا في الجبهة، وثالثة يلاحقني بالتلفون والفاكس أثناء سفري، فتصل الكلمة مساء الخميس والعدد لا بد أن يخرج صباح الجمعة، وهكذا دواليك، إلا أنها كانت في خلاصتها معبرة أصدق تعبير عن مشاعر النفس وأحاسيسها، وواقع المعركة وأبعادها، وترسم الكيد العالمي، والمواجهة الرائعة المشرفة الصادقة من أبطال المسيرة الذين يخطون تاريخ الإسلام بالدماء، ويبنون صرح مجده بالجمامج والأشلاء.

ونحن رضينا أم أبينا فقد أصبحنا جزءاً من هذه المسيرة، وكلمات من هذه الأنشودة الجميلة العزيزة، ولحناً في هذه السيمفونية الحزينة الساخنة...

هذه الكلمات كانت محاولة لنقل انطباعات النفس، ونحن نؤرخ لهذا الحدث الجلل الذي هز الدنيا بأسرها، وشعر كل مسلم في الأرض من جرائه أنه قد ولد من جديد، فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمنا ومن الشيطان⁽¹⁾.

مؤسسات مكتب الخدمات

هذه المؤسسات كمؤسسة الأرامل والأيتام ومطبعة لطباعة المناهج الدراسية للمجاهدين، ومركز للترجمة يترجم فيه كتب كبار مفكري الحركة الإسلامية للغات المحلية والصوتيات والمرئيات، التي استطاع من خلالها الشيخ نقل الصورة الحقيقية ومجريات الأحداث على أرض الأفغان إلى بقاع الأرض عبر الصوت والصورة.

(1) مقتطفات من افتتاحية مجلد كلمات من خط النار الأول.



وهكذا استمر الشيخ في بناء المؤسسات، كمستشفى مكة المكرمة، وعيادة الطب الطبيعي، والمختبر المركزي للتحاليل الطبية، والمساهمة في الوقوف إلى جانب جامعة الدعوة والجهاد ودفعها إلى الإمام وإنشاء معاهد الأنصار لتخريج الدعاة، ومدارس بلغ عددها داخل أفغانستان ما يقارب الأربعمئة مدرسة من المدارس المتواضعة، مع العلم أن الشيخ كان يمول هذه المؤسسات عبر المُحسنين في العالم الإسلامي، بالإضافة إلى المعسكرات التي أقيمت داخل أفغانستان، ولجان ترحيل السلاح إلى المجاهدين بالتعاون مع الهلال، الذي كلف ترحيله أموالاً طائلة، فضلاً عن المواد الغذائية والعتادية ولوازم المجاهدين وتجهيزهم، التي كانت تنقل عبر لجنة الترحيل في مكتب الخدمات بالإضافة إلى متابعة المشاريع الأخرى داخل أفغانستان وغيرها، التي أفردنا لها كتاباً خاصاً وسميناه (دور مكتب الخدمات في خدمة الجهاد الأفغاني) ⁽¹⁾.

ولا أنسى ذاك العمل الرائع الذي أنشأه الشيخ في أرض الجهاد لتثبيت المجاهدين العرب فيها، ما سهل عليهم استقدام زوجاتهم وأولادهم ليكونوا جنباً إلى جنب في أداء هذه الفريضة الربانية، فقام الشيخ بإنشاء مدرسة لأبناء المجاهدين العرب سماها مدرسة الأنصار، التي كان لها الدور الكبير في إدخال الراحة النفسية للمجاهدين العرب المتزوجين، حيث انتقلت المدرسة من مرحلة إلى مرحلة حتى أصبحت تجمع المراحل الثلاث الابتدائية والإعدادية والثانوية.

(1) بإمكان الباحث العودة إلى مجلد نشرة لهيب المعركة، الذي نشر فيه دور مكتب الخدمات في خدمة الجهاد الأفغاني عبر حلقات متسلسلة.



أما قصة البداية مع هذه المدرسة فكانت عندما بدأ هذا التجمع العربي بالتشكل تدريجياً وأصبح الواقع يتطلب مدرسة لأبناء هؤلاء المجاهدين وكانوا في حينها قلة فأمر الشيخ الإخوة باستئجار بيت يجمع فيه أبناء العرب المجاهدين وأمر زوجة أحد الإخوة -وهي من تلميذاته وخريجة من خريجات الجامعة الأردنية- بأن تكون مدرسة ومديرة لهؤلاء الأبناء الذين لم يتجاوز عددهم آنذاك العشرة طلاب بين ذكر وأنثى، حيث طبق آنذاك المنهج الأردني في بدايتها دون اعتراف رسمي من الأردن، ففي الوقت الذي كان البعض يتخوف فيه على مصير أبنائه ومستقبلهم لعدم الاعتراف الرسمي، كان الشيخ يعمل بجد للحصول على اعتراف بالمدرسة من السعودية والأردن، وفعلاً انتهى الأمر باعتراف الأردن بينما رفضت السعودية أن تعترف بهذه المدرسة، وبقي المنهج الأردني يُدرّس في المدرسة رغم تخوف الأهالي من الناحية الأمنية من كشف أسمائهم للجهات الرسمية.

وأخيراً استطاع الشيخ أن ينتزع اعتراف المعاهد اليمنية بهذه المدرسة مع تطبيق مناهج تلك المعاهد.

الشيخ جسراً بين العرب والأفغان

لا شك أن الشيخ كان جسراً قوياً عبر من خلاله المجاهدون العرب نحو الأفغان، بل كان عنصراً مهماً في تسهيل مهمة العرب والمسلمين لتأدية عبادة الجهاد في بلاد الأفغان وتذليل كل العقبات والصعاب المادية والاجتماعية والمذهبية والعادات والتقاليد، فكان الشيخ يشكل -بحق- جسراً قوياً بين شباب الأمة والمجاهدين الأفغان..



وكانت أولى هذه العقبات التي ذللها لهم المصاريف المادية لأداء هذه الفريضة الغائبة، وهي لا شك أنها من العقبات المهمة التي كان يعانيها الشباب في الوصول إلى أرض الجهاد..

أما ثاني هذه العقبات، التي كانت تواجه الشباب، كيفية التعامل مع المجتمع الذي ينزلون فيه بعاداتهم وتقاليدهم وما يعتنقه من المذهب الديني الحنفي، ونحن نعلم جيداً الخلافات المذهبية بين فقهاء المسلمين، ولهذا كان للشيخ دور بارز في تذليل جميع هذه العقبات لاندماج الشباب القادم مع من سيعيش معهم..

صورة سلبية متجذرة عالجهما الشيخ بين الأفغان والعرب

قلنا آنفاً: كان الشيخ جسراً متيناً بين المجاهدين العرب والمجاهدين الأفغان، حيث كان يمهّد الطريق لكل من أراد أن يجاهد على أرض الأفغان، خاصة وأن الأفغان يحملون موروثاً من العادات والتقاليد والمفاهيم يصعب تغييرها وتبديلها في فترات زمنية محدودة. فضلاً عن أن 95% من الشعب الأفغاني أمي، ما زاد الأمر صعوبة وتعقيداً. لذلك كان لا بد من عالم رباني يفهم فقه الدعوة وفقه الجهاد للتعامل مع هذا المجتمع لتأدية هذه الفريضة الغائبة، التي غابت عن دنيا المسلمين عقوداً من الزمان.

من هنا بدأ الشيخ بإيجاد الحلول لتهيئة الظروف للمجاهد العربي كي يتأقلم مع الشعب الأفغاني المجاهد ويتطبع مع بعض عاداته التي لا تخالف الشرع الحنيف، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة، ولهذا رفع شعاراً يقول فيه للإخوة العرب: إذا أردت أن تجاهد وتؤدي هذه



الفريضة على أرض الجهاد ما عليك إلا أن تتعامل مع الأفغان بطريقة صحيحة، فتصلي كما يصلي الأفغان على المذهب الحنفي، وهو بدون شك مذهب معتبر عند أهل السنة والجماعة، وقد صلى الإمام الشافعي رحمته الله قريباً من قبر أبي حنيفة وقال: نصلي على مذهب أبي حنيفة احتراماً لصاحب هذا القبر.

وبالتالي فإن الخلاف بين الأئمة قائم على الهيئات، التي لا تؤثر في جوهر الصلاة ولا في أركانها؛ ولذا كان شعار الشيخ يقول: إما أن تتمسك بالهيئات وتترك فريضة الجهاد وإما نراعي المذهب الحنفي حتى نؤدي هذه الفريضة العظيمة.

ونحن نذكر هنا أن أكثر الأفغان نشؤوا وهم يقلدون إمامهم في المسجد .. يصلون كما يصلي الإمام، فإذا رأى أحدهم شخصاً يصلي على غير مذهب الحنفي فإن أول ما يتبادر لذهنه أن هذا الشخص جاء ليغير مذهبه، فيتهمه فوراً بالوهابية، وما أدراك ما الوهابية، إنها صورة لكنها مشوهة في ذهن الأفغان، هكذا رسخ البريطانيون هذه المفاهيم في أذهان الشعوب إبان حقبة الاستعمار.

فكل من صلى على غير صلاة المذهب الحنفي يتهم فوراً بالوهابية، إلا إذا وضّح لهم أنه يصلي على غير المذهب الحنفي.



وعلاوة الوهابية عندهم، الجهر بآمين بعد قول الإمام في صلاة الجماعة (ولا الضالين) ورفع اليدين في الصلاة عند الركوع والرفع من الركوع، ووضع اليدين على الصدر وفتح القدمين وتحريك الأصبع في حالة جلسة التشهد، وغيرها.

ولا أريد أن أضرب أمثلة كثيرة على ما كان يشكل ثقلًا على كاهل الشيخ عبد الله عزام وهو يمهّد الطريق أمام المجاهدين العرب، فهو -من جهة- يريد أن يُطَبِّع العربي مع الأفغاني حتى يؤدي العربي فريضة الجهاد، ومن جانب آخر يريد أن يطبع الأفغاني مع المجاهد العربي عبر إزالة الموروث الذي ورثه الأفغان خلال عقود كثيرة من الزمن، فهو يقف على مسافة بين طرفين ليس من السهل أن تلتقي المفاهيم بسهولة ويسر.

ولعلنا نضرب مثلاً واحداً فقط على سلوك المجاهد العربي مع الأفغاني:

قلنا إن الشيخ كان يؤكد دائماً للأخ العربي القادم لأرض الجهاد أن يتعامل مع الأفغان بطريقة صحيحة، وأن يراعي المذهب الحنفي، وأن يعالج بعض العادات الموروثة بحكمة، فإذا تصرف العربي مع الأفغاني بفقّه الدعوة وفقّه الجهاد يصبح العربي في نظر الأفغاني حفيداً من أحفاد رسول الله ﷺ، وإذا تعامل مع الأفغان بطريقة فجّة وبأسلوب خشن يصبح العربي في نظر الأفغان وهابياً لا بد من قتاله.

ولك أن ترى نموذجاً من المجاهدين العرب المتحمسين، الذين جاؤوا إلى أرض الجهاد وهم ممن يحملون الفكر السلفي، لترى ماذا حصل بعد أن جهز الشيخ بعضهم بكل ما يحتاجونه من زاد وأرسلهم عبر قافلة إلى إحدى الجبهات داخل أفغانستان، وما أن علم



الأفغان بقدم مجموعة من العرب إلى جبهتهم حتى خرجوا إليهم يستقبلونهم بالبارود وإطلاق الرصاص تحية لهؤلاء الذين هم في أذهان الأفغان أحفاد لرسول الله ﷺ، فكانت الفرحة الكبيرة لدى الأفغان بعد أن جاء العرب وشرفوا جبهتهم.

وهكذا كانت الأجواء مفعمة بالفرح والسرور، إلا أن أحد الإخوة العرب من قصيري النظر لفت انتباهه تميمة معلقة بعنق أحد المجاهدين الأفغان فاندفع إليه وأخذها بيده، ظناً منه أن هذا هو الأسلوب الأمثل للدعوة إلى الله، إلا أن المجاهد أمسك بيده وقال له: ما الذي تريده؟ قال: هذا شرك!! فرد عليه المجاهد الأفغاني بأن هذه التميمة صنعها لي شيخي، ولم يقف العربي إلى هذا الحد، بل أصر على نزعها بالقوة وهو يقول له: هذا شرك لا بد من نزعها. فرجع الأفغاني إلى الخلف وقال له: أنت المشرك، ثم سحب أقسام السلاح وأراد أن يطلق النار على العربي، لولا تداركه بعض الإخوة.

وهنا ندرك النّقل الذي كان يتحمله الشيخ عبد الله عزام وهو يحاول أن يمهد الطريق أمام المجاهدين العرب كي يجاهدوا بجانب إخوانهم الأفغان، حيث كان يحثهم باستمرار كي يستخدموا فقه الدعوة في الوصول إلى قلوب الأفغان.

ومن المعلوم أن الأفغاني إذا أحب العربي يسمع لنصائحه وإرشاداته، ولهذا كان الأولى بالأخ العربي القادم من بعيد، الذي لا يعرف ظروف المجتمع الأفغاني أن يسمع لنصائح الشيخ حتى يملك قلوب الأفغان، تماماً كما فعل الشيخ من أساليب إبان الثمانينيات، عندما أنشأ معسكرات تربية للصف الثاني من قيادات المجاهدين الأفغان، وكان يعتمد في



نهاية كل مخيم إلى إجراء مسابقات ثقافية مفيدة لهم، وكان من بين هذه المسابقات أسئلة تتعلق بواقع المجتمع الأفغاني وعلى رأسها السؤال المهم، ما رأي الإمام أبي حنيفة في التمايم؟

وهنا بالتأكيد كانت الإجابات التي صدرت منهم متباينة، فقال لهم: دعونا نفتح تميمة لنرى ما في داخلها، وبعد أن فتحها وجد فيها رسومات وأباطيل لا يقبلها عاقل مما أثار هذا المنظر السخرية والضحك لدى كثير من الحاضرين، فاندفع الواحد تلو الآخر يلقون هذه التمايم في صندوق كان بجوار الشيخ عبد الله عزام.

أليس هذا أسلوباً أفضل بكثير من أسلوب ذاك الشاب العربي الذي أراد أن ينزعها من المجاهد عنوة؟
كم خسر الأخ العربي عندما قام بهذا الفعل الفج؟

لقد خسر قلوب هؤلاء الذين استقبلوه بالفرحة والسرور، ولك أن تسمع في المقابل قصصاً مضحكة مبكية عند البعض من الأفغان، وإن كنت أنسى فلا أنسى قصة ذاك العربي الذي كان يصلي بجوار مولوي أفغاني، وما أن جلس العربي جلسة التشهد وبدأ يحرك أصبعه حتى وضع المولوي يده على إصبع العربي وكأنه يشير إليه بالقول، كفاك!! إلا أن العربي لم يمتثل واستمر في تحريك أصبعه مرة أخرى ما أغضب المولوي ولم يجد متنفساً له إلا بتشديد قبضته على أصبع العربي وبشده، ولولا رحمة الله بالعربي لكسر إصبعه عقاباً على فعلته، وبعد الانتهاء من الصلاة نظر المولوي إلى العربي نظرة غضب ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم عليك باليهود والأمريكان والشيوعيين مع لفّة



خفيفة باتجاه العربي وقال: والوهابيين...!! وهكذا كرر هذا الدعاء مرة أخرى ظناً منه أن العربي لم يسمعه.

هذا هو النموذج الآخر من الطرف الثاني الذي يعيش في بيئة شديدة التعقيد والتي تحتاج إلى عالم كبير مثل الشيخ يؤقلم العرب عليها كي يندمجوا مع الأفغان وفي الجهة الأخرى محاولته أن يؤقلم الأفغان كي يندمجوا مع العرب حتى تؤدي فريضة الجهاد على أكمل وجه، بل حتى يصبح الجهاد جهاداً إسلامياً عالمياً وليس جهاد قوم، ينحصر في إطار قطر من الأقطار.

وبهذا كان الشيخ رجل المرحلة بامتياز، يعمل داخلياً على دمج الشباب العربي القادم من أقطار مختلفة بعاداته وتقاليده ومذاهبه المختلفة بعادات وتقاليده ومذهب واحد على أرض الجهاد، ومن جانب آخر يعمل على مواجهة المؤامرات الخارجية التي كانت تصب كامل جهدها لتشيويه صورة الجهاد وافتعال المؤامرات الداخلية لتمزيق الجهاد والمجاهدين.

هكذا كان الشيخ جسراً متيناً يربط العالم الإسلامي بأرض الجهاد والعكس.. بل كان يقف على ثغر من أهم الثغور ينافح ويدافع عن صورة الشعب الأفغاني المجاهد المتهم بالجهل أمام العرب وينافح ويدافع عن صورة العربي المتهم بالوهابية أمام الأفغان، وبالتالي نجح الشيخ في بناء جسر المودة بين هذه الشعوب، والحمد لله رب العالمين.



أما الشعار الآخر الذي كان يرفعه الشيخ ويؤكد عليه باستمرار، حتى يخرج المجاهد العربي من نطاق الحزبية الأفغانية، بألا يصدق العربي قول الأفغاني على الأفغاني؛ لأنهم ينطلقون من منطلق الحزبية، فقد يكذب الواحد منهم لنصرة حزبه وقد يدافع البعض منهم عن أخطاء جماعته؛ لذا فإن المجاهد العربي يبقى محترماً عند الجميع إذا بقي بعيداً عن نطاق الحزبية المقيتة، بل يصبح مقبولاً عند الجميع كمصلح بين الأطراف المختلفة.

عرف قدره فوقف عنده

كان ﷺ يتمثل بحديث رسول الله ﷺ "رحم الله امرأً عرف قدره فوقف عنده" أو كما قال ﷺ.

لقد وجدته لا يناعز الأمر أهله ... فكان دائماً يطمئن قيادات المجاهدين الأفغان ويقول لهم: ليس لنا مطمع ولا أي هدف على هذه الأرض سوى تأدية هذه الفريضة التي حُرِّمنا من أدائها فوق أرضنا ... نحن جئنا لخدمتكم كمجاهدين ... نحن خدم للجهاد ... وظيفتنا أن نحمل أحذية المجاهدين، وطعام المجاهدين، ولباس المجاهدين لنوصلها إلى جبهات القتال ... نريد أن نؤدي هذه الفريضة، ونسهل الطريق لمن يريد أن يؤديها فوق هذه الأرض، التي تعتبر جزءاً عزيزاً من أرض الإسلام...

من هنا كان يعتبر نفسه جندياً بجانب قادة الجهاد، ما جعله يحتل مكانة رفيعة في قلوب المجاهدين، هكذا كان الشيخ يحاول إزالة الغضب الذي صنعه المتشككون وأصحاب الأغراض المشبوهة عندما كانوا يشيرون بأن عبد الله عزام جاء ليشكل تنظيمًا عربيًا



جديداً بجوار التنظيمات الأفغانية، بل كان يقطع الطريق على هؤلاء ويطمئن قادة الجهاد بمثل هذه العبارات (نحن جنود عندكم، جئنا لنخدمكم)، هذا الأسلوب الناجح الذي سلكه الشيخ مع هذا الشعب دفع بعض قادة الأفغان الميدانيين ليقولوا: "لو رشح الشيخ نفسه لقيادة أفغانستان لنجح في الانتخابات"، كناية عن المحبة التي مكنت له في قلوب الأفغان.

مكانة العربي لدى الأفغان

قد يظن البعض أننا نبالغ عندما نتحدث عن المكانة التي يتمتع بها العربي عند الأفغاني، إلا أن الحقيقة التي لا يجوز لنا أن نتجاهلها أبداً هي أن الأفغاني كان ولا يزال يعتبر العربي حفيداً لرسول الله ﷺ.

ولذلك سبق وأن كتب الشيخ عبد الله عزام افتتاحية لمجلة الجهاد (1) بعنوان: مسؤولية العرب أمام الله، بين فيها تقصير العرب تجاه هذه الشعوب، والخسارة الكبيرة التي خسرناها لعدم استثمار ثقة الأفغان والباكستانيين لخدمة الإسلام والمسلمين طيلة العقود الماضية..

ولتوضيح هذا الأمر فإن الأفغاني إذا وثق بالعربي فإن أحداً في الأرض لا يستطيع أن ينزع هذه الثقة، بل لا يستطيع أحد في الأرض أن يتعدى عليه، فله ما لهم، وعليه ما عليهم، وهم مستعدون أن ينفوا قبيلة بكاملها من أجل الدفاع عنه، فكيف إذا صاهرهم وأصبح منهم؟؟.

(1) تجدها في مجلد خضم المعركة الذي جمع فيه جميع افتتاحيات مجلة الجهاد وكذلك تجدها في موسوعة الذخائر (المجلد الثاني).



ولهذا كان حبهم للشيخ عبد الله عزام حبا شديداً، يعتبرون أن الفلسطيني الذي لا يعرف عبد الله عزام ليس فلسطينياً، فضلاً عن أن معظمهم يعتبرونه شهيد أفغانستان.

حدثني أحد المجاهدين الجزائريين قال: حضرت كلمة للشيخ محفوظ النحناح وهو في الجزائر يتحدث فيها عن استشهاد الشيخ عبد الله عزام بعد استشهاد مباشرة وما أن انتهت المحاضرة حتى أنفض الناس كل إلى عمله، هذا تاجر، وذاك عامل وآخر سائق تاكسي والكل خرج متفاعلاً مع هذه المحاضرة.

يقول لي صاحبنا: حدثني أحد السائقين ممن حضر المحاضرة قائلاً: خرجت وأنا أفكر بهذا الرجل وما سمعته من الشيخ النحناح عنه وما أحدثه من تغير في نفوس الشباب، وما زالت المعاني تتفاعل في نفسي فأوقفني شاب في مقتبل العمر: فأخذته معي، ونحن نعلم أن السائقين غالباً لا يصمتون، بل يتحدثون ويسألون كثيراً.. فنظرت إلى هذا الشاب الذي بجانبني فوجدت أن سحنته وبشرته لا تشبه الجزائريين فسألته: من أين أنت؟ فرد عليّ؛ من فلسطين، فكان أول سؤال تبادل إلى ذهني أن سألته عن الشيخ الذي كان يتحدث عنه الشيخ النحناح قبل قليل، فقلت له: هل تعرف عبد الله عزام؟ فرد عليّ وبسرعة؛ لا..!! فعدت من مكاني وأنزلت الراكب من المكان الذي ركب منه وقلت له: انزل هنا، عندما تعرف عبد الله عزام أركبك بسيارتي.

هذه القصة حدثني إياها أحد الإخوة المجاهدين الجزائريين أيام كنا في أرض الجهاد بعد استشهاد الشيخ عبد الله عزام مباشرة.



الوضع عام 1986م

بدأت بعض الدول العربية والدولية تتحسس من وجود الشيخ على الساحة الأفغانية، بعد أن وصل إلى الساحة أعداد كبيرة من الشباب العرب والمسلمين، وذلك استجابة لفتوى نشرها الشيخ تتعلق بفريضة الجهاد.

هذه الفتوى كان لها الأثر الكبير في نفوس المسلمين، بل لقيت استجابة لا نظير لها بين شباب الأمة الإسلامية، ولهذا ارتجت فرائص هذه الدول خشية من التفاف هؤلاء الشباب حول شخصية الشيخ والتأثر بفكره، فكان لا بد لهذه الدول أن تستخدم أسلوب الترغيب والترهيب.. فكان أول هذه الأساليب يوم أن عاد الشيخ إلى السعودية ليجدد عقده السنوي مع جامعة الملك عبد العزيز بجدة أوائل عام 1986م، فتفاجأ من إدارة الجامعة بعدم موافقتها على تجديد العقد ورغبتها الملحة بأن يعود مدرساً فيها، ما دفعه للاستقالة من الجامعة، عندها علم الدكتور عمر عبد الله نصيف - أمين عام رابطة العالم الإسلامي آنذاك بخبر الاستقالة- فأشار عليه بأن يستلم رابطة العالم الإسلامي في باكستان وأفغانستان، إلا أنه رفض رفضاً قاطعاً حيث قال: لا أريد أن استلم عملاً رسمياً أكبل من خلاله، ومن هنا، قبل أن يكون مشرفاً تعليمياً خالياً من القيود الرسمية.

ملاحقته من قبل الحكومة الباكستانية

بعد أن فشلت الخطوة الأولى بإبعاده من أرض الجهاد طوعاً، بدأت الضغوط على الحكومة الباكستانية، لإخراجه من أراضيها، فبدأت بملاحقته..



كانت أولى هذه الخطوات على المستوى الرسمي بأن توجه السفير الباكستاني نحو الدكتور ناصيف، أمين عام رابطة العالم الإسلامي بجدة، وقال له: "لك صديق على أرض باكستان، نرجو أن تقنعه بالخروج من هناك".

فرد عليه الدكتور عبد الله ناصيف بقوله: إنه يعمل في التعليم..

قال السفير: إنه لا يعمل في التعليم!! إنه يعمل في الجهاد..

قال له ناصيف: سأكتب له رسالة حتى يعمل في التعليم..

قال له السفير: لا يسمع لك.. لأنه يحمل سلاحه على كتفه ويقول: الجهاد فرض عين ولا إذن لأحد على أحد في فروض الأعيان، يخرج الولد دون إذن والده، وتخرج الزوجة دون إذن زوجها، ويخرج العبد دون إذن سيده.

فرد عليه ناصيف: إذن سأذهب إلى باكستان وأقنعه بالعمل في التعليم.

وفعلاً توجه الدكتور ناصيف إلى باكستان والتقى مع الشيخ، وطلب منه أن يذهب إلى السعودية لمدة ستة أشهر حتى تزول هذه الزويدة، إلا أن الشيخ رفض هذا الطلب باعتبار أن هذه الخطوة إنما هي الخطوة الأولى لإخراجه من أرض الجهاد، حيث قال: هم يريدون أن يخرجوني من أرض الجهاد، لن أخرج من هنا..

فقال ناصيف: نخشى أن يقتلوك يا شيخ!! يوجد لرابطة العالم الإسلامي جامعة في النيجر، اذهب واستلم هذه الجامعة، فهنا جهاد وهناك جهاد..

رفض الشيخ هذه المحاولات وقال: شتان ما بين هذا الجهاد ذات الشوكة الذي فيه القتل والرصاص، وذاك الجهاد الذي فيه القلم والقرطاس..



ثم قال: لن أخرج من أرض الجهاد إلا بإحدى ثلاث: إما أن أقتل في باكستان، أو أقتل في أفغانستان، أو تكبلني الحكومة الباكستانية وتخرجني خارج أراضيها.. لن أخرج من أرض الجهاد إلا بإحدى هذه الثلاث...

قال ناصيف: إذن...!! ماذا ستفعل يا شيخ؟

قال الشيخ: سأدخل إلى داخل أفغانستان..

وهكذا دخل إلى أفغانستان ومكث هناك في معسكرات المجاهدين العرب التي تقع تحت مسؤوليته ما يقارب الخمسين يوماً، حيث فسر خلالها سورة التوبة في 45 (كاسيت)، فرغت بعدها وطبعت عبر مجلد تحت اسم: "في ظلال سورة التوبة" (1).

زينب الغزالي توقف ملاحقته في أواخر عام 1986م

في هذه الفترة.. كان وما زال ضياء الحق رَحِمَهُ اللهُ رُئِيساً لباكستان، وكان رجلاً مسلماً يحترم زينب الغزالي احتراماً ملفتاً لمواقفها الصلبة إبان حقبة عبد الناصر، إلى أن وصل به الأمر أن يستقبلها في المطار ويودعها كلما قدمت وغادرت باكستان.

وتدور الأيام لتحمل معها خبر قدوم الحاجة زينب الغزالي إلى باكستان لتلتقي بالشيخ عبد الله عزام في فترة كانت هي من أشد الفترات ملاحقة ومطاردة له من قبل الحكومة الباكستانية.

(1) أضيف هذا المجلد إلى بداية المجلد الرابع لموسوعة النخائر للشيخ.



وهكذا وَقَفْتُ الحاجة زينب على مجريات الأحداث، وعلمت أن الشيخ يطارد من مكان لمكان من قبل الحكومة الباكستانية، فقررت أن تغتنم هذه الفرصة لتلقي ما بنفسها لضيء الحق، وفعلاً كانت الفرصة مناسبة أثناء وداع ضياء الحق لها في المطار عندما قال لها: أي خدمات يا حاجة؟ فردت عليه قائلة: أوصيك بابني..!!، قال لها: ألك ابن في باكستان وأنا لا أدري؟ قالت: نعم، عبد الله عزام.. بعدها توقفت كل الملاحظات والمطاردات التي كانت تلاحقه من قبل الحكومة الباكستانية بشكل نهائي.

اشتداد الضغوط

بعد الانتهاء من مطاردة الشيخ من قبل الحكومة الباكستانية، أصبحت الضغوط مزدوجة.. فمن جانب، نرى الضغوط الدولية على باكستان وعلى ضياء الحق واضحة للعيان، هدفها إنهاء الحكم العسكري وتحويله إلى حكم مدني حتى يتسنى للمؤامرات أن تأخذ مجراها في شراء ذمم السياسيين؛ لأنه غالباً ما تباع البلاد والعباد إلا من قبل الطبقة السياسية التي لا تعرف قيمة للأوطان، وهذه عبارة كان يرددها الشيخ عبد الله عزام باستمرار ويقول: إن العسكري الوفي لبلده يدرك مقدار الدماء التي تسفك من أجل إعادة شبر من الأرض، بينما السياسي الذي لا مبدأ له لا يدرك هذه المعادلة أبداً، وأجمل ما يعبر عن مثل هذا الأمر قول الشاعر:

ومن أخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

اشتدت الضغوط الأمريكية على الحكومة الباكستانية وطالبتها بإنهاء الحكم العسكري واستبداله بحكم مدني، وإلا ستقوم أمريكا بقطع كل المساعدات عن باكستان، وكل ذلك بعد أن رفع ضياء الحق ملاحظته للشيخ عبد الله عزام، الذي كان يشكل خطراً في نظر



الأمريكان بسبب تجميعه للمجاهدين العرب وغسل أدمغتهم بفكر الإخوان المسلمين فوق أرض الجهاد.

بعد مشاورات بين ضياء الحق ومستشاريه وافق ضياء الحق على إنهاء الحكم العسكري وتحويله إلى حكم مدني.

بعد سنة ونصف تقريباً اكتشف ضياء الحق أن هذه الحكومة تعمل مع الأمريكان خاصة رئيس وزرائها المسمى بـ (جينيجو) مما دفع ضياء الحق لإقالتها بعد أن قال (جينيجو) لضياء الحق: سأشكوك للأمريكان يا ضياء...!! جمع ضياء الحق الحكومة وأنهى عملها ثم ألقى خطاباً يتضمن محورين اثنين:-

المحور الأول, قال فيه: سأطبق الإسلام ولو كلفني نفسي وعرشي.

أما المحور الثاني, فقد قال فيه: سأقف مع الأفغان حتى ينتصروا وأودع آخر مهاجر أفغاني على بوابة طورخم الحدودية مع أفغانستان .

جمع ضياء الحق قادة الجهاد وقال لهم: لقد وقع الأمريكان أوراق قتلي وقتلكم، والله أعلم أيهما السابق إلى ربه.. وقد أشار ضياء الحق في نفس الجلسة إلى أن الشيخ عبد الله عزام على قائمة الاغتيالات والتصفيات. ⁽¹⁾

وفعلاً، بعد فترة وجيزة تم إسقاط طائرة ضياء الحق في عام 1988م وقتل معه خيرة من رباهم من الجنرالات وكان عددهم 28 جنراًلاً.

(1) قول ضياء الحق بأن الشيخ عبد الله عزام على قائمة الاغتيالات, نقلتها عن الأخ المجاهد المرحوم (أحمد عليان - أبوحنيفة), سمعها مباشرة من الشيخ عبد الله عزام.



الضغوط على الشيخ

قلنا إن الضغوط اشتدت على ضياء الحق بعد أن رفع الملاحقة والمطاردة عن الشيخ عبد الله عزام، إلا أن الضغوط على الشيخ اشتدت وتتنوع ضده عبر إرسال مخابرات بعض الدول العربية والإسلامية إلى الساحة الباكستانية والأفغانية للتشويش على المجاهدين الأفغان، وعرقلة عمل الشيخ والتتغصص عليه، حتى بلغ بهم الأمر؛ أن يتهموا المجاهدين بدينهم وعقيدتهم، هؤلاء كانوا ممن ينتسبون إلى إحدى الجماعات الإسلامية زوراً وبهتاناً يأكلون من أكل المجاهدين، ويلبسون من لباس المجاهدين ومع ذلك يشكون بعقيدة المجاهدين، إلى أن أصبحوا شوكة في حلق المجاهدين، بل شوكة في خاصرة الجهاد برمته خاصة بعد أن قالوا فريتهم التي ما فتننا نسمعها منهم ليل نهار: "القتال في أفغانستان هو قتال بين الملحدين والمشركين".

أقول: هؤلاء المشوشون بدؤوا ينطلقون في تشويشهم على الجهاد من منطلق السنة والعقيدة والبدعة حتى وصل بهم الأمر إلى محاولة الإيقاع بين الشيخ عبد الله عزام والشيخ عبد العزيز بن باز رحمهما الله حيث بدأوا ينقلون للشيخ ابن باز أن الشيخ عبد الله عزام يحارب السنة، ففاته ذات مرة بالأمر، فرد عليه الشيخ عبد الله قائلاً: يا شيخ عبد العزيز، هل أخذت من دنياك شيئاً؟ فرد عليه الشيخ ابن باز: لا، قال الشيخ عبد الله: والله لا أطمع في دنياك في المستقبل في شيء، والله إن العقيدة التي تحملها في صدرك أحملها قبل أن أعرفك بعشر سنوات.. يا شيخ عبد العزيز، لماذا أنتم تصرون على تسييس العقيدة وجعلها محصورة في حزب سياسي أو جماعة واحدة؟؟ هذه العقيدة لجميع المسلمين وليست لفئة واحدة بعينها.



عندما وضحت الصورة لدى الشيخ ابن باز، اتفق مع الشيخ على كل ما طرحه واقتنع أن كل ما نقل إنما كان من باب الفتنة بين العلماء.

وقد كنا نطلق على فئات المشوشين والحدانين وأصحاب الفتاوى أسماء متعددة إلا أن الشيخ عبد الله كان يقول لنا: هؤلاء منتطعون، كما سماهم بذلك الرسول ﷺ حيث قال عنهم: (هلك المنتطعون) وكان يقول عن الشباب الذين يتهمون المجاهدين ويفتون ضدهم: فتاوى ذات البلاوي، هؤلاء عندهم مأكنة إفتاء اسمها بالإنجليزي (فتوى مشين)، بالضغط الواحدة تخرج عدة فتاوى جاهزة.

وقد درجت بعض الفئات في الخليج على اتهام الإخوان بعقيدتهم وأن عقيدتهم فيها شيء، إلا أن الشيخ عبد الله فند للشيخ ابن باز هذا الأمر بعد أن أعطاه كتاب الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين وقال له: هذه هي عقيدة الإخوان المسلمين يتربى عليها أبناء الإخوان في جلساتهم.

وبعد أن قُرئ الكتاب على مسامع الشيخ ابن باز قال: عقيدة الإخوان سليمة وليس فيها شيء، وأمر بطباعة الكتاب عشرات الآلاف من النسخ ووزعت عن طريق الإفتاء في السعودية وغيرها.⁽¹⁾

الهجوم الإعلامي الغربي على الشيخ والعرب :

وهكذا استمرت الضغوط المعلنة وغير المعلنة والمباشرة وغير المباشرة وحملة التشویش عبر المغرضين والمثبطين والمنتطعين ومأكنة التشویش الإعلامية الغربية

(1) كل ما سبق سمعته من الشيخ عبد الله عزام مباشرة.



والعربية التي تشن على الشيخ داخلياً وخارجياً وعلى جميع المستويات، إنها حرب ولكن من نوع آخر.

وهنا كان لا بد لنا أن ننقل جواب الشيخ على هذه الحملة عبر سؤال وجه إليه حول سر الهجوم الإعلامي الغربي ضده وضد العرب حيث قال: "يهدف الهجوم الغربي على دور الإخوة العرب إلى تحجيم الجهاد، وإخفات صوت المعركة، وكف الأيدي عن البذل، ومنع انتشار روح الجهاد في العالم الإسلامي، وطمس معالم البطولة وآيات التضحية الرائعة التي تصلح أن تكون زاداً لتربية الأجيال في القرون القادمة، كما أن اليهود وإعلامهم وراء هذا الكبر الذي يبث ليل نهار ضد العرب، فاليهود ترتعد فرائصهم خوفاً أن يصل نور هذا الجهاد إلى أعماق الأرض المباركة، فيؤجج لهيب المعركة التي تقودها حماس بالحجارة. واليهود يخشون أن تتحول معركة الحجر إلى رصاصة وقنبلة، وهذا كله يكون بالتأسي والإقتداء بليوث الله الذين يكبرون فوق ذرى الهندوكوش.

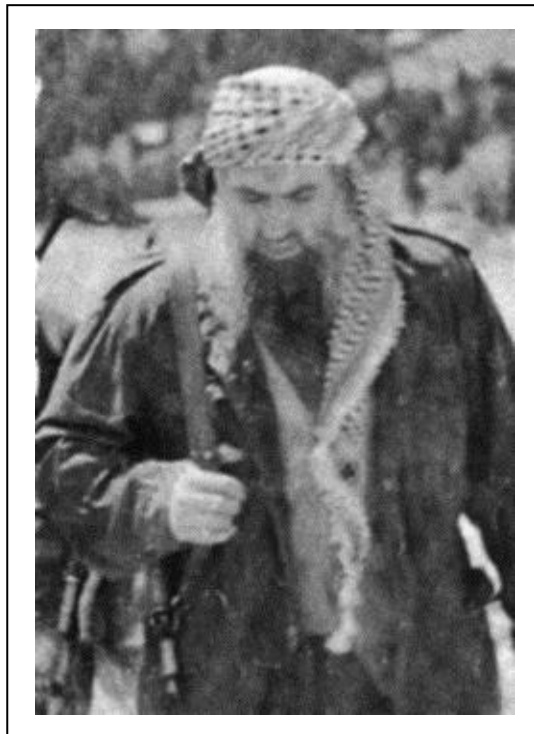
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

أما عن كونهم يهاجمونني شخصياً، فلأنهم يعلمون أنني تربيت في دعوة الإخوان المسلمين، الغول الذي يقض مضاجع الكفر جميعه ويؤرق أجفانه، وهم يعلمون أن الله سخرني لتجميع كثير من هؤلاء الشباب وتوجيههم وتعميق معاني الجهاد في نفوسهم وتنشيتهم بفضل الله وعونه في أرض المعركة، أضف إلى هذا أن اليهود يعلمون أنني فلسطيني ويخشون أن ننقل المعركة إلى بيت المقدس - إن شاء الله - مع جند الله الذين خاضوا أشرس المعارك حول كابل وقندهار وجلال آباد.



وأخيراً هم يعلمون أكثر من غيرهم، أنه ليس لطاغوت في الأرض سلطة عليّ، ولا تربطني أية مصلحة مع أية دولة عربية، حتى مع الأردن التي أحمل جنسيتها، فالأردن لم أدخلها منذ أربع سنوات، ولم أر بيتي في عمان ولا أهلي منذ هذه الفترة، ولا تستطيع سلطة في الأرض أن تزاول عليّ ضغوطاً نفسية أو معنوية أو مادية، حتى باكستان التي نعيش فوق أرضها، فلو كشرت عن أنيابها تركنا لها أرضها ودخلنا داخل أفغانستان، وحسبنا الكلام عن أنفسنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، ونستغفر الله (عز وجل) من تزكية أنفسنا. وختاماً فإنهم يعلمون أنني، إن غادرت هذه الأرض - والله أعلم - فسينفض السامر، ويتفرق الجمع إلا من رحمه الله. (1)

(1) من كتاب سعادة البشرية ص68.





رابعاً: مناقب الشيخ فوق أرض الجهاد, وقصص لا تنسى.

- ❖ طرف من سلوك الشيخ.
- ❖ طرف من سلوكه بين الناس .
- ❖ طرف من حياته المعيشية .
- ❖ طرف من الهيئة الظاهرية للشيخ أثناء تحركه .
- ❖ نموذج من القصص في التعامل مع غيره .
- ❖ صلب المكسر, لكن ليس لين المعصر.
- ❖ كلمة تقابل الملايين.
- ❖ ذكريات لا تنسى .
- ❖ نموذج من الإصلاح الذي كان يقوم به الشيخ أواخر عام 1388-1389م
- بين قادة الجهاد.
- ❖ دروس وعبر أخرى من خلال الدعوة الإسلامية الأفغانية.



طرف من سلوك الشيخ

درجت العادة في الحياة البشرية أن الإنسان لا يمكن أن يعرف الرجال أو معادنها أو الحكم عليهم حكماً حقيقياً صائباً إلا بعد مخالطتهم والعيش معهم جنباً إلى جنب ولفترات طويلة..

ومن هذا المنطلق كان لنا الشرف الكبير أن نعيش جنباً إلى جنب بجوار شيخنا الحبيب لفترة زمنية كافية، تمكننا من نقل بعض ما نعرفه عن الشيخ وسلوكه مع الله، ومع الناس فوق أرض الجهاد..

أما سلوكه مع الله، فقد كنت لا أجده إلا قائماً صائماً إلا ما ندر، خاصةً في أيامه الأخيرة من حياته.. وكان لنا ذكريات معه ليلة استشهاده ما زالت عالقة في الأذهان، إذ كان صائماً يوم الخميس ومدعواً على الإفطار ليلة الجمعة في بيت إحدى بناته، ولم يكد ينتهي من إفطاره حتى بدأ يكتب آخر افتتاحية للنشرة الأسبوعية - لهيب المعركة - تحت عنوان: الأسود الجائعة⁽¹⁾..

هكذا كانت حياته عامرة، حتى على الطعام، لم يكن يترك الأجواء في سكون، بل كان يشغلها بقال الله وقال الرسول.. لئلا يكون هناك مجال للغيبة أو النسيمة أو في أمر لا يرضي الله تعالى..

(1) مجلد كلمات من خط النار الأول، وقد أضيف هذا المجلد إلى موسوعة النخائر المجلد الثاني.



وهكذا كان يستعين بالصبر والصلاة والصوم على مواصلة طريقه، وهذا ما عبر عنه في افتتاحية النشرة التي سبقت استشهاده بأسبوعين تحت عنوان:

يا أقدام الصبر احملني⁽¹⁾.. ولم يقتصر هذا الأمر على تربية نفسه على هذه المعاني بل كان يربي بها تلاميذه..

وما زلت أذكر موقفاً في يوم من الأيام التي عشناها معه في أحد المراكز التربوية، الذي كان يقيمها لتربية الشباب، وكان في حينها وقت العشاء حيث وضع أمامنا العشاء، وما أن بدأنا بتناول بعض اللقيمات حتى رأيناه يقف على قدميه ويقول: قفوا جميعاً.. ثم أمر برفع الطعام وقال: غداً إن شاء الله صيام..

لم يدرك كثير من الشباب البعد التربوي لهذا الأسلوب إلا من خاض غمار التربية الحقيقية على أرض الواقع أو خاض غمار المعارك وجهاً لوجه مع أعداء الله..

وأما صلاته: فقد كانت على رأس أولوياته وفي مقدمة اهتماماته، فأينما حل أو ارتحل نحو جبهات القتال وحان وقت الصلاة كانت تقام الصلاة فيصلي بمن معه من الشباب أو يقدم شخصاً يختاره اختياراً لإمامة المصلين..

هكذا كان دينه حتى في النوافل، كان يحافظ عليها في بعض أسفاره.. وكان يقول ﷺ: تعلمت قيام الليل منذ الصغر من والدي.. فكنت أراه يقوم الليل باستمرار فاعتدت عليها، ولم

(1) المصدر السابق نفسه.



أقطعها في الكبر.. ونحن نعلم أن قيام الليل يحتاج إلى صبر ومصابرة لا يحتملها إلا أصحاب النفوس الكبيرة، ولا يحتملها إلا من أهل نفسه للقيادة، وقد كنت أرى في الشيخ وصبره ما قاله سيد قطب رحمه الله: (وإن في صبرنا صبراً للكثيرين)..

وكان يكرر الشيخ أماننا باستمرار تلك العبارة المشهورة: (نحن نسهر حتى ينام الناس، ونتعب حتى يرتاح الناس)..

أما الوضوء: فكان يتوضأ لكل صلاة، بل كان يقول: ثلاثة لا تفارقني.. الوضوء والسواك والمصحف.. وأضاف إليها رابعة في أرض الجهاد، السلاح في أرض المعركة.

أما الجهاد: فكانت كلماته ومعانيها تجري في عروقه مجرى الدم، تصدر من القلب فتصل إلى القلوب، ولذلك رأيناه يعيش على هذه المعاني وقد تمثلت في مقدمة وصيته المشهورة بقوله: لقد ملك عليّ حب الجهاد أحاسيسي ومشاعري.. فكانت فعلاً وصية شاملة للدعاة والعلماء ولأهله ولأولاده وللمسلمين عامة، حيث يقول في وصيته للدعاة:

يا دعاة الإسلام: لا مكانة لكم فوق الأرض ولا تحت الشمس إلا إذا امتشقتكم أسلحتكم.. إنها كلمات، لكنها تخرج من القلب ومن عمق التجربة، ولننظر إلى ما قاله أيضاً:-

وصيته للعلماء: يا علماء الإسلام تقدموا لقيادة هذا الجيل الراجع إلى ربه..

ولهذا كان الجهاد يسيطر على نفسه وأعصابه وحياته وكان يقول: إن الأمة التي لا تجاهد لا تستحق الحياة.. ومن هنا أصدر فتواه في فريضة الجهاد تحت عنوان: الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان. وقد قرأ هذه الفتوى أمام علماء الأمة الإسلامية القادمين إلى



الحج في مكة المكرمة عام 1983م، وقد كنت حاضراً هذا الجمع الكبير في "منى" أسمع وأرى نظراته وحركاته وهو يخاطبهم قائلاً: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا عبد الله عزام، ثم قرأ الفتوى وعقب عليها: من كان عنده اعتراض فليعترض، فلم يعترض عليه أي عالم من علماء الإسلام والمسلمين الحاضرين..

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن ثلثة من العلماء المعروفين قدموا لهذه الفتوى وأثنوا عليها، وأخيراً: عرضها على الشيخ عبد العزيز بن باز، فعلق عليها بنقطتين:-
الأولى: أنها طويلة واقتراح اختصارها.

والثانية: أن يضمن عنوان الفتوى: كلمة "من" عند كلمة (أهم) فروض الأعيان، بحيث يصبح العنوان: الدفاع عن أراضي المسلمين من أهم فروض الأعيان، فرد عليه الشيخ قائلاً: لقد أخذت هذا العنوان من فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه.. وعلى هذا يكون الإيمان أولاً ثم يأتي بعده مباشرة الجهاد.. فسكت الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ...

أما مسلكه في الدعاء: فكان جزءاً لا يتجزأ من عبادته وفي معظم أوقاته، خاصة بعد صلواته المكتوبة وقنوته ونهاية خطبه، وكان أكثر العبارات التي يكررها في دعائه:
اللهم مكن للمؤمنين في الأرض.. كان يكررها ثلاثاً..
اللهم أحيينا سعداء وأممتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ..
اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى..
اللهم أقم دولة الإسلام وحكم دولة القرآن واجعلنا من جنود القرآن..



لقد كنت أرى في سلوكه ما جاء في الحديث القدسي "...أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، كنت أرى آيات الله تطبق على الأرض في كل حركة يتحركها.. فكان لنا الشرف أن نعيش بجواره لننهل من فضله وعلمه وخلقه.

طرف من سلوكه بين الناس

من أجمل ما رأيته بهذا النموذج إخلاصه وصدقه مع الله ثم مع الناس، فما رأيته أحداً يحب العلماء والناس الضعفاء والفقراء، خاصة كما رأيته واضحاً في سلوك الشيخ، بل حتى مع خصومه ومخالفيه، كان لا يحقد عليهم، وأقصى ما كان يعبر عنه تجاه المشوشين والحدانين بمقولته المشهورة: (الله يبعدهم ويسعدهم).

لقد كنت أراه يسير على الأرض وقد تحققت فيه صفة الجيل الفريد الذي قال عنه سيد قطب رحمه الله في يوم من الأيام : نريد جيلاً قرآنياً فريداً يدب على الأرض.. هكذا كان الشيخ رحمه الله يحول ما يحفظه من نصوص إلى حركات وسلوك على أرض الواقع.

كان لا يلتفت لسفاسف الأمور مع الناس، خاصة بعد أن وضع نصب عينيه استنهاض الأمة ومقارعة الأعداء في ميادين القتال طمعاً منه في إقامة دين الله في الأرض.

وكان من شيمه رحمه الله أن لا يؤذي جاراً ولا أحداً من المسلمين، ولا يقطع رحماً من أرحامه ولا يجافي صديقاً، فضلاً عن أنه كان مرضياً عنه من قبل والديه وباراً بهما.



هكذا كانت حياته بين الناس، لا يجد باباً للخير إلا وطرقه، يسعى على الأرملة واليتيم وصاحب الحاجة وإصلاح ذات البين وإدخال السرور إلى قلوب المؤمنين (فطوبى لمن كان مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر).

طرف من حياته المعيشية

عشت في الحقيقة مع كثير من الناس خلال تجربتي في الحياة، فلم أجد حياة ألد ولا أطيب عيشاً أكثر مما عشتها مع الشيخ، ولذا فإنني أعتبر الحياة الحقيقية التي عشتها بحق هي تلك الحياة التي عشتها بجانب الشيخ.

لقد كانت المداعبة والنكتة حاضرة باستمرار لدى الشيخ، يمازح بها أصحابه وتلامذته، مما يجعل الدائرة التي تحيط به تعيش على الأمل الكبير بعيدة عن الكلال والملل..

لقد شاركته طعامه وشرابه، ورافقته في منامه ويقظته، فوجدته قطعة من السلف الصالح⁽¹⁾ وهو ما عبر عنه الأستاذ الدكتور أحمد نوفل أثناء التأبين الذي أقامته حركة الإخوان المسلمين للشيخ في الأردن عقب استشهاده مباشرة، حيث خاطبه بقوله: يا توأم الروح.. ثم قال: لقد كان رحمه الله قطعة ممن تبقى من السلف الصالح.. وقال: إنه كالضوء يتجمع حوله من أراد أن يهتدي بهديه ..

(1) الشيخ القرضاوي تحدث حول هذا الموضوع في خطبة الجمعة التي استشهد فيها الشيخ عبد الله عزام ووصفه بجبل السلف الصالح. واستجد أخي القارئ مقتطفاً منها أثناء هذا الكتاب إن شاء الله.



لم يكن يتميز في يوم من الأيام عن غيره بطعام أو شراب.. ولم يكن هناك طعام للقيادة وطعام للجنود، وطعام للمسؤولين، فليس هناك طعام للراعي وطعام للرعية.. لم يكن يزد عليهم لا بعدد ولا بنوع.. كان يشاركونهم في طعامهم، ويجلس معهم على التراب في مجالسهم.. كان بينهم باستمرار كواحد منهم دون تمييز، وكان إذا نزل في أي مكان يأتمر بأمر أمير المكان الذي ينزل فيه رغم أنه هو الأمير العام.. وإذا أمره الأمير بالزحف كان يطيع فيزحف.. وإذا صعد الجبال كان في المقدمة.. لم يكن أحد من الشباب يسبقه.. ولم أجد أحداً ممن عشت معهم أكثر منه همة ووعياً وحماسة لهذا الجهاد رغم مشاق الطريق..

ومن هنا، عندما كان يُسأل: لماذا لم يأت العالم الفلاني إلى أرض الجهاد؟؟ فكان يجيب: أنا أعرف لماذا لم يأت هؤلاء...!!

إن عبادة الجهاد من أشق العبادات البدنية على النفس البشرية، ففيها ضريبة غالية وثمينة.. وفيها غربة عن الأهل واللغة والعادات والتقاليد.. غربة في الطعام الفاخر الذي اعتاد عليه في بلده.. وغربة في التخلي عن كل الألقاب الدنيوية كالأستاذ والدكتور والبروفيسور والمهندس وما إلى ذلك من هذه الألقاب؛ لأجل ذلك كله لا يستطيع الصبر على هذه العبادة إلا أصحاب النفوس الكبيرة..



طرف من الهيئة الظاهرية للشيخ أثناء تحركه

بعد أن رأينا جانباً بسيطاً من سلوك الشيخ على أرض الواقع، كان لا بد لنا أن نوضح باختصار الهيئة الحقيقية التي كان عليها الشيخ في حياته واللباس الذي كان يلبسه على المستوى الرسمي والشخصي بالأمثلة.

• على المستوى الأمني :

لم يكن الشيخ يستقر على لباس معين .. فكان دائماً يغير هيئته الخارجية، فتارةً يلبس العمامة الأفغانية، وتارة يلبس الكوفية الفلسطينية، وقد تلاحظ هذا الأمر عن طريق مشاهدتك له عبر خطبه يوم الجمع ومحاضراته المسجلة على أشرطة الفيديو، حيث كان يبدل لباسه بشكل مستمر ..

• أما على المستوى الرسمي:

فقد التقيناه عام 1979م في الأردن أيام كان يدرّس في الجامعة الأردنية، وكان هناك حاجة ماسة للالتقاء مع أحد الأقرباء الرسميين يتعلق بمسألة من المسائل .. وغالباً ما كان يلبس الشيخ لباسه المعتاد المتمثل بالدشداشة والجاكيت .. خرج الشيخ قليلاً من جلستنا ثم عاد مرتدياً البدلة الرسمية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشيخ كان يتعامل مع الناس بما يتناسب مع من سيلتقيهم، بل كان يتأقلم مع الواقع الذي كان يعيش فيه، ويتعاطى مع الناس كل حسب موقعه في المجتمع .. كان رحمته الله يفهم نفسيات الناس ونظراتهم فيتعامل معهم بالطريقة التي تتناسب معهم بما يرضي الله (عز وجل).



كنت أفهم ما يقصده الشيخ ولكن، ليس الفهم الكامل حتى رأيت منه موقفاً آخر على أرض الواقع في الساحة الجهادية، حيث وصلته بعض الأمانات إلى مطار بيشاور المدني الباكستاني، وكان لا بد أن يستلمها بيده شخصياً، وما هي إلا لحظات أثناء جلستنا التي جمعتنا حتى عاد إلينا بلباس عربي، الدشداشة والجاكيت يعلوها العباءة العربية فضلاً عن الغُطرة والعقال، فقلت له: لماذا غيرت لباس المجاهدين ولبست اللباس العربي يا شيخ؟ فرد عليّ قائلاً: هؤلاء الناس يحترمون المظاهر فلا بد أن نتعامل معهم بنفس الأسلوب الذي يفهموه وهي طبيعة أهل الدنيا، وإلا سينظرون إلينا نظرة الدون والاستهتار، وفعلاً ما إن وصلنا المطار وسألنا عن مدير المطار حتى خرج إلينا بنفسه يستقبلنا استقبالاً حاراً..

ولا بد هنا من التنكير بأن الأعاجم بشكل عام يحترمون العربي وينظرون إليه نظرة احترام وتقدير، وذلك لأحد أمرين: إما أن يكون هذا الاحترام متعلقاً بالدين باعتباره حفيداً من أحفاد رسول ﷺ كما يعتقدون، وإما لدنياه فيظفرون بشيء منها.



نموذج من القصص في التعامل مع غيره

قصص كثيرة لا تعد ولا تحصى وقعت مع الشيخ أثناء تعامله مع غيره فوق أرض الجهاد تدل على سعة صدر الشيخ وعظم قلبه وحلمه واحتماله للآخرين، وإن دل على شيء فإنما يدل على أن هذه الصفات لا يتمتع بها إلا من اتصف بصفات القيادة ومن عنده القدرة على سياسة الناس، مع أن الشافعي رحمه الله يعتبر أن سياسة الناس صعبة جداً ويصفها بأن سياسة الدواب أسهل من سياسة البشر... ولذلك يقول الشيخ في أكثر من مناسبة، بأن من أصعب الأمور على النفس البشرية أن يتعامل الإنسان مع العقول والنفوس لما يعترئها من شهوات ونزوات.. واختلافها عن بعضها البعض في العقول، ومن هذا المنطلق سنتناول قصتين فقط حول هذا المجال إن شاء الله :

أ- أما القصة الأولى: فقد جاءني أحد طلاب الشيخ بعد استشهاده بسنة، وهو شاب سلفي يقول لي: إن أكبر الأخطاء التي ارتكبتها في حياتي أنني لم استفد من هذا الشيخ الاستفادة الحقيقية، بل كنت دائماً، وبعد كل محاضرة ينتهي منها، استوقفه خارج قاعة الدرس فترة من الزمن وأكيل له سيلاً من الأسئلة وأحياناً أقصد ببعضها إحراجة.. هذا إذا ما أضفت لذلك أسلوبه الفظ الخشن معه، الذي لا يليق بمقام شيخ ولا أستاذ.. ورغم أنني كنت أدرك ضيق وقت الشيخ إلا أنني كنت دائماً أتعمد التعامل معه بهذا الأسلوب، ويرجع كل ذلك لأنه ليس من جماعتي التي أنتمي إليها، ولكن الذي كان يفاجئني سعة صدره وأسلوبه المغاير الذي كان يعاملني به.. ولم أدرك مغزى ذلك حينها إلا بعد أن لقي ربه شهيداً..



وبضيف صاحبنا: لقد عظم في نفسي عندما كان يعمد في نهاية كل شهر إلى حسم ما يقارب العشرين دولاراً من راتبه الخاص ويرسله لي في ظرف مغلق معنوناً باسمي، في الوقت الذي كنت فعلاً بحاجة ماسة لمثل هذا المبلغ لكوني طالباً في الجامعة، ورغم ذلك لم تكن هذه اللمسة الكريمة لتحرك ضميري تجاهه ليكون منطلقاً لتغيير أسلوبِي الفظ الذي كنت أتعامل به معه إلا بعد استشهاده.

اختليت بنفسي قليلاً وقلت: ما الذي كنت أفعله مع هذا الرجل الذي انتفض العالم الإسلامي لاستشهاده.. لم أدرك القيمة الحقيقية لهذا الرجل إلا بعدما رأيت الضجة الغاضبة التي تبعت استشهاده من قبل المسلمين.. عندها أدركت أنه كان يعاملني فعلاً بأخلاقه لا بأخلاقي..

وأدركت أخيراً أن كنزاً ثميناً فقدته من بين يدي لجهلي، وإن مثل هذا النموذج الذي لم يكن يعاملني بالمثل أبداً إنما هي نفسية عالم كبير، ومجاهد صنيدي، يستحق أن يحمل لقب القيادة بامتياز.

وبضيف قائلاً: وها أنا اليوم وبعد فوات الأوان أشعر بالندم والخجل على تصرفاتي، والتي كلما أتذكرها لا أجد لها تفسيراً إلا بحركات صبيانية لا مسئولة، مدفوعة بتعصب حزبي مقيت.

ب- **أما القصة الثانية:** فهي قصة مماثلة منشؤها أصلاً الهوى، وهي طبيعة النفس البشرية، إذا أعطيت رضيت، وإذا حرمت سخطت، بغض النظر عن أحقيتها في هذا الرضى أو السخط.. وبغض النظر عن هذا العطاء أو المنح سواء كان



معنوياً أو مادياً.. ولعل بعض الإخوة ممن كان يتعامل معهم الشيخ أحياناً بطريقة لم تلب لهم مطامعهم أو مطامحهم، وهذا أمر طبيعي؛ لأن الدلال الزائد والحنان الفيّاض الذي كان يتلقاه الشاب من قبل الشيخ في أرض الجهاد، وربما كان يفسر تفسيراً خاطئاً من قبل البعض، فينقلب ضرره على الشيخ بمقدار هذه الزيادة، وصدق الشافعي رحمه الله حيث قال: (ما أكرمت أحداً فوق مقداره إلا أتضع من قدرتي عنده بمقدار ما زدت في إكرامه) فضلاً عن أن رضا الناس غاية لا تدرك.

وصاحبنا هذا الذي نتناوله في هذه القصة، كان قد مُنع من طلب مادي لم يكن أصلاً من حقه، وقد تعود على ألا يُرد له طلب، إلا أن طلبه هذه المرة اصطدم بالرفض من قبل الشيخ، فتحرّكت نوازع الشر بداخله وما يحتويه من الأهواء والشهوات والنزوات لتخرج إلى حيز التنفيذ وعلى شكل سلوك تطبق على أرض الواقع عبر رسالة شديدة اللهجة، مشبعة بألفاظ قاسية وغلظة وجهها للشيخ عن طريق صديق له، وبعد فترة زمنية وجيزة عاد صاحب الرسالة من سفره وتفاجأ بلقاء جمعه مع الشيخ في مكان ما، فاستقبله الشيخ استقبالاً ملفتاً ودافئاً فاندھش الرجل من الشيخ ظناً منه أن الشيخ لم يقرأ رسالته التي أرسلها إليه مع صاحبه، فانطلق مسرعاً ليسأل صديقه عن الرسالة.. فأجابه بأن الرسالة قد سلمت للشيخ يد بيد في حينها، وقرأها أمامه.. ثم ابتسم الشيخ وقال: شكراً..

وهكذا أصبح الشيخ بعد هذا الموقف من أحب الناس إلى قلب صاحبنا.



تد نحن لسنا عبيداً لأحد:

كنت أريد أن أقتصر على القصتين السابقتين ولكنني تذكرت قصة أحببت أن أوردتها هنا، قصة تدل على مدى حلم الشيخ وسعة صدره على إخوانه.. هذه القصة تدل على أنه دليل لإخوانه، عزيز على المتكبرين والمتجبرين "أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين" قصة ذاك الإماراتي الذي جاء للشيخ بسيارة يعلوها علم السفارة الإماراتية يطلب ولده من أرض الجهاد، فاستقبل استقبالاً محترماً، ووعدته الشيخ بأن يرسله إلى المعسكر المتواجد فيه ابنه قائلاً له: سنرسلك إلى ولدك في الصباح إن شاء الله، فإما أن تقنعه في العودة من أرض الجهاد أو أن يقنعه في البقاء معه على أرض الجهاد، وقد كنت شاهداً على هذه القصة من أولها لآخرها..

عندما رأى الرجل شيخنا بهذا التواضع فسر هذا الموقف تفسيراً خاطئاً وظن أنه شيخ من مشايخ الدراويش أو مسكين من المساكين، وبالتالي نفخ الشيطان بأنفه وبدأ صوته يرتفع فوق صوت الشيخ ويقول له: أريد ابني..!! حكومتنا تدعمكم بالأموال؟! وغير ذلك من هذه العبارات التي لا تليق بالشيخ.. فلما رأى الشيخ موقف هذا الرجل وعلى هذا الشكل غضب غضباً شديداً ثم قال له: نحن لسنا عبيداً لأحد، لم نأخذ من دولتك لا مالاً ولا جاهاً ولا من غيرها من الدول.. لا تظن أنك جئتنا بسيارة السفارة يرفرف العلم فوقها لتخيفنا.. نحن لا نخاف إلا من رب العالمين.. فبهت الذي ظلم نفسه، وبدأ الرجل يلطم أذنيه وعاد من حيث أتى.



ظاهرة ...

وهنا لا بد أن أشير إلى لفظة من اللفظات المهمة وظاهرة من الظواهر التي برزت على الساحة الجهادية هناك، بأن عدداً كبيراً من الآباء والإخوان الذين كانوا يأتون لإرجاع أبنائهم من أرض الجهاد سرعان ما كانت تتغير قناعاتهم بعكس القناعة التي جاؤوا بها، والفضل كله يعود لله أولاً ثم لأبنائهم الذين كانوا يقومون بدور مهم في تغيير وجهات نظرهم. هؤلاء الآباء والأقرباء الذين كانوا يلاحقون أبناءهم لإرجاعهم من أرض الجهاد كانوا يأتون وهم يحملون فهماً خاطئاً عن التجمع العربي في أفغانستان، وكانوا يتصورون بأنه تماماً كتجمع الفدائيين في لبنان وما كان يحصل من سلبيات، وما أن يدخل الواحد منهم معسكرات المجاهدين العرب حتى يرى الصورة مغايرة تماماً لتصوره لما يراه من تربية وتوجيه وقراءة قرآن وتلاحم أخوي قوي بين الشباب المجاهد، فيقرر على الفور البقاء في أرض الجهاد، لقد لاحظنا هذه الظاهرة واضحة العيان في أرض الجهاد، حتى أننا رأينا بعض القيادات التي كانت تزور أرض الجهاد قد انضمت لهذه الظاهرة فهذا المراقب العام للإخوان المسلمين الأستاذ عبد الرحمن خليفة جاء وزار المعسكرات واستعمل أسلحة متنوعة مختتماً هذه الزيارة بقوله للشيخ عبد الله بأنه سيذهب ويستأذن المرشد ليعود إلى أرض الجهاد ليستقر فيها إلا أن المشاغل الكثيرة حالت دون تنفيذ هذه الفكرة.

صلب المكسر.. لكن ليس لين المعصر

رحم الله الشيخ، لقد كان عزيزاً كريماً حراً لا يستبدل بهذه المعاني كل الملايين حتى ولو كان ذلك لصالح الجهاد والمجاهدين.



ومن هنا كان يرد على كل من يطلب منه أن يجالس أهل القرار أو ذوي السلطان بالقول الهادئ: لا أريد أن أجالس هؤلاء الرسميين، وبكفي أن نبقي مع طبقة البسطاء من الناس امتثالاً لقول الرسول ﷺ: (وَهَلْ تَرْزُقُونَ إِلَّا بَضْعَائِكُمْ؟).

لقد كان من طبيعة الشيخ ألا يرد دعوة من أخوانه، خاصة أيام سفره وجولاته في البلدان، ولكن كان لا يحب التكلف في الموائد فكان يقول لكل من يدعوه بأن يجعل قيمة وتكاليف هذه الدعوة وما يرافقها من ولائم للمجاهدين وأنا سأزورك في بيتك زيارة خفيفة نتناول معكم كوباً من الشاي، إلا أنهم كانوا يصرون على دعوته وعمل ولائم ويقولون له: سندفع قيمة الوليمة للمجاهدين ومع هذا سنعمل وليمة على شرفكم.

وهكذا يتفاجأ الشيخ - ذات يوم وقبل استشهاده بأشهر - بدعوة من قبل أحد المتعاطفين مع الجهاد على وليمة، وإذا بأمر من الأمراء وحاشيته من ضمن المدعوين إلى هذه الوليمة، وهنا يبادر الأمير الشيخ بسؤال مباشر ليطلب منه الجلوس معه، إلا أن رجلاً قيادياً كالشيخ لا يمكنه أن يتهرب أو أن يتخلى عن مسؤولياته في المواجهة، حيث كان يرى أن العبرة في مثل هذه المواقف ليست في الجلسة نفسها وإنما العبرة بما يدور بداخلها.

ويا للعجب لهذا الزمان الذي كنا وما زلنا نرى فيه كبار القوم يهرولون نحو الأمراء والحكام ليكون لهم مكانة رفيعة عندهم أو ليستجلبوا عطفهم أو لتسلم رؤوسهم من الملاحقة والمطاردة من قبل جلاوزة السلطان، نرى اليوم نموذجاً آخر وبمعادلة عكسية تتحقق على أرض الواقع ألا وهي ملاحقة الأمراء للعلماء يستجدونهم للجلوس معهم، وهذا والله قلب لكل الموازين الأرضية في الوقت الحاضر.. إنها العزة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين).



وهنا يتفاجأ الشيخ بسؤال هجومي من قبل أحد مرافقي الأمير، وهو شخصية كبيرة مرموقة يتقلد منصباً أمنياً رفيعاً في بلده، ظناً منه أن هذا السؤال سيخرج الشيخ وبضعه في موضع الدفاع.

قال له: يا شيخ، ما هي عقيدتك؟؟ وكان يظن هذا المسكين أن الشيخ سيرد عليه رد المستضعف، فيمهد له الطريق لينقض عليه بعدها بأسئلة كثيرة يحقق فيها مآربه ومقاصده! وما أن انتهى ذاك الأبله من سؤاله، حتى تفاجأ بشيخ من نوع جديد لم يعهده من قبل، وهنا تحسس الشيخ بيده على نظارته فمسكها بطرفيها ووضعها جانباً ثم نظر إليه نظرة الواصل بربه، ليرد عليه رداً هجومياً وجواباً قاطعاً دون تلعث قائلاً له: عقيدتي الإخوان المسلمون منذ ستة وثلاثين عاماً.. فبهت الذي ظلم نفسه، عندها تدخل الأمير قائلاً: إذن، نحن عاتبون عليك يا شيخ، فرد عليه الشيخ قائلاً: إن كان هذا العتب من أجل الجهاد ومصلحته فحياهلا، وإلا فالذي يربطني بكم، هذه التأشيرة بعد أن رفعها عالياً في وجهه.

وهكذا دار الحديث بين الطرفين، وبعد نقاش طويل داخل الجلسة؛ قام الأمير وقبّل رأس الشيخ، ثم تبعه من معه من مرافقيه وقبّلوا رأس الشيخ تباعاً..

لقد كانت هذه الجلسة جلسة نهائية، ومحاولة منهم لاحتواء الشيخ لطيه تحت عباءة الأمير، لكنهم وجدوه صلب المكسر وليس لين المعصر..

هكذا كان شيخنا ﷺ عزيزاً كريماً صاحب مبدأ لا يبيع دينه ومبادئه بثمن بخس.



وأخيراً فقد قيم الحاضرون هذه الجلسة بأن الضوء الأخضر قد منح لمن يهيمه الأمر بتغيب الشيخ عن الوجود بعد هذا الفشل الذريع في احتوائه.

كلمة تقابل الملايين

وهكذا كان الشيخ صاحب مبدأ، له منهجه وفكره، لا يستطيع أحد في الأرض أن يساومه على مبدئه وفكره ومنهجه، وهذا يستوجب أن صاحب المبدأ سيدفع ثمناً باهظاً من الدماء مقابل تمسكه بمبدئه. ولهذا فقد وضع الشيخ الدنيا وراء ظهره منذ طفولته حتى لقي ربه راضياً مرضياً.

جاءه أحد المشفقين على الجهاد يحمل معه كتاباً من كتب الشيخ تحت عنوان "آيات الرحمن في جهاد الأفغان" .. جاءه هذا الرجل وهو يفتح الصفحة الأولى قائلاً له: حبذا لو كتبت سطرًا واحدًا ليكون إهداء للأمير الفلاني، وبهذا ستكون قد أدت خدمة كبيرة للجهاد والمجاهدين، بل سأحضر لك مقابل ذلك أموالاً طائلة لهؤلاء المجاهدين المساكين .. ولكن الشيخ جاء رده سريعاً وحاسماً جازماً حيث قال: والله لو قلبتم جبال أفغانستان ذهباً ما كتبت له حرفاً واحداً.

هكذا كان يتعامل شيخنا الكريم مع أمثال هؤلاء .. لقد وضع الشيخ ﷺ موقفه من الحكام في نهاية كتابه في ظلال سورة التوبة قائلاً: "والله طيلة حياتي ما مدحت حاكماً وما



خطت يدي سطرًا واحدًا فيه مدح لطاغية .. ولساننا قد طهر من هذا وما أخذنا من دنياهم شيئًا، ولا نطمع في دنياهم في المستقبل، بل ونترفع عن دنياهم⁽¹⁾.

فكم كان الشيخ ذليلاً على إخوانه المؤمنين، حليماً على جُهاَلهم، حكيماً في التعامل مع منتطعيهم، ولكن في الوقت نفسه كان شديداً وعنيفاً على أعداء الله والظالمين والمستبدين.

ذكريات لا تنسى

ذكريات وذكريات.. ما زالت عالقة في الأذهان لا تمحى ولا تنسى ما دامت هذه الروح تسري في هذه الأبدان، وما دام في الجسد عرق ينبض.

ورغم ضعف الذاكرة، وقلة الحيلة، وظروف القهر والحرمان، وشدة القيد والحصار والسجن والسجان، إلا أننا لم نعدم الحيلة أو بعضها، ولم نفقد كل شيء، فما لا يكتب جُلُّه لا يترك كله، وهي قاعدة ذهبية عظيمة بإمكان كل إنسان ناجح أن يستفيد منها .

.. ذكريات وذكريات.. قد تكون ملفنة للبعض على أرض الواقع، وقد تمر على البعض مر الكرام لا يلقي لها بالاً بين الأنام.. ولا أبالغ إن قلت: إن مثل هذه اللفات أو بعضها كان يحس بها أو يمثلها كل من كان يعيش حول الشيخ..

(1) موسوعة الذخائر الجزء الرابع ص 163، في ظلال سورة التوبة.



فهم يجمعون جميعاً على شيء واحد، وإحساس ملحوظ، أن كل واحد منهم كان يحس ويشعر بأن الشيخ كان يحبه أكثر من غيره.

.. ذكريات ما زالت ماثلة للعيان، وصفات وجدتها ملازمة للشيخ أينما حل وأينما ارتحل، فصفا المداعبة المرححة كانت علامة بارزة في حياته مع أحبائه، لا تفارقه الابتسامة الهادئة والنكتة اللطيفة التي كانت تقضي على الكلال والملل.. فالحياة مع الشيخ كانت كلها ذكريات، فمثلاً:-

.. **أتذكر** ذاك الرجل المسمى بأبي العباس، الذي كان الشيخ يمازحه باستمرار، وهو رجل طويل القامة عريض المنكبين، إذا سلك مسلكاً صحيحاً كان يناديه بأبي العباس شيخ الإسلام ابن تيمية، وإذا سلك مسلكاً خاطئاً كان يناديه بأبي العباس السفاح، فما كان يزيد هذا الرجل إلا حباً واقتراباً من الشيخ، فلم يكن الشيخ جامداً في حياته البتة.

.. **أتذكر** يوم أن كان يأتيني إلى عملي الذي كلفني به، وكنت أعرض عليه بعض إنجازاتي، فيسر كثيراً ويقول: ما شاء الله!! هذا شيء جميل وإنجاز عظيم وهذا جيد، وإذا كان عنده توجيه معين في العمل لم يكن يشعرني بالتقصير أبداً رغم وجوده، وإنما كان يشير إشارة من الإشارات أو لفظة من اللفظات لتصحيح العمل، الأمر الذي كان يشد من عزيمتي ويزرع الثقة في نفسيتي ويمنحني طاقة كبيرة لعمل المستحيل للوصول إلى الأفضل، وبالتالي فإن هذا النهج يعد من أهم العوامل التي أدت إلى نجاح عملي بعد توفيق الله تعالى، فضلاً عن المساحة الواسعة التي كانت تمنح لي من قبله في العمل، وهذه صفة وعلامة بارزة في منهج الشيخ .



.. **أتذكر** ذاك الأخ الذي كان يعمل في إحدى المؤسسات العاملة في مكتب الخدمات، عندما كان يجتهد فيشتري بعض المواد التي تقل جودة عن غيرها بهدف التوفير في ثمنها، لكن الشيخ كان يرى أن الجودة في نوعية الأشياء مهمة جداً مهما كان ثمنها.. ولهذا كانت النكتة حاضرة فيمازح الأخ بمثل واقعي وهو مفعم بالابتسامه فيقول له: "عملك هذا كالذي يخرب طبخته على قرش فلفل يا فلان" .. أي بمعنى أن الإنسان في بعض الأحيان يخسر على طبخته الشيء الكثير إلا أنه يبخل عليها بقرش فلفل، فتصبح الطبخة بلا طعم ولا رائحة.. فكان يقول هذا المثل وهو يبتسم ابتسامته الهادئة دون أن يقصد صاحبه بالنقص أو الإيذاء أو الازدراء.

.. **أتذكر** يوم أن كان يأتي بعد صلاة الفجر وهو يحمل رزمة من خبز التتور الساخن الأفغاني طارقاً بابي هو ومن معه من إخوانه وأحابيه المجاهدين فأقول: من بالباب؟ فيجيب: عبد الله.. فيدخل وهو يقول: لا تكلف نفسك يا أبا عادل .. يكفيننا الزيت والزعتر.

.. **أتذكر** يوم أن كان يهتم بمن حوله خاصة الضعفاء والمساكين من الشباب المجاهد وهو يقول: انتبهوا لهؤلاء المجاهدين الضعفاء لعلهم يكونون أفضل منا جميعاً عند الله ﷻ، وما يدريكم أن الرزق الذي يأتيكم قد يكون بسبب واحد من هؤلاء الذين يعيشون بيننا.. فهذا رسول الله ﷺ يقول: (وهل تتصرون وترزقون إلا بضعفائكم) أو كما قال ﷺ.



.. **أتذكر** يوم أن كنا نراه قادماً من سفره الطويل، فيلتقي بالشخص الواحد والاثنتين والثلاثة من معارفه فيمسك هذا بيمينه وذاك بيساره وقد يقبض الاثنين بيد واحدة، ثم يسيرون معاً حتى يستقر به المقام في بيته، فيغديهم أو يعشيهم مضحياً برؤية زوجته وأولاده من أجل ضيوفه.. وهي في الحقيقة عادة من عاداته التي اعتاد عليها.. وللتاريخ والأمانة فإن بيته كان مشرعاً للجميع على مدار الساعة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صفته القيادية التي يتصف بها..

.. **أتذكر** التنقلات المكوكية التي كان يقوم بها في عملية الإصلاح بين قادة الجهاد، التي كان لها الأثر الإيجابي الكبير على أرض الواقع، ولولا الله ثم تحركات الشيخ في نزع الفتيل بين المجاهدين، لاشتعلت الفتن، وأزهقت الأرواح، وخربت البيوت، وتركت خلفها الأرمال والأيتام..

.. **أتذكر** يوم أن كنا نرى حركاته أكثر شباباً من حركات الشباب أنفسهم، حيث كان يتحداهم في صعود الجبال، دون أن يسميه تحدياً وإنما كان يتحداهم بسلوكه على الأرض، وكان لا يقبل على نفسه إلا أن يكون الأول وفي مقدمتهم.. فهو قائد في ميدان القيادة، وجندي في ميدان الجندية، ورغم أنه القائد الأول إلا أنه كان في الطابور جندياً، يزحف كما يزحف الآخرون فينسى نفسه أنه القائد الأول..

.. **أتذكره** في الإمامة يوم أن كانت تخنقه العبرات عندما كنا نسمع نشيجه أيام أن كنا نصلي خلفه بعد خطبة الجمعة وهو يقرأ صدر سورة الغاشية..



.. **أتذكره** في خطب الجمع وهو يمتطي المنابر مرتجلاً، يشد بخطبه سامعيه، فلا تجد ممن يسمعه نائماً ولا ساهياً ولا لاعباً، فضلاً عن أنه يجيد اللغة العربية الفصحى، وقلما تجد في خطبه الأخطاء إلا ما ندر رغم طولها، التي كانت الواحدة منها تتجاوز الساعة أحياناً، ومع هذا لا يلحق سامعيه الكلل أو الملل أو السآمة.. ولا ننسى أنه من حفظة كتاب الله تعالى عن ظهر قلب منذ شبابه.

.. **أتذكره** في المحاضرات والندوات واللقاءات الصحفية التي كانت تستمر أحياناً ساعات ثلاث والناس يستمعون إليه وكأن على رؤوسهم الطير.

.. **أتذكره** يوم أن كان يرفض في كثير من الأحيان أن يتحدث عن الجهاد إلا وهو قائم على قدميه، وكان يعلق على ذلك بقوله: من العيب أن نتحدث عن الجهاد ونحن على المقاعد المريحة والمكيفات الوثيرة.

.. **أتذكره** يوم أن اشترت زوجته فراشاً واثيراً في غيابه، وعند عودته من أرض الجهاد رأى ما رأى فغضب غضباً شديداً وعاتبها عتاباً مريراً حتى قال لها: من أين لك هذا؟ قالت: بعت حليي واشتريت به هذا الفراش، فقال لها: والمجاهدون!! قالت: لقد حسبت حسابهم..

يقول ﷺ، بقيت أعاتبها عتاباً شديداً وأُنَبِّها حتى أغمي عليها، فكان ﷺ شديداً من هذه الناحية؛ لأنه كان لا يحب أن يتنعم بأرض الجهاد.. والجهاد بحاجة إلى مال.. بقي الشيخ خلف هذا الموضوع حتى بيع الفراش لأحد الإخوة وانتهى من هذا الثقل..



.. أتذكره يوم أن صلى خلف الشيخ ثلاثمائة من المجاهدين الأفغان الأحناف فجر الجمعة وقد كنا معهم، فقرأ فيهم سورة السجدة وبعد أن سجد سجود التلاوة.. وقام للركعة الأولى ثم الثانية، ظن الأفغان أنها الركعة الثالثة مما دفع الكثيرين منهم إلى مفارقة الإمام ملتفتين يمنية ويسرة وقد وجدوا الصفوف قد أغلقت عليهم الطريق، فلم يجدوا لهم مخرجاً إلا من خلال النوافذ، حاملين أحذيتهم تحت إبطهم وهم يتساعلون بالفارسية "نماز فجر سي ركعة" أي صلاة الفجر ثلاث ركعات؟ ولسان حالهم يقول: لأول مرة نراها في حياتنا، والحقيقة أنهم محقون في ذلك؛ لأن علماء الأحناف لا يقرؤون سورة السجدة في صلاة فجر الجمعة، ولهذا كان الأمر في قمة الغرابة عندهم. وما إن انتهى الشيخ من الصلاة حتى التفت خلفه وإذا بمعظم المصلين قد فروا من خلفه فغضب الشيخ غضباً شديداً على علمائهم وحملهم المسؤولية أمام الله في تقصيرهم في عدم تعليم هؤلاء العوام أمور دينهم ومذاهب علمائهم.

.. أتذكره يوم أن جاءه أحد الإخوة يستشير به بعض الأمور، وبعد أن مكث معه ساعة ونصف هم بالرحيل، فأمسك بيده وقال له: اجلس حتى نحدثك عن أكبر قضية ساخنة في الأرض، فرد عليه قائلاً: نجلس خمس دقائق، إلا أنه انشغل بالبحث عن طاقيته التي لم يجدها إلا بعد خمس دقائق، فعلق عليه الشيخ قائلاً: خمس دقائق للقضية أم للطاقيّة(1)!!؟؟!!

(1) كتب فيها مقالة قصيرة بعنوان: خمس دقائق للقضية أم للطاقيّة، وهي ضمن كتيب صغير تحت عنوان (من القلب إلى القلب).



.. **أتذكره** يوم أن جاءه أخوان ممن يشار إليهم بالبنان لمتابعة بعض المؤسسات الإغاثية على أرض باكستان واعتذارهما بعد أن عرض عليهما الشيخ أن يقضوا ليلة واحدة فقط بين المجاهدين داخل أفغانستان، ولكن بعد إلحاح شديد من قبل الشيخ وافقوا على خجل، وما أن وصلوا الحدود الباكستانية الأفغانية حتى أمرهم حرس الحدود الباكستاني بالعودة باعتبارهم عرباً والعرب لا يسمح لهم بالدخول إلى أفغانستان.

عندها قال أحدهما للشيخ: إذن نرجع من حيث أتينا لأننا نتوقع أن لا يسمحوا لنا بالدخول، إلا أن الشيخ كان مصراً على إدخالهم إلى أفغانستان عند المجاهدين، فتوجه نحو نقطة من النقاط الطبية على الحدود، حيث استعان بإحدى هذه النقاط، فألبسهما لباس الأطباء وركبوا جميعاً في إحدى سيارات الإسعاف، ودخلوا النقطة الحدودية بعد أن شغلوا زامور الإسعاف، إلا أن الطائرات الروسية واجهتهم بالقصف الشديد، مما حدا بهم جميعاً إلى أخذ الأرض.

وهكذا كان الأخوان بجوار بعضهما البعض بينما اتخذ الشيخ له مكاناً بجوار صخرة يتلو كتاب الله (عز وجل) لا يكثرث لهذا القصف العنيف بعد أن كُسرت عنده كل حواجز الخوف، أما الأخوان فلا شك أنهما كانا في وضع لا يحسدان عليه حيث الهلع الشديد بعد أن عبر أحدهما للآخر بالقول: أوف .. هذه حرب عالمية..!!



.. **أتذكره** يوم عرض على إخواننا بأن يسلموه مائة فلسطيني ممن يتمكن من دخول فلسطين، يربيههم ويدربهم على السلاح ويدخلهم معارك حية مع الجيش الروسي، يستشهد منهم عشرون ويعاق منهم عشرون ويبقى ستنون قائداً يسلمهم لمن يهمله الأمر لزراعتهم في جبال نابلس والقدس والخليل وغزة.

أتذكر يوم أن طلب من إخواننا ستين داعية يفقهون فقه الدعوة وفقه الجهاد ليزرعهم في أفغانستان بواقع اثنين من الدعاة في كل ولاية من ولايات أفغانستان ليقوموا بعملية التربية والإصلاح بين المجاهدين، ولكن الرد كان أن مثل هذا الأمر هو تفرغ لأماكن الدعاة في العالم العربي والإسلامي، فكان رد الشيخ: نحن لا نريد الدعاة الذين يعملون في أماكنهم ولكن ابعثوا لنا من هو مفصول من عمله ونحن نقوم بتوفير رواتبهم ليعيشوا.

هذه شذرات من الذكريات وهي قليل من قليل من قليل، والتي ما زالت عالقة في الأذهان.

نموذج من الإصلاح الذي كان يقوم به الشيخ عام 1988 – 1989م بين قادة الجهاد:

أدرك الشيخ خطورة المرحلة، فكان يؤكد في معظم محاضراته على عملية الإصلاح، ولهذا أدرك أن الطريق الوحيد لإنقاذ أفغانستان والحفاظ على ثمار الجهاد؛ هو التقاء القائد الميداني أحمد شاه مسعود (1) مع المهندس حكمتيار قائد الحزب الإسلامي (2)، فكان

(1) أحمد شاه مسعود، من أشهر قادة الجمعية الإسلامية الميدانيين وهو سني وليس شيعياً كما يظن البعض.

(2) حكمتيار أحد القادة الأفغان السبعة الكبار كانت تشكل قوته، ما يقارب نصف قوة المجاهدين مجتمعة.



يرى ﷺ أن التقاء هذين القائدين كفيل بحفظ ثمار الجهاد، مما دفعه للتوجه إلى شمال أفغانستان على حدود روسيا أواخر عام 1988م مشياً على الأقدام.

وصل إلى أحمد شاه مسعود وقال له: لا تستطيع أن تقيم دولة الإسلام وحدك يا أحمد شاه .. فلا بد أن تضع يدك بيد حكمتيار حتى تحافظ على ثمار هذا الجهاد، وإلا فأنتما مسئولان أمام الله، ثم أمام المسلمين في العالم الإسلامي الذين وقفوا معكم طيلة مسيرة جهادكم، خاصة وأنهم ينتظرون منكم دولة إسلامية بعد أن دفع مهر هذا الجهاد الدماء والأشلاء...

رجع الشيخ من رحلته بعد أن أخذ عهداً من مسعود بموافقته على لقاء حكمتيار، والحق يقال إن هذه الرحلة كانت شاقة ومضنية تحمّل فيها الشيخ عناءً شديداً، كانت بمجملها مشياً على الأقدام، وتحركاً عبر الجبال والوديان واستمرت أكثر من شهر، كتب على إثرها كتاباً سماه "شهر بين العمالقة" (1).

عاد الشيخ من رحلته إلى باكستان والتقى مع حكمتيار وحذره من خطورة عدم لقائه مع مسعود، فأكد له حكمتيار عدم ممانعته من الالتقاء معه، فعلاً دخل الشيخ برفقة حكمتيار إلى داخل أفغانستان، حيث وصلا إلى نقطة الوسط بين الطرفين على أن يأتي مسعود إلى نفس المكان، وبينما كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق للتحضير لموعد اللقاء ووضع النقاط المختلف عليها على أجندة البحث، وإذ بإذاعة الـ B.B.C البريطانية تنذع خبراً مزعجاً بأن قائداً من قادة حكمتيار رصد مجموعة من قادة مسعود وقتلهم..

(1) ويقصد بالعمالقة أولئك المجاهدين الأفغان على أرض الميدان.



حينها توجه الشيخ عبد الله نحو حكمتيار وسأله عن علمه بما جرى؟ فرد عليه بالنفي القاطع، فرد عليه الشيخ كيف يمكن لقائد من قادتك أن يقوم بمثل هذه الجريمة من غير علمك؟ فأجابه حكمتيار: أنت لا تعلم يا شيخ قضية من أهم القضايا في الشعب الأفغاني، وقد تغيب عن الكثيرين بأن القبيلة الواحدة أحياناً قد تأتي وتقول لحزب من أحزاب المجاهدين، نريد أن ننضم إلى الحزب بشرط أن يكون هذا الرجل قائداً، وقد يكون أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فيضطر الحزب أن يستوعب القبيلة بشعرها وبعرها وإلا ستتنضم إلى حزب آخر.. هكذا تحصل مثل هذه القضايا داخل أفغانستان.

وهنا طلب الشيخ من حكمتيار أن يعود لباكستان ويعقد مؤتمراً صحفياً يستنكر فيه ما حصل.. وأما هو فقد امتطى الجبال مشياً على الأقدام نحو مسعود لمحاصرة الوضع هناك حتى لا تقع حرب أهلية.

وصل الشيخ مسعود، قال له: يا مسعود، أطلب منك طلباً واحداً فقط.. أن تحصر المشكلة في القاتل حصراً، فرد عليه مسعود بقوله: يا شيخ: انظر لهؤلاء العلماء.. كلهم يقولون لي: لا طاعة لك علينا إن لم تقتص.. وأما ما طلبته بالاعتصام على القاتل فلك ذلك.. وفعلاً حاصر القاتل واعتقله..

عاد الشيخ من الداخل الأفغاني وبدأ يطوف في العالم ويعقد المؤتمرات للرد على الحملة الإعلامية الشرسة، التي استغلت هذا الحدث لحرق الجهاد والمجاهدين، وكان يرى الشيخ أن الإعلام الغربي الحاقد وبعض الإعلام العربي المستأجر يستثمر مثل هذه الأحداث لأهداف عديدة:-



1. مسح آثار الجهاد من قلب الأمة لتحطيم الرموز وتشويههم بإلصاق التهم بهم، مثل: قتلة يقتلون بعضهم بعضاً، صراع على الكراسي، أهواء...الخ
2. عزل القضية عن قلوب المسلمين حتى تُحجَم وتعود مرة أخرى إلى قضية قومية محلية بعد أن أصبحت قضية إسلامية عالمية .
3. كف أيدي المحسنين عن البذل لهذه القضية حتى يخنق الجهاد .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الأمريكان كانوا يرصدون تحركات الشيخ داخل أفغانستان، حيث اعتبروا ما يقوم به الشيخ من إصلاح بين ندين قويين إنما هو خلط للأوراق بالنسبة إليهم؛ لأنهم أصلاً يعتقدون الآمال في بناء خططهم المستقبلية على خلافت المجاهدين⁽¹⁾ وأن ما يقوم به الشيخ في عملية جمع حكمتيار ومسعود يعتبر نصراً مؤزراً وحفظاً لثمار الجهاد، حسب نظر الشيخ، وتخريباً وإفساداً لخطط الأعداء في نظر الأمريكان.

ومن هنا خرجت المسؤولية عن الملف الأفغاني في القنصلية الأمريكية في مدينة بيشاور الباكستانية لتصدر تصريحاً عبر الإعلام، تعلق فيه على تحركات الشيخ داخل أفغانستان بشأن جمع حكمتيار مع مسعود حيث قالت: نحن لا نسمح لأي شخص أن يلعب بالقرار السياسي في أفغانستان، وهي إشارة للدور الذي كان يلعبه الشيخ في القضية الأفغانية⁽²⁾.

(1) من أهمها خلافت حكمتيار ومسعود وهما من أقوى القادة داخل أفغانستان.

(2) سمعت هذا من الشيخ عبد الله عزام ~.



ولهذا كان الشيخ يدرك ما يتطلع إليه الأمريكان بأن لقاء حكمتيار مع مسعود سيفقداهم الورقة التي سيلعبون بها مستقبلاً لضرب الجهاد والمجاهدين، وبالتالي خلط الأوراق وإفشال مصالحهم وأهدافهم التي يسعون من أجلها ...

وهنا لا بد أن نشير إلى أن الشيخ عبد الله عزام كتب خلاصة تجربته في نهاية رحلته تحت عنوان (وقفات على أعتاب الرحلة) نورد بعضها، كما خطها الشيخ بيده (1).

1. لقد كان لهذه الرحلة أثر عميق لم تتركه مثلها رحلة طويلة العمر ...
 2. لقد رأيت التفسير العملي الواقعي للآية الكريمة: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبْدُ فَيَدْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (2).
- قد يغطي الحق فترة من الزمن، وقد يغيب تحت ضجيج الإعلام حقبة، وقد يخدع جماهير الدهماء والغوغاء بالاتهامات التي تشن على البراء .. ولكن الله تكفل بإظهار الحق؛ لأن الحق دائماً أبلج، والباطل لجلج: ﴿بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (3).

3. إن دراسة أية قضية من بعيد لن يكون صحيحاً ما لم تخض في أعماقها، وتغوص في لبها، وقضية الجهاد في أفغانستان، بل كل جهاد لا بد أن تكون قيادته في خضم المعركة حتى تكون الأحكام صائبة والأوامر قابلة للتنفيذ.

(1) موسوعة الذخائر المجلد الثاني ص733.

(2) الرعد17.

(3) الأنبياء18.



وإن التدخل في أية قضية دون أن تخوض غمارها مفسدة لها مهما كانت النية خالصة في جمع الشمل، وصادقة في إصلاح ذات البين.

4. بقدر ما تبذل على جندك الذين حولك من وقتك، وتتعب في تربيتهم وتوجيههم بقدر ما تكون النتائج طيبة، والجهود مثمرة، وكلما عايشت أتباعك ومحبيك، واحتملت أخطاءهم، وتجرعت غصص مخالفتهم لك، فإنك تزيد من حبهم لك واحترامهم لشخصك، وتضحيتهم للمبدأ الذي به تنادي، والفكر الذي إليه تدعو، وإذا غبت عنهم، وانشغلت بغيرهم، مهما كانت الأمور التي صرفت بها وقتك مهمة، فإنك تفقد ودهم تدريجياً، ويتقلتون من بين يديك شيئاً فشيئاً.

5. إن هذا الدين لا يفتح أسرارَه لفقيه قاعد، ولا يعطي مكنوناته لإنسان جامد بارد، بل بقدر ما تعطيه يعطيك، وحسبما تبذل له في معركتك مع الجاهلية حولك بقدر ما يكشف لك عن مخزون أسرارِه وأسباب انتصاره، والذين يجاهدون هم الذين يفقهون هذا الدين: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١).

وهذا الرأي الذي مال إليه ابن عباس (رضي الله عنهما) ورجحه الطبري. فالطائفة التي تنفر هي التي تدرك أبعاد هذا الدين وتفهم أسرارِه وتسبر أغواره، والحق أن الجهاد ينضج النفس البشرية على حرارة الابتلاء، ويرفع درجاتها في ضرام المعركة والأنواء.

(1) التوبة 122.



والذين يعيشون بين صفحات الكتب ورفوف المكتبات سيقون يعيشون في أبراج عاجية معلقين في السماء، يستنبتون البذور في الهواء، والذين يتعاملون مع هذا الدين من خلال آراء يقرؤونها، ومدارس يتبعونها - أقولها بصراحة - إنهم سيقون يتعاملون مع نظريات تعيش في مخيلتهم، ليس لها تطبيق في عالم الواقع كما يتخيلون؛ وذلك لأن أرجلهم لا تدب على الأرض، سيقون في مثالية سامية بعيدة عن واقع الأرض، يستعذبونها أمانياً وأحلاماً، ولكنهم لا يعلمون كيف ينقلونها إلى واقع الأرض أحداثاً جساماً؛ وذلك لأنهم لم يتكبدوا في سبيل إقرارها غصصاً، ولم يتجرعوا آلاماً، وهذا أمر ملموس قطعي حتى في الأمور الحسية الحياتية، فالطبيب الجراح بقدر ما يجري عمليات جراحية فإنه يصبح ماهراً بمهنته محترماً بين أبناء حرفته، وموثوقاً لدى العام والخاص، وكذلك المهندس والمزارع، وحتى الحدّاء والنجار والحداد، فكيف بدين الله الذي قامت عليه السموات والأرض؟.

6. لقد وجدت من خلال الجهاد الأفغاني أنه لا يمكن لحركة إسلامية أن تنفرد وحدها في إقامة دين الله، فلا بد لأية حركة إسلامية تتوي نصرته دين الله في الأرض أن تتعاون مع كل الحركات الأخرى، ولا تبخسها حقها، ولا تعتبر نفسها الوارث الشرعي الوحيد لدين الله، وتعلن في العالمين كما أعلن أهل الكتاب من قبل:



﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ (١). ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢).

7. وأدركت من خلال التعايش مع الجهاد أن كل حركة إسلامية إنما تكون جدولاً صغيراً أو كبيراً يصب في نهر الإسلام العظيم، وأن أية محاولة لتحطيم حركة إسلامية إنما تعني تجفيف جدول من الجداول التي ترفد النهر الإسلامي، وبالتالي إضعافاً للإسلام ذاته، ونكون قد حاولنا في إيذاء مبدئنا أو قتله كالدب الذي قتل صاحبه وهو نائم؛ لأنه ضرب ذبابة حطت على وجهه بحجر ضخم فأودي بالذبابة وبصاحبه.

8. ولا بد لتحقيق المبدأ السابق أن نكف ألسنتنا عن مهاجمة الحركات، ولا بد من الانشغال بنشر جوانبها الإيجابية دون التركيز على الجوانب السلبية فيها.

وما أعمق نظرة حسن البنا وهو يوصي أتباعه: (تجنب تجريح الهيئات والأشخاص)، ولزيادة المحبة وتعميق الأواصر بين الحركات لا بد من ذكر حسناتهم، والكف عن سيئاتهم، فهذا مما يورث المحبة، ويعمق المودة، ويبعد نزغ الشيطان بينهم، ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٣). (وقولوا للناس حسناً).

(1) سورة المائدة 18.

(2) سورة البقرة 111.

(3) الإسراء 53.



دروس وعبر من خلال الدعوة الإسلامية الأفغانية كما يراها الشيخ عبد الله عزام رحمته الله:⁽¹⁾

1. إن الذين يستعملون الاتجاهات القومية والتجمعات الشيوعية والعلمانية لضرب الحركة الإسلامية هؤلاء يستفيدون مؤقتاً في التضييق على الدعوة الإسلامية، ولكنهم لا يعلمون أنهم يضعون في جيوبهم أفاعي، وفي بيوتهم ذئاباً سرعان ما تنقض هي بدورها عليهم لتفترسهم، وكما قال الأولون: (سمن كلبك يأكلك) ولذلك فإن تراقي هو الذي قتل داود.

2. إن الدعوات التي تنشأ في خضم المحن وفي أتون الابتلاء، هي التي تكسب ثقة الشعوب الإسلامية، وتنال ثققتها واحترامها، وتكسب حبها وولاءها، ولذلك بقي أبناء الحركة الإسلامية محط الأنظار بالنسبة للشعب الأفغاني، وميزان التعديل الذي لا يخل ولا يتأرجح الآن في أفغانستان هو (سابقة القائد أو المجاهد في الحركة الإسلامية)، فسابقته هي تعديله وتوثيقه.

3. إن التوكل على الله مع الإخلاص والصدق هو سر النجاح والفلاح والفوز بالنسبة للدعوات في الدنيا، ولأفرادها في الآخرة، لقد كان كثير من الناس يعتبرون مقاومة داود ضرباً من الانتحار؛ لأنهم قرروا المقاومة المسلحة لهذا الطاغية وعددهم أقل من ثلاثين شاباً.

ولقد كانت الأصوات ترتفع من هنا وهناك من بعض المتعقلين تنادي بالتفاهم مع داود والرضا ببعض الوظائف الصغيرة في الحكومة مقابل الصمت المطبق عن

(1) موسوعة الذخائر المجلد الثاني ص 331.



التيار الشيوعي الذي بدأ ينتشر كالنار في الهشيم إثر استلام داود، ولكن كم كنا نخسر لو رضينا بهذا الرأي؟.

كانت الخسارة: المنهاج كله، وفقد الطريق كله، وتضييع الشعب كله، وما كان هذا الجهاد المبارك يبرز إلى الوجود: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾⁽¹⁾.

ولذا فعندما هب الشعب أيام تراقي ينافح عن دينه ويكافح عن عقيدته لم يجد راية مرفوعة سوى راية أبناء الحركة الإسلامية، فانضوى تحتها وأوى إلى لوائها.

4. إن دور أبناء الدعوة الإسلامية هو دور ريادي قيادي، فهم يشكلون طلائع بعث لإحياء الأمة، ويمثلون البادئ (الصاعق) المحرض الذي يفجر طاقات الأمة الإسلامية، يخرج ينابيع الخير والبر من أعماقها.

والدعوة الإسلامية التي لا تستطيع أن تكسب ولاء الشعب ولا تحظى بمحبته تولد ميتة، وتعيش منغلقة على نفسها، تأكل بعضها بعضاً، وتتآكل إلى أن تموت.

والحركة الإسلامية التي تظن نفسها أنها تستطيع مواصلة حرب طويلة الأمد مع الطواغيت، وبمعزل عن الشعب وعن طاقاته، هذه الحركة – إن كانت تظن هذا – فإنها تعيش في أوهام وتسبح في أحلام.



إن الحركة الإسلامية وحدها لا تستطيع الوقوف طويلاً أمام الطواغيت، لأن أعداد أفرادها محصورة منحصرة، فكيف يمكن لدعوة أو حركة أن تقف أمام قوة كبرى أو دول عظمى أو أحلاف دولية ضخمة؟!.

إن وقود الحروب المستمرة من الشعب، ولا يمكن لحركة إسلامية أن تكفي كوقود لرحلة حرب طويلة الأمد ممتدة المسافة.

5. إن التربية الإسلامية ضرورة ماسة قبل حمل السلاح، إذ إن حمل السلاح يحتاج إلى قلوب صادقة تراقب ربها، وتخبئ لخالقها، ويحتاج إلى سواعد متوضئة حتى تحكم أصابعها على الزناد فلا تطلقها إلا في صدور أعداء الله.

وإن امتشاق السلاح قبل فترة كافية من التربية يحيل الجهاد إلى عصابات مسلحة تقطع الطريق على السابلة، وتشيع الرعب في قلوب المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، ويتحول الأمر في النهاية إلى قطاع طرق يبتزون الأموال وينتهكون الأعراض ويسفكون الدماء.. والرقابة لله (عز وجل) مع خشيته وخوفه من أشد الضرورات التي يجب أن تصاحب السلاح.

ومن هنا: فإننا جد مرتاحين من الجبهات التي يقودها شباب من أبناء الحركة الإسلامية الذين نالوا قسطاً وافراً من التربية، أو يؤمّر عليها عالم رباني يخشى الله ويتقيه، فالناس آمنون مرتاحون يبذلون له مهجهم، ويقدمون حشاشة قلوبهم فداء له.



أما اذا كان القائد غير مربى على الإسلام فإننا نعاني كثيراً من شكاوى الشعب عليه.

6. إن التربية الإسلامية ضرورة ماسة كذلك لاستمرار مسيرة الدعوة الإسلامية، ولمواصلة جهادها وكفاحها ضد أعداء الله، والشباب الذين يشبون على نار المحنة، وينضجون على حرارة الابتلاء هؤلاء بإذن الله هم الذين يثبتون إلى نهاية الشوط حتى ينالوا إحدى الحسنيين: إما الشهادة على هذا الطريق، أو إقامة المجتمع الإسلامي الذي يستظل بظلال القرآن.

ومقابل هذا: وجدنا أن الذين لم يتلقوا قسطاً كبيراً من التربية سقطوا على الطريق بعد أن كل متتهم، وأعيانهم المسير، وأضنائهم ثقل التضحيات، وغصت في حلوهم مرارة التجربة، بل نواجه أكثر من القادة العاديين الذين قاموا بحمية ضد روسيا في بداية الأمر، ودمروا لروسيا مئات الدبابات، وفجأة يأتي بأحد المسمّين بالعلماء الذين يشتركون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً يفتيهم أن هذه الدولة مسلمة، وتبني المساجد، ونرى رجالاتها على التلغاز يصلون، وبقرار واحد ينضم مع جبهته وقريته إلى الدولة.

7. ومن خلال مسيرتنا الإسلامية في أفغانستان وجدنا: أن الأسماء اللامعة الضخمة، والهالات الكبيرة التي ترسم للدول الكبرى والعظمى لا تساوي شيئاً أمام قوة الله وجبروته، وجدنا من خلال توكلنا على الله: أن القوة العظمى هي



قوة الله (عز وجل)، هذه القوة التي لا تقهر ولا تغلب: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَكَانَ فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (1).

8. إن روسيا التي يطلق عليها العالم العملاق الكبير لتبدو أمام المجاهدين هزيلة ضعيفة حسيرة كليلية، وما أحقرها وما أصغر شأنها في نظر المجاهدين الصادقين.

9. وعلمتنا تجربة الدعوة في أفغانستان أن الذي يحترم مبدأه ويضحي من أجله يفرض احترامه على الناس جميعاً كافرهم ومسلمهم؛ لأن الناس يحترمون الصادقين مع شعاراتهم، الذين يغذون كلماتهم بدمائهم.

10. وأثناء هذه الرحلة المضنية على طريق هذا الدين تعلمنا أن كثرة الثقافة الإسلامية، ووفرة المعلومات الشرعية، دون أن يصاحبها حركة عملية، وتنفيذ متواصل، وبذل وتضحية بالعرق والدم خطر كبير على الدعوة، وخطأ كبير يرتكبه أصحاب الدعوات، يقتلون به أنفسهم كالماء الكثير الذي يعطى للنبذة الصغيرة فيخنقها ويغرقها.

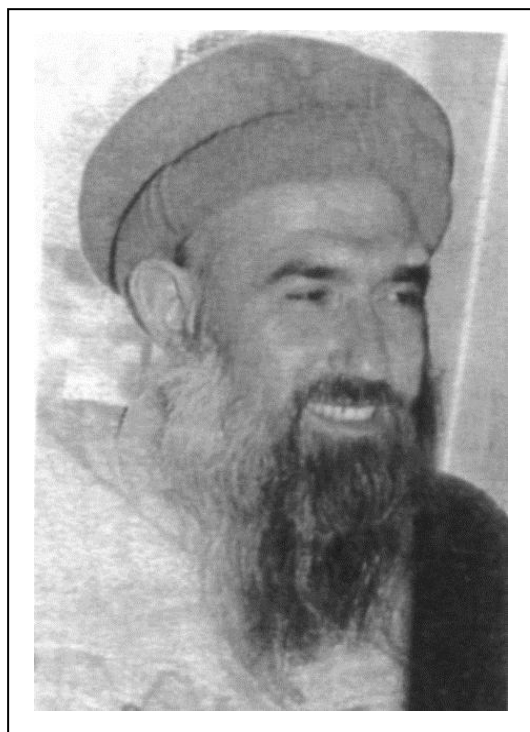
وإن الغيرة الإسلامية تكبت أولاً ثم تذوي ثم تضمحل ثم تموت، فإذا انهار هذا السد في أعماق النفس انهارت وراءه جميع الحواجز ويتحول الإنسان بعدها إلى جثة هامة باردة جامدة، لا حرارة في كلماته، ولا صدق في نبراته، ولا حيوية



في عروقه، لا يعرف إلا الجدل في الحقائق، وفلسفة الأمور حسب أحلامه التي يعيش بها، لا ينجو من نقده عامل لهذا الدين، ولا يخلص من لسانه متحرك في سبيل الله، يعيش في شرنفته متقوقعاً على نفسه، من خلال البرج العاجي الذي يسبح فيه مع أوهامه.

11. وقد أدركت الحركة الإسلامية بعون الله من خلال هذا الواقع الذي عايشته أن النتائج لا تترتب حتماً على الأسباب، بل الذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج، والله أمرنا بأن نعد ما استطعنا من قوة، فبدأت الحركة الإسلامية جهادها والحمد لله بالمسدسات الصغيرة، بل خرج الشعب المسلم بالعصي والحجارة أمام الدبابات الشيوعية، وهذا مبلغ فهمهم أن أقصى ما نستطيعه هو الحجارة والعصي.

هذه تجربة الحركة الإسلامية نضعها بين أيديكم لعلكم تنتفعون بها: (إن في ذلك عبرة لمن يخشى).





خامساً: رؤى الشيخ في الدول القائمة.

- ❖ رؤية الشيخ نحو الدول العربية والإسلامية.
- ❖ رؤية الشيخ حول قدرة أبناء الحركة الإسلامية على قيادة الدولة.
- ❖ رؤية الشيخ في الدول العالمية:
 - أ- رؤيته نحو أمريكا.
 - ب- رؤيته في بريطانيا.
 - ج- رؤيته بالنسبة لفرنسا.
 - د- رؤيته في أوروبا الشرقية والغربية.
- ❖ رؤية الشيخ نحو الرعب العالمي من الجهاد في سبيل الله.
- ❖ مدرسة جهادية ورؤيته في إقامة الدولة الإسلامية.
- ❖ رؤية الشيخ في عقدة المخابرات.
- ❖ رؤية الشيخ في العوائق التي تقف أمام المجاهدين.



رؤية الشيخ نحو الدول العربية والإسلامية.

لا شك أن الشيخ كان يعارض هذه الدول القائمة معارضة شديدة باعتبارها دولاً ظالمة لا تطبق المنهج الرباني فضلاً عن ارتباطها بالغرب، وتنفيذ سياسته في المنطقة.

ويرى رحمه الله أن القرن العشرين كان كله هزائم وانكسارات، وأن هذه الأنظمة سلمت فلسطين لليهود ومهدت لقيام دولة (إسرائيل)، بل رعتها، ومع ذلك كان يرى أن قضايا الأمة الآن لا بد أن توضع على سلم الأولويات، الأولى فالأولى.

ولذا كان يرى أن المربع الذي لا بد أن نقاتل فيه في هذه المرحلة، هو مربع من يحتل أرضنا حتى لا تنتشت الجهود، وتمزق الجموع، فكان يرى أنه لا بد أن تصب كل الجهود مجتمعة لطرد المحتل من أرض الإسلام والمسلمين ما دام أنه يحتل شبراً من أرضنا.

وهذا لا يخفى على كل ذي بصيرة عند الاطلاع على منهج الشيخ من خلال كتاباته، وخاصة كتابه الذي أسماه الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان...

وخلاصة رؤية الشيخ في هذه الأنظمة، أن هذه الأنظمة العربية عمرها قصير لا يتجاوز العقد أو العقدين وقد لا تتعدى الثلاثة عقود، هكذا سمعت الشيخ يبدي رأيه قبل استشهادة بفترة وجيزة، معللاً ذلك بأن هذه الأنظمة لا تستطيع الاستمرار لعدم توفر عناصر أسباب البقاء لديها.



رؤية الشيخ حول قدرة أبناء الحركة الإسلامية على قيادة الدولة: (1)

هذا السؤال وجهه للشيخ عبد الله عزام، وحسب تجربته في أرض الجهاد كان جوابه على النحو التالي: إذا كان صدام حسين الذي كان يسمى بسراق الدجاج في صغره ولم ينجح في أي كلية عسكرية في كبره استطاع أن يقود دولة.. وإذا كان حافظ الأسد الذي لم يكن مؤهلاً علمياً استطاع أن يقود دولة.. وإذا كان القذافي الذي يعرف عنه أنه إن لم يكن مجنوناً بالكامل فهو نصف مجنون استطاع أن يقود دولة.. وإذا كان بعض الحكام الأميين في عالمنا العربي استطاعوا أن يقودوا دولة، أفيعجز قادة وعلماء الحركة الإسلامية أن يقودوا دولة؟؟..

رؤية الشيخ في الدول العالمية :

1. رؤيته نحو أمريكا:

يرى الشيخ رحمه الله أن أمريكا تتاجر بدماء الشعوب عن طريق أذناها، وقد كان هذا واضحاً في عنوان لإحدى الافتتاحيات التي كتبها في مجلة الجهاد تحت عنوان: أمريكا وتجارة الدماء⁽²⁾ ... وليس هذا فحسب، بل كان واضحاً في لقاءاته الصحفية والتي كان يؤكد فيها أن أمريكا هي التي قامت بكل الانقلابات العسكرية في المنطقة العربية، وهي أيضاً التي قتلت ضياء الحق رئيس باكستان عندما فجرت طائرته في الجو وبرفقتة 28 جنراًلاً من خيرة الجنرالات الذين رباهم.

(1) كان الشيخ يتندر بحكام العرب فيقول: صدام حسين كان سراق دجاج في صغره، وحافظ الأسد كان غير مؤهل علمياً، وأما القذافي إن لم يكن مجنوناً فنصف مجنون وكان يرى في معظم حكام العرب عدم أهليتهم لقيادة البلاد والعباد، أما السادات فكان له الدور الكبير في ضرب الجهاد الأفغاني.

(2) مجلد في خضم المعركة وتجده أخي القارئ بداية موسوعة الذخائر المجلد الثاني .



وهذا ما ذكره في حوار شامل مع مجلة المغترب التي تصدر بالغرب، حيث قال: لقد اتفق المراقبون بأن أمريكا هي التي قتلت ضياء ويدل على ذلك بأن الغرب يخشى انتقال نور الجهاد الأفغاني إلى فلسطين وتأجيج المعركة التي تقودها حماس بالحجارة.⁽¹⁾

الانقلابات العسكرية والقومية في البلاد العربية والإسلامية كما يراها الشيخ:⁽²⁾

يقول رحمته الله: (إن الأفكار الجديدة لا بد لها من قيادات عسكرية تفرض آراءها بالقوة وتستبدل القومية والاشتراكية بالإسلام؛ لذا فقد أوصت الدوائر الغربية في بلادنا والمستشرقون بوجوب المجيء بقيادات شابه عسكرية يفرض من خلالها ما يريده الغرب من مبادئ).

يقول مورويبرجر في كتابه "العالم العربي اليوم": (إن النخبة العسكرية في الشرق الأدنى في مصر والسودان والعراق وتركيا وإيران وباكستان كانت عوامل هامة في جلب التغيير).

ويقول مايلزكوبلاند: (إن عبد الناصر لو لم يكن قد ولد فإن لعبتنا كان عليها أن تخلقه، أي تربي حاكماً دكتاتورياً).

(1) كتاب سعادة البشرية ص 58 الطبعة الأولى.

(2) موسوعة الذخائر ص 943.



يقول الشيخ رحمه الله: (ومن المعروف أن الدول الكبرى وعلى رأسها أمريكا تفضل العسكريين على الملوك لأسباب:

1. إن العسكريين ليس لهم أية معرفة بالشعوب ولا بنفسياتها ولا بطريقة إدارتها؛ لذلك فإنهم يكونون مجرد صور تدار البلد من خلالها بالأصابع الأمريكية، كما ذكرت البروتوكولات: سنأتي إلى الحكم بأناس لا قبل لهم بالسياسة فندبر الشعوب من خلالهم.

2. إن العسكريين يديرون البلد بأنظمة عرفية وأحكام عسكرية، طبقة العسكر طبقة دكتاتورية؛ لأنها تربت عليها من خلال النظام العسكري الصارم الذي يطبق على الجنود.

3. إن العسكر أقدر على إدارة عجلة الفساد بسرعة؛ لأنهم أدوات سهلة بيد أسيادهم، طيعة لهم، وفي ظل النظام العسكري تنصب المشانق، وتفتح السجون، ويصفى الجيش، وتقلب الموازين، ويوقف النظام، وتداس القيم، وتحارب المبادئ... وكل هذا باسم الشعب والوطن والحرية والتقدمية، وباسم محاربة الرجعية والجمود، وعملاء الاستعمار، وعليه: فإن الأدمغة تهرب والشرفاء يعدمون باسم العمالة، والمخلصون يسجنون وتخرب البلد وينهار الاقتصاد وتفسد الأسر وتمزق الروابط.

4. إن كثيراً من العسكريين لا يدخلون الكليات العسكرية - غالباً - إلا بسبب انسداد أبواب الدراسات الجامعية في وجوههم بسبب معدلاتهم المنخفضة في الامتحانات الثانوية العامة؛ لذلك فغالبيتهم ليس عندهم الطاقات العقلية المرتفعة. زيادة على أن بعضهم يؤتى بهم من الشوارع، من الممزقين



خلقياً واجتماعياً، فعندما تنتقله أصابع الماسونية أو دوائر المخابرات من الحضيض إلى القمة دفعة واحدة، عندها يصاب الرئيس بجنون العظمة ويستشري سعار الشهوات والأموال، فهو لا يصدق هذه النقلة الخيالية في حياتهم.

لذا تجري الدماء، وتسحق الكرامات، وتتصب المشانق، ويتحول المجتمع كله إلى جحيم لا يطاق، وسجن كبير تعد فيه الأنفاس، وتكتم فيه الأفواه؛ لذا كانت كلمة ميرابو - زعيم الثورة الفرنسية الماسوني - دستوراً للغرب بشأن الثورات: (سنشلق آخر ملك بأمعاء آخر قسيس).

5. إن الوراثة في نظام الملكيات يجعلها حريصة على إقامة علاقات حسنة مع شعوبهم؛ لأنهم يطمحون أن يستمر الحكم لعائلاتهم، فإن ذهب هو فإنه يأمل أن يأتي ولي عهده - أخوه أو ابنه - وكذلك فإن نهبهم للأموال لا يكون ذاهباً بلا رجعة، بل المال والملك باقيان له في ذريته، بخلاف الانقلابات العسكرية كلما دخلت أمة لعنت أختها، وكلما جاء عسكري كشف عورات سابقه وحاكم عهده وأسرته، ومسؤولية نهب الأموال وإراقة الدماء.

والعسكري الذي جاء إلى الحكم لا يطمئن إلى استمراره؛ لذا فإنه ينهب أموال البلد ويسجن أبناءها ويحارب خيارها وهذه حقائق نسوقها لا لنقول بأن الملكيات طاهرة مطهرة، بل لها سيئاتها وسلبياتها وطغيانها وظلمها ولكن حنانيك بعض الشر أهون من بعض.



2. رؤيته في بريطانيا:

أما بريطانيا فقد كان يرى أنها سبب مشاكل العالم العربي والإسلامي؛ لذلك وصفها بوصف دقيق حيث سماها بالحية الرقطاء، وقد كان يؤكد على هذا المعنى من خلال خطبه وافتتاحياته تحت عنوان: "بريطانيا تلك الحية الرقطاء" هذا الوصف كان يستقيه من المصائب التي ورثته بريطانيا للعالم الإسلامي، وعلى رأسها إعطاء فلسطين لليهود مجاناً عبر وعد بلفور المشؤوم .

3. رؤيته بالنسبة لفرنسا:

كان يرى ﷺ أن فرنسا هي الروح والعقل المدبر للمخابرات الأمريكية والبريطانية والاستعمارية بشكل عام...

4. أوروبا الشرقية والغربية:

كان يتوقع بفراسته ﷺ ما ستؤول إليه الحضارة الغربية بشقيها، لما عليها من ضلال وفساد وظلم للأمم، ومن هنا فقد تتبأ في كتابه الإسلام ومستقبل البشرية، الذي ألفه عام 1978-1979م، أن العالم يعيش بين قوتين شرقية تقودها روسيا وغربية تقودها أمريكا، وأن هاتين القوتين أو الحضارتين ستسقطان عاجلاً أم آجلاً، إلا أنه توقع سقوط الفرع الشرقي المتمثل بروسيا قبل الفرع الغربي المتمثل بأمريكا، وقال:



إن الفرع الشرقي أقرب للذبول وآيل للسقوط أكثر من الفرع الغربي، لأن سلوكه يعاكس الفطرة التي فطر الله عليها البشرية، إلا أن الفرع الغربي قد يتأخر سقوطه بعض الشيء ويبدو، والله أعلم، أن الفرع الغربي ما زال يتمتع ببعض الروحانيات وباعتباره ما زال يأخذ ببعض مبادئ الديمقراطية حتى الآن.⁽¹⁾

رؤية الشيخ نحو الرعب العالمي من الجهاد في سبيل الله:

يقول رحمه الله: (سلطان)

- نحن لا نغفل الرعب العالمي والفرع الدولي من استيقاظ روح الجهاد لدى الأمة المسلمة .

- نحن ندرك الجهود الضخمة التي بذلتها الأجهزة العالمية والمؤسسات الغربية والأكاديميات من أجل تشويه عبادة الجهاد في أذهان الجيل المسلم، بل لمسح مفهوم الجهاد والقتال وتحويله إلى كلمات ميتة وعبارات جامدة باردة .

- نحن نعلم المخططات الرهيبة من أجل تحويل المسلم الذي تزلزل هيئته أوصال الكفر إلى غثاء كغشاء السيل، ومن أجل غرس الوهن في أعماق المسلمين، وهو حب الدنيا وكراهية الموت أو كراهية القتال .

- نحن نعي التصفية الجسدية لأولئك الذين زاولوا عبادة الجهاد بأنفسهم في فلسطين وسوريا وغيرها .

(1) بإمكانك أخي الكريم العودة إلى كتاب الإسلام ومستقبل البشرية.

(2) مجلد في خضم المعركة صفحة 122.



- نحن نعلم كيف قتل الأستاذ حسن البنا عام 1949م، بعد أن أرسل برقية إلى مؤتمر القمة المنعقد في عاليه بالسماح له بدخول فلسطين بعشرة آلاف مسلح حيث كان الاغتيال في عيد ميلاد فاروق وعلى يد مدير مخابرات القصر محمود عبد المجيد.
- نحن نعي كيف قرر السفراء الثلاثة؛ الأمريكي والبريطاني والفرنسي حل جماعة الإخوان المسلمين في عام 1948م، عندما عازمت على دخول معركة فلسطين بثقلها.
- نعلم أن كل من حضر الجهاد في فلسطين عام 1948م، وقناة السويس كان جزاؤه إما الإعدام... وإما الأشغال الشاقة على يد جمال عبد الناصر في محكمة الثورة.
- نحن نعرف الكيد العالمي والمحلي ضد الجهاد والمجاهدين ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَرُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (سلطان)

ولكن الذين يكيدون يغفلون سنناً وقوانين هي :

1. أن القدر بيد الله تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾⁽²⁾، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ (سلطان).
2. ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾⁽⁵⁾.

(1) سورة إبراهيم 46.

(2) سورة البقرة 210.

(3) سورة هود 123.

(4) سورة فاطر 43.

(5) سورة النمل 50 - 53.



3. وينسون ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (سلطان).
4. ويغفلون ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَاتَّقُوا لَإِيْضَتَكُمْ كَيْدَهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (سلطان).
5. ولا يعلمون ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ (سلطان).
6. وينسون ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (سم).

إن الجهاد هو الشبح الرهيب الذي يقض مضاجع أعداء الله ولكنهم ينسون البشرى التي بشرنا بها رسول الله ﷺ: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يبقی بيت من مضر ولا وبر إلا ويدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز به دين الله، وذلاً يذل به الكفر) حديث صحيح، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سلطان).

(1) سورة الحج 28
(2) سورة آل عمران 120
(3) الأنفال 36
(4) التوبة 32-33
(5) سورة الأعراف 128



ففي الحديث الصحيح الذي رواه الطبراني وأحمد : (عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة، يذهب الله به الهم والغم) (1).

كيف القرار وكيف يهدأ مسلم
والمسلمات مع العدو المعتدي
القائلات إذا خشين فضيحة
جهد المقالة ليتنا لم نولد

رؤية الشيخ في الحركات الإسلامية وتجربة بعضها على الساحة الإسلامية:

إن الناظر للحركات الإسلامية المتناثرة على الساحة الإسلامية يحمل همّاً كبيراً قد يدفع البعض إلى التعصب لجهة، دون جهة ظناً منه أن حركته وحدها هي التي ستقيم دولة الإسلام دون غيرها.

ولذلك كان للشيخ رؤية فيها أن كل حركة إسلامية على الساحة الإسلامية إنما تمثل جدولاً من الجداول يصب في نهر الإسلام العظيم، ومع التأكيد في كل مرة على أن دولة الإسلام لا يمكن أن تقام إلا بجهود الجميع وتكاتف جميع هذه الحركات مع مخلصي هذه الأمة وعلمائها ..

ولك أخي القارئ أن ترجع إلى ظلال سورة التوبة للشيخ عبد الله عزام⁽²⁾، الذي وضع فيها تجربة الدكتور إسحاق الفرحان عندما أصبح وزيراً للتربية والتعليم في الأردن أوائل السبعينيات حيث وظف فيها كل من يحمل شهادة من أبناء الحركة الإسلامية في الأردن وغير الحركة الإسلامية، بل كل من ينطق بالشهادتين، ومع ذلك

(1) ما يتعلق بالرعب العالمي من الجهاد أخذ نصاً من مجلد (في خضم المعركة) عند موضوع الشيخ الرهيب.

(2) موسوعة الذخائر أوائل المجلد الرابع.



بقيت الأماكن شاغرة في وزارة التربية والتعليم.. فإذا كان هذا على مستوى وزارة واحدة فكيف ببقية الوزارات الأخرى ؟؟ .

أما توحيد هذه الحركات فكان يرى أنه لا يمكن أن تتوحد هذه الحركات إلا من خلال جهاد طويل، يتوج بنصر عظيم، يكون مدعاةً للوحدة، وبالتالي يمكن للقوة الكبيرة أن تخضع الشاذ منها بالقوة، حتى تقيء إلى أمر الله تعالى...

مدرسة جهادية ورؤيته في إقامة الدولة الإسلامية:

قد يجمع كل من عرف الشيخ واحتك به واطلع على تراثه العلمي والفكري أنه كان يشكل مدرسة جهادية لهذا الجيل، ورائداً من روادها، وكان ممن يمهّدون لإقامة الدولة على أي بقعة من البقاع الإسلامية...

لا شك أن الشيخ كانت له رؤيته الواضحة في كيفية إقامة دولة الإسلام على المدى البعيد بشكل مرحلي دون التقيد بسقف زمني للوصول إلى هذا الهدف...!!
وتتلخص رؤيته عبر طريقين:

الطريق الأول: عبر جهاد شعبي طويل الأمد فوق أي بقعة من بقاع الأرض الإسلامية التي وقعت في يوم من الأيام في قبضة الكفار، وتكون قيادتها قد برزت من خلال الميدان، وليس عن منابر الأقوال، برؤية ثاقبة واضحة نابغة من كتاب الله وسنة نبيه، وما نقل عن صحابة رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال؛ لأن هذه الأمة بحاجة إلى إمام فَعَال وليس إلى إمام قَوَال.



الطريق الثاني: عبر عالم من علماء هذه الأمة... حيث ينطلق بفكرة صحيحة قائمة على كتاب الله وسنة نبيه... يحمل منهاجاً قوياً منطلقاً من هذين المصدرين، يدعو به الناس.. يلتف حوله مجموعة ممن آمن بفكرته ومنهاجه من خلال دعوته إلى الله.. يشتبك هو ومن معه مع أهل الجاهلية من أصحاب السلطان وأذنانهم المتنفعين ممن تنفذوا في قمة الهرم السياسي...

هذا الاشتباك يبدأ عادة إعلامياً ثم تشتد هذه المعركة إلى الملاحقة والمطاردة فيعتقل منهم من يعتقل إلى أن يصل الأمر قمة الاحتدام والصدام، فيسقط فيها من يسقط، ويبقى فيها من يبقى، والفئة المتبقية غالباً ما تكون ستاراً لقدرة الله (عز وجل)...

يقول ﷺ: إن إقامة دين الله في الأرض وبناء المجتمع المسلم والدولة الإسلامية لها قانون ثابت لا يتغير، وهو القانون الذي قام به هذا الدين أول مرة على يد سيد المرسلين، وهو يمر في خطوات مرحلية مرتبة ترتيباً زمنياً ضرورياً: -⁽¹⁾

1. مرحلة إعلان الدعوة من قبل رجل مؤمن بها، مقتنع بضرورة وجودها، ويعلن التوحيد الخالص من أول خطواتها.

2. مرحلة الحرب الكلامية الباردة، وشن حملة إعلامية من تشويه وتزوير وتثديد وتبكيث، وأما الحركة الإسلامية فإنها يجب أن تتشغل ببناء أفرادها وتكوين قاعدة صلبة منهم.

(1) موسوعة الذخائر المجلد الثاني ص 734، (هذا بعد انتهاء مرحلة السرية).



3. مرحلة الحرب الساخنة من نفي واضطهاد وتجويع وتعذيب وسجن، وتنتهي هذه المرحلة بإعلان الجهاد، وكلمة الجهاد إذا أطلقت فإنما تعني استعمال السلاح، كما قال ابن رشد، وحيثما أطلقت كلمة الجهاد فإنها تعني: (قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون).

والناس يققون في الساحة متفرجين على المعركة التي تدور رحاها بين الطواغيت من جهة، والحركة الإسلامية من جهة أخرى، وينضم الناس تدريجياً إلى الحركة كلما حققت نصراً أو خطت خطوة إلى الأمام، وفي نهاية هذه المرحلة مع ثبات الفئة المؤمنة، ينتزل النصر بالتأييد الإلهي على الفئة المؤمنة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾⁽¹⁾.

4. وبعد النصر يدخل الناس في دين الله أفواجا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾⁽²⁾.

ولذا كان العامان التاسع والعاشر للهجرة بعد فتح مكة عامي الوفود التي جاءت تعلن إسلامها بعد أن هزم الطاغوت الأكبر في المعركة، وبعد أن تحطمت أصنام هذا الطاغوت في رمضان سنة 8 هـ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾⁽³⁾.

(1) غافر 51.

(2) سورة النصر.

(3) الإسراء 81.



ويلخص الشيخ رؤيته في إقامة الدولة على النحو التالي:

- لقيام دولة إسلامية لا بد من حركة إسلامية .
- لا يمكن لحركة إسلامية منفردة أن تقيم دولة إسلامية.
- إن هذه الحركة لا بد أن تكون من داخل الشعب، تعتني بأبنائها الناضجين، فتربيهم تربية ربانية على المنهج الرباني.
- تشرع الحركة بحمل السلاح ضد العدو، وتبدأ بالمعركة المسلحة الأولى من خلال الأرض والشعب الذي نبتت فيه الحركة.
- أن تختار الحركة الإسلامية عدواً مشتركاً، والأولى أن تبدأ بالقتال ضد اليهود باعتبارهم عدواً واضح الراية في كفره يجتمع عليه الجميع، وكذلك ضد كل عدو يدخل أرض المسلمين، وهنا لا يستطيع أحد أن يسمي من يقاتل الاحتلال الروسي خائناً ولا الذي يقاتل اليهود خائناً، بل سينظر إليك الوطني من ناحية وطنية ويكبرك ويجلك ويحترمك ويعجب بشخصك ثم يعجب بمبدئك.
- وكذلك المسلم سيكبرك لأنك تمسك حسامك وتشرع هامتك للنار وتبحث عن الموت وتدافع عن الشعب، ولذلك فالشعب سيقف معك والعدو سيكون في موقف حرج؛ لأنه يجابه الحركة في ميدان مشترك.
- كلما طالت المعركة كلما استفادت الحركة الإسلامية، وكلما اختارت العناصر كلما برزت القيادات، وكلما طالت المعركة دفعت بالنماذج إلى القمة؛ لأن طول المدة يسقط فيها من يسقط من ضعفاء الإيمان بسبب الجوانب التي ستجذبهم إلى الخلف من الولد والزوجة والمزرعة والوظيفة.



– ستكون النتيجة واحدة من اثنين إما أن ينتصر المسلمون فتقوم دولة إسلامية وإما أن ينتصر الكفار، وهنا لم تخسر الدعوة الإسلامية؛ لأنها كونت رصيماً من الناس وتراثاً مجيداً وصفحات مشرقة تسكت الذين يعبثون بأصحاب المبادئ.

وكان يرى ﷺ أن الشرارة التي انطلقت من فوق جبال الهندوكوش ستكون خط التحول التاريخي للعالم كله، بل ستكون بوابة دولة إسلامية، وكان يقول: نأمل أن يطبق الإسلام بعد النصر، ولكن تطبيق الإسلام لا يتم في سنة ولا في سنتين، بل يحتاج إلى سنوات طويلة (قد تصل إلى 5-10 سنوات) لتتقيد الشعب وتعليمه الإسلام من خلال الإعلام والمنابر والدعاة وأجهزة التعليم والجامعات والتلفاز والمذياع، كلها ستشتغل لبناء الشعب وتربيته إسلامياً وخلال خمس سنوات أو أكثر - إن شاء الله - يطبق الإسلام (1)

وأخيراً كان يرى ﷺ أيضاً :

1. أن إقامة الدولة الإسلامية لها ثمن غالٍ وباهظ يدفع فيها الغالي والنفيس من أجل الوصول إلى هذا الهدف السامي، فكان يقول: لو أن إقامة الدولة الإسلامية كلف ثمنها من الشهداء نصف مليار مسلم فالمسلمون هم الرابحون!!
2. أن الجهاد بحاجة إلى مال، ولكن حاجته للرجال أشد...
3. أن حرمة الادخار في المال قائمة ما دام الجهاد بحاجة إلى المال...
4. أن الجهاد مستمر لا يوقفه جور جائر، ولا عدل عادل... كما ورد في الحديث...

(1) جريدة الدعوة تصدر في النرويج ... سؤال وجه للشيخ : هل ترى أن أفغانستان بوابة للخلافة الإسلامية في الأرض؟.



5. أن المسلم لا يجوز له أن يقول: جاهدت في هذا العام ثم يذهب وبنام بقية حياته...

كان يردد دائماً: (ماذا على المسلمين، لو أن كل واحد منهم قدم ولداً من أولاده في سبيل الله زكاة الله تعالى وشكراً على نعمائه... ماذا على المسلمين، لو أن كل عائلة من عائلاتهم اعتبرت الجهاد ولداً من أولادها فأودعت مصروفاً لهذا الولد في صندوق التوفير لتغطية نفقات الجهاد والمجاهدين).

وكان يؤكد أن ذات الشوكة هي التي تعيد المجد للإسلام والمسلمين، فكان يقول: (إن مليوني مسلم يحجون في كل عام إلى البيت العتيق لا يهزون شعرة في جلد كافر... باعتبار أن أعداء الله ﷻ لا يهابون إلا امتشاق السلاح بجانب الفرائض المفروضة وأن الحسم للحسام).

إن ألفي قذيفة من كلام لا تساوي قذيفة من حديد

6. أن أي جهاد في الأرض لا يمكن أن ينجح إلا إذا كانت القيادة داخل المعركة، بل في أتونها، توجهها وترشدتها وتعيش الظروف الذي يعيشها جنودها؛ لهذا كان يرجع فشل الجهاد في سوريا إلى أن قيادة الحركة في سوريا أرادت أن توجه المعركة من خارج أرضها.



7. أن حركة التاريخ مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالجهاد - وهو القتل والقتال - ؛ لأن الجهاد هو الذي يصنع أحداث التاريخ، فإذا توقف الجهاد توقفت حركة التاريخ، ومن هنا سمي المؤرخون الأحداث التي دارت في عهد النبوة والراشدين السير والمغازي.

8. أن أي جهاد في الأرض إنما هو جهاد أمة بكاملها وليس جهاد فصيل أو حركة؛ لأن الجهاد في أرض المعركة بحاجة إلى البدوي في الصحراء ليكون دليلاً للمجاهدين، وبحاجة للجزار وللهان وللنجار وللبناء، بل ولكل فرد من أفراد المجتمع ليكون الجميع معباً تعبئة كاملة لدحر الاحتلال.

أما الحركة الإسلامية فما هي إلا جزء من المجتمع، لكنها تشكل الصاعق الذي يفجر طاقة هذه الأمة، تماماً كما يفجر الصاعق أطناناً من المتفجرات، وهي بالتالي القائدة والرائدة والموجهة للمجتمع.

9. وكان يقول لقد أعطينا دعوتنا فراغنا فأعطتنا فراغاً، ودولة الإسلام تحتاج إلى كل الإمكانات وفي مقدمتها أيدٍ متوضئة وصادقة قوية لا تعرف اليأس أو القنوط أو الخوف أو الضعف.

10. ولهذا كان ينتقد رحمته الله بعض الشباب الذين كانوا يأتون للجهاد حيث يقول: يأتينا شاب متحمس للجهاد والاستشهاد، وما أن ينزل إلى أرض الواقع ويرى غربة القوم واللغة والعادات والتقاليد والتقلبات في الطقس والأجواء والعيش بين الثلوج والبرد القارس، ودوي المدافع، وقعقة السلاح، وهدير الطائرات



وقصفها... يبدأ هذا الشاب يطلق قنابل دخانية ومبررات، تمهيداً لانسحابه من أرض الجهاد، فيبدأ يطلق مبررات ما أنزل الله بها من سلطان، فيقول: أمي مريضة، أمي عندها ضغط.. أو سكري أو قلب، أو سرطان، وكل هذه المبررات إنما هي وسيلة للتغطية لانسحابه من أرض الجهاد والعودة إلى بلده ... وإلا ما باله تذكر كل ذلك في هذا الوقت بالذات... ألم يكن يعلم بمرض أمه قبل مجيئه إلى أرض الجهاد...؟؟

إن مثل هذه الزفرات التي يطلقها البعض إنما هي محاولة لإقناع الناس بحججه، لكنه لا يعلم أن حججه مكشوفة وغير كافية لإقناع الصادقين عن سبب انكفائه من أرض الجهاد مهما بلغ دخان هذه القنابل التي يطلقها...

11. إن مثل هذه النوعية الضعيفة من البشر غير مؤهلة لمواصلة السير في طريق الدعوة للوصول إلى الهدف المنشود ألا وهو إقامة الدولة الإسلامية...ومهما يكن، فإن قناعة الشيخ نحو إقامة الدولة الإسلامية لا يمكن أن تقوم بغير جهاد واستشهاد كما ورد في وصيته: (إن الذين يظنون أن دين الله يمكن أن يقوم بدون دماء وأشلاء وهؤلاء واهمون لا يدركون طبيعة هذا الدين ولا يعرفون نهج سيد المرسلين محمد ﷺ) .. ولا يمكن أن يتعمق الإيمان عند أبناء الحركة الإسلامية إلا من خلال عقيدة الجهاد... ولا يمكن أن تكون التربية الحقيقية وبناء القاعدة الصلبة إلا من خلال أحداث ساخنة عبر جهاد مستمر، ومحن متتالية من خلال ملاحقة الصادقين ومطاردتهم... لأن القاعدة الصلبة لا يمكن أن تبنى من خلال أعطاف النعيم...



12. ولا يمكن أن توحد الأمة بفصائلها وشعثها واختلافات تفكيرها إلا من خلال الجهاد؛ لأن الناس لا يمكن أن يخضعوا للحق والتنازل عن أهوائهم إلا إذا كان الحق قوياً.

رؤية الشيخ في عقدة المخابرات :

يقول رحمته الله: إن أكبر عقدة في حياة الدعاة هي عقدة الخوف على الرزق والأجل، فإذا انحلت هذه العقدة، انحلت العقد كلها وفي هذه الأيام أصبحت عقدة المخابرات هي العقدة التي أحالت الدعوة إلى إشارات خفية وألغاز معماة سرية؛ وذلك لأن المخابرات يمثلون شعباً رهيباً يطارد الدعاة في سباتهم وبقض عليهم مضاجعهم وذلك خوفاً على رزقهم أو أجلهم، والجهاد تحرر من جميع العقد والحمد لله، لقد منّ الله علينا بالتحرر من هذه العقد، فعندما يقولون لي: فلان من المخابرات فكأنما يقولون لي: أبو تمام مدح المعتصم، أي لم تعد تتثير في اهتماماً ولا تحرك في أعماقنا أية مخاوف (1).

ذات مرة كان الشيخ في أحد البلدان فأرسل إليه شاب من أحبابه ومن معارفه يقول له: يا شيخ: أنا لا أستطيع أن أسلم عليك في المسجد، أدعوك إلى بيتي حتى أسلم عليك، فقال الشيخ في نفسه، لا يستطيع الأخ أن يدخل مسجداً فيه المئات ليسلم علي؟ لا أريد أن أدخل بيته !.

هذه النفسيات لا يمكن أن تقيم دولة إسلامية، بل والله لا تستطيع أن تقيم بلدية بهذه النفسية المهزومة التي ترتجف من المخابرات.

(1) مجلد في خضم المعركة عند موضوع هكذا علمني الجهاد.



كيف يمكن لأمثال هؤلاء أن يربوا أجيالاً وعقدة المخابرات تلاحقهم وتقتض مضجعهم، خاصة ونحن نعلم أن أول مراتب الإيمان، أن نؤمن بأن الله خالق، وأن الله رازق (توحيد الربوبية) فإذا لم يقف الإنسان يوماً واحداً يخاطر فيه على رزقه أو على حياته، فأني إيمان يربي أمثال هذا الجيل الرباني ؟

ويقول أيضاً : جاءني شاب وقال لي: أنا يا شيخ عبد الله أعمل في مكتب وجواري أحد الإخوة منذ سنتين، لم يعرف هذا الشاب توجهي، فقلت له : الله يعطيك العافية، إذن لم تتكلم معه كلمة واحدة !!.

ويقول أيضاً : جاءني شاب من الأردن ليقدم رسالة الماجستير في باكستان في الشريعة الإسلامية، فقلت له: الحمد لله الذي ساقك إلى هنا حتى نرسلك إلى مخيمات المهاجرين لتطلع على آلامهم ومصائبهم، فرد عليّ قائلاً: وإذا علمت الموساد ؟ فقلت له: الموساد تعلم بالغيب ؟!! أنت اسمك محمد، فإذا سميت نفسك أحمد ونزلت في المخيمات بين آلاف المهاجرين من سيعرفك ؟

بالله عليكم كيف يمكن لمثل هذه النماذج أن تقيم دولة الإسلام بهذه النفوس المهزومة ؟؟

رؤية الشيخ في العوائق التي تقف أمام المجاهدين:

يرى ﷺ أن من أهم الصعوبات التي تواجه المجاهد في أرض المعركة انتظار الرباط من أجل المعركة.



يقول رحمه الله⁽¹⁾: .. وجدت أن أصعب شيء في الجهاد هو انتظاره، والمرابطة لانتظار المعركة أصعب من المعركة ذاتها.. إذ كلما طالت المدة في المرابطة كلما بدأ الملل يتسرب إلى النفوس المتوقدة، ويبدأ الحماس يخبو يوماً بعد يوم، إن لم تجد النفس من العبادات والزاد الروحي ما يحفظ عليها حماسها وغلانها ويؤجج نار شوقها للمعركة.

والذي يعيش بين المجاهدين يدرك هذه الحقيقة بوضوح، خاصة بين الذين يفدون إلى الجهاد من بعيد، ويتركون زينة الحياة الدنيا وزخارفها وبريق الأمانى ولمعانها، يعود الشيطان ليسول له الرجوع إلى دنياه التي تركها، ولكنه لا يدخل له إلا من مدخل المصلحة والموازنة بين المصالح والمقارنة بين الإيجابيات والسلبيات.

فالشيطان لا يدخل له مباشرة من باب ترك الجهاد، بل من باب أن الحي الذي تركته ضاع أبنائه، والمسجد الذي غادرته قلّ عمّاره، والأسرة التي انتزعت نفسك منها تمزقت، وتزداد آلام الحيرة ونار التردد إذا كان المجاهد ذا مكانة في بلده، كأن يكون مربي جيل أو أستاذ جامعة أو مدير شركة، ومما يوجب نار الشك والتردد والحيرة مبررات العودة من أرض الجهاد- التي تزداد يوماً بعد يوم، ومن أبرزها:-

- رؤية بعض الغثاء في أرض الجهاد مما يسبب الغثيان لدى المهاجر المجاهد، فقد تكون مقاديره ألفت به بين مجموعة عضها الجوع بنابه، أو ألجأتها الحاجة إلى الاحتيال والكذب للحصول على بعض المال من يده، لكسب قوتها وتحصيل ما تسد به رمقها.

(1) موسوعة الذخائر ص 12-14 المجلد الثاني.



- وتزداد الحيرة مع حواجز اللغة وبعض العادات و شظف العيش ووعورة المسالك ووحشة السبيل.
- ولا شك أن طول الطريق، مع علو التضحيات وفداحة الخسائر المادية الظاهرة، تخفف من أوار حماس المجاهد وتعيق حركته.
- وكذلك فإن بذل التضحيات على هذه الجادة الطويلة دون جني ثمار عاجلة، تجعل النفوس تتخاذل، خاصة إذا لم تكن هذه النفوس قد تربت على البذل والصبر والمشقة حتى صلب عودها، إذ بقدر صلابة العود تحتل المصائب وتبذل التكاليف.
- وأن النفوس الكبيرة، والقلوب الحانية، والصدور الواسعة التي تسبق في أرض الجهاد، هي التي تشكل صمام الأمان بالنسبة للذين يتقلتون وينتظرون أدنى مناسبة للعودة من حيث أتوا.
- هذه النفوس الكبيرة تشكل الروضة وارفة الظلال في هاجرة الهجرة لهؤلاء الوافدين للجهاد، وتكون المستراح الهادئ لهم.
- وكلما كثر أبناء اللغة الواحدة، أو الأرض الواحدة مع الإيمان الصادق، كلما قلت الحيرة وزالت نار التردد؛ لأن النفوس بطبيعتها تميل وتحنو إلى سماع لغتها الخاصة وتقاليدها التي تربت عليها، ومن هنا كان الدعاء الشريف: (اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة).



- وإذا غاب الهدف الكبير، الذي جاء من أجله المجاهد، وضاعت معالم الطريق الذي يسير عليه، فمن الصعب أن تقنعه بالبقاء أو الاستمرار.
- إن استمرار التضحيات وتوالي المآسي يهد العزيمة ويلين القناة (إلا من رحمه ربك وقليل ما هم) خاصة إذا فقد الطعام واللباس وتحول البيت إلى مأتم تصب فوقه كل يوم مصيبة.

وهنا نقول: (إن الصبر على مرارة الطريق لا بد أن يرافقه تذوق حلاوة عبادة الجهاد، ولا تتم الحلاوة إلا بأن يدرك المجاهد هدفه ويضع نصب عينيه غايته)..





سادساً: جولات الشيخ عبد الله عزام.

- ❖ الشيخ وجولاته في العالم.
- ❖ رحلته إلى الكويت.
- ❖ مؤتمر لاهور.
- ❖ كلمة للتاريخ ... صرخة من القلب.
- ❖ رسائل متنوعة.



الشيخ وجولاته في العالم:

كان للشيخ جولات وجولات.. طاف بها أقطار متعددة من العالم وعلى رأسها السعودية وقطر والإمارات والكويت وأمريكا وبعض الدول الأوروبية، ذلك للتعريف بالقضية الأفغانية وجمع المساعدات لها عبر المؤتمرات والندوات التي كانت تعقد عادة في هذه البلدان، ولا أستطيع أن أفصل عن هذه الرحلات التي قام بها.

ولكن؛ لنأخذ مثلاً واحداً وما حصل معه في زيارته قبل الأخيرة إلى الرياض في صيف 1989م؛ حيث وصل الرياض يوم جمعة وألقى محاضرة في ذلك اليوم، ثم محاضرة أخرى يوم السبت، ومحاضرة ثالثة يوم الأحد.

كان من المقرر أن يلقي محاضرة في اليوم الذي يليه (يوم الاثنين) في مسجد الملك خالد في الرياض، الذي يتسع لأكثر من ثلاثة آلاف مصلٍ، إلا أن ثمار المحاضرات التي سبقتها أدت مفعولها، وجعلت الشباب السعودي ينفرون إلى الجهاد، مما أفرغ الآباء وبعض المسؤولين هناك، وهذا الذي جعلهم يرسلون اثنين من رجال الأمن إلى الشيخ يطلبون منه رسمياً عدم إلقاء المحاضرة في مسجد الملك خالد، فرد عليهم الشيخ بأن هذا الأمر ليس من صالحهم، فقالوا: نحن نتحمل التبعات ولكن؛ نريد أن تأتي معنا وتلغي المحاضرة بنفسك، فرفض الشيخ طلبهم، قائلاً: ما أنا إلا رجلٍ مار ببلدكم مروراً وسأغادرها بعد ساعات!! فاضطروا أن يذهبوا بأنفسهم لإلغائها.



وقف أحدهم أمام الجمهور وقال: يعتذر الشيخ عن إلقاء المحاضرة لأسباب صحية، إلا أن الجمهور لم يكن مغفلاً، حيث كان بعضهم قد التقى مع الشيخ قبل ساعة من هذا الإعلان، مما أدى إلى إحداث بلبلة بين الناس واستهجاناً لمثل هذا التصرف الأهوج.. ومنذ تلك الحادثة لم يسمح للشيخ بإلقاء أي محاضرة أو ندوة في السعودية حتى استشهاده، رغم تدخل كثير من وجهاء السعودية وعلى رأسهم الشيخ ابن باز رحمته الله...

واصل الشيخ رحلة (الترانزيت) إلى الإمارات ثم إلى قطر وكان من المقرر أن يلقي خطبة الجمعة في المسجد الذي يخطب فيه الشيخ القرضاوي ونقلها بشكل مباشر عبر التلفاز إلا أن بعض الجهات الرسمية في المنظمة تدخلت لدى قطر وألغت الخطبة، مما اضطره أن يخطب في مسجد آخر.

رحلته إلى الكويت:

وقبل استشهاده بشهرين، زار الكويت وكان لزيارته الأثر الكبير على الشعب الكويتي، خاصة بعد إلقائه محاضرات وندوات ومؤتمرات صحفية عديدة.. حيث مكث هناك فترة تجاوزت الأسبوع.. وبعد هذه الضجة الإعلامية الكبيرة التي رافقت زيارة الشيخ للكويت من خطب ومحاضرات ومؤتمرات صحفية، جاء رجل من معارف الشيخ ممن يعمل في الخارجية الكويتية وقال: لقد وصلتنا رسالة من جهات حكومية تقول: نريد توضيحاً عن كيفية دخول الشيخ عبد الله عزام إلى الكويت، فردت الخارجية على مصدر الرسالة بأن الشيخ حصل على تأشيرته من السفارة الكويتية من العاصمة الباكستانية إسلام آباد، وأن الشيخ دخل الكويت بطريقة شرعية.. فالأمر ليس صعباً كما تظنون!!



مؤتمر لاهور:

إن، لا نستطيع أن نعدد الزيارات التي قام بها الشيخ للبلدان العربية والإسلامية والأوروبية، ولا نستطيع أيضاً أن نغفل مؤتمراً كبيراً ومهماً لقادة الحركات الإسلامية في مدينة لاهور الباكستانية قبل استشهاده بأسبوعين تقريباً، وقد ألقى في هذا المؤتمر كلمة مهمة أقل ما يمكن وصفها بأنها كلمة مودع، حيث قال مخاطباً قادة العمل الإسلامي: ماذا تريدون يا قادة العمل الإسلامي؟ كنا نبحث عن قطعة أرض نقف عليها.. هذه أفغانستان مساحتها 650 ألف كيلومتر.. فيها حركة إسلامية تقود شعباً بكامله.. ثم قال: نريد مجموعة من العلماء يذهبون إلى هناك يصطحبون معهم أهاليهم للاستقرار بجوار الجهاد، وظيفتهم فقط إصلاح ذات البين.

وقد نبه الشيخ لخطورة المرحلة التي يمر بها الجهاد، الأفغاني، ولهذا أشار إلى أهمية وجود العلماء بين المجاهدين هم وعائلاتهم في أرض الجهاد، ليقوموا بعملية الإصلاح بين قادة الجهاد حتى لا يخوضوا في دماء بعضهم البعض..

وقد أنهى كلمته وكأنه مودع قائلاً: لقد وصلت اللقمة إلى الفم، فلا تسقطوها... إن فانتكم فرصة أفغانستان فانتظروا نصف قرن، إلى قرن من الزمان، حتى تنتهي لكم فرصة أخرى يغمض الغرب فيها عينيه عن أبناء الحركات الإسلامية والفرص لا تتكرر!!



هكذا كان يوصي إخوانه من قادة الحركات الإسلامية في العالم، ومع هذا لم تجد هذه الكلمات آذاناً صاغية حتى وقع المحذور الذي كان يخشاه بعد استشهاده .. ووقع الاقتتال وذهبت ثمار الجهاد؛ وكل ذلك للفراغ الذي تركه الشيخ خلفه، ولعدم وجود العلماء المصلحين لملء الفراغ في أرض الجهاد.

وها نحن نضع بين يديك أخي القارئ بعض المقتطفات من هذه الكلمة: (سلطان)

يقول رحمه الله: لا بد من ترتيب الأولويات في العمل الإسلامي، فنحن كأبناء حركة إسلامية وضعنا في منهاجنا: إقامة دين الله في الأرض وإشادة مجتمع الإسلام، وإقامة دين الله (عز وجل) في الأرض، لا يمكن أن يكون هذا إلا بالتركيز على بقعة أرض يقام فيها دين الله كما قام أول مرة، فإن توحيد الأمة الإسلامية لا يمكن أن يتحقق أبداً إلا إذا كان للمسلمين دار تؤوي ضعفاءهم، وتتكلم باسمهم، وتجاهد من أجلهم، فلا بد أن نتبع المنهاج الذي اتبعه رسول الله ﷺ أول مرة.

لقد بحث رسول الله ﷺ عن بقعة أرض، ثم انطلق يتوسع حتى كون دولة مركزية قوية، فدانت له الجزيرة العربية ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

... كنا نقول سابقاً: لو أننا نستطيع أن نجتمع كمية قليلة من الأسلحة ندافع بها عن الدعوة وعن الحركة، هذا شعب بكامله أماناً يحمل السلاح ويقوده أبناء الحركة الإسلامية الرائدة الأم .. فماذا تريدون ؟..

(1) كلمة الشيخ أمام قادة العمل الإسلامي وقد كانت من أواخر كلماته التي وجهها لقادة الحركات الإسلامية في المؤتمر الذي أقامته الجماعة الإسلامية ببلاستان في مركز المنصورة بمدينة لاهور - باكستان في 8-11-1989 .



الشعب الأفغاني .. طال جهاده، وطن طحناً، وقدم الكثير الكثير، ومع ذلك يقول:

هاتف والصعاب تحقق فيه وهو في ساح الزمان وحيد
مسلم يا صعاب لن تقهريني صارمي قاطع وعزمي حديد

كلمة للتاريخ .. صرخة من القلب (1):

ففي الوقت الذي كان ينادي علماء الأمة والشعوب الإسلامية أن تقف مع هذا الجهاد كان في المقابل يحض قادة الجهاد للوحدة والاتحاد حرصاً منه على الحفاظ على الثمار من الضياع؛ لذا كانت هذه الصرخة التي صرخها ووجهها إلى زعماء أفغانستان حتى لا تذهب دماء الشهداء هدراً، حيث قال:

(هل لكم يا زعماء أفغانستان أن تقولوا كلمة المعتمد بن عباد؟ أنتم على مفرق طريق، إما أن تتحولوا خدماً لأناهيتا راتب زاد ولشفيعي وبارقي ولكارمل⁽²⁾ وتضيعوا تحت أقدامهم أو أن تتحدوا على كلمة رجل واحد.. أنتم تمرّون في أحسم نقطة من حياتكم، تقفون على مفرق طريق، والأمر جلل، لا يحتمل التأخير، إما أن تكونوا أعزة وجنوداً لأحد قادتك المسلمين، وإما أن تتحولوا رعايا إلى الأبد للشيوعيين، يدخل الشيوعي على بيتك، و ينتهك عرضك، ويحرق مصحفك، ويرمي قرآنك في القاذورات، أو تقفوا حول رجل واحد...

(1) موسوعة الذخائر ص 109 المجلد الثالث.

(2) أسماء لزعماء ومسؤولين أفغان شيوعيين.



إن التاريخ لا يرحم، وإن الأقلام ستسجل.. فيا قادة الأفغان، ويا جنود الأفغان، ويا جنود الإسلام؛ إن كل العيون في الأرض إليكم تنزو، وكل القلوب نحوكم تهفو، وكل النفوس إلى بارئها ترجو أن يوحد كلمتكم وأن يرأب صدعكم وأن يلم شعثكم، وقد بلغت.. إما أن ينتهي هذا الشعب إلى الأبد فيلحق ببخارى وبسمرقند وبققاسيا وقزغستان وأزبكستان، وإما أن تتحدوا.. إنكم دون أصابع اليد الواحدة، هل تتنازلون سنة واحدة عن القيادة فترفخوا شريعة لا إله إلا الله فوق أفغانستان، وتدحروا الشيوعية من أرضكم، ويأفل نجم الشيوعية الدولية في الأرض، ويبدأ خط الرسم البياني للإسلام في الارتفاع، أو يتحول هذا الشعب كله إلى خدم للشعوب، ولن تقبل الشعوب أن يخدمها الأفغان؛ لأن الأفغان أعزة، لا يصلحون للخدمة والعبودية.

يا أيها الإخوة: أنا فلسطيني، وقد هاجمتنا فئة قليلة من اليهود أذل خلق الله في دنيانا، ولكن العرب والفلسطينيين تفرقوا عن حقهم فتمزقنا شتاتاً في كل بقعة فئة منا، وسيصيبكم ما أصابنا أيها الأفغان، سيصيبكم ما أصاب الفلسطينيين، إنها والله نصيحة مخلص قد عانى من مرارة الضياع والشتات.

والله أيها الإخوة إنني لأنظر إليها إن لم تتحدوا ستضيعون كما ضعنا، ولكن الفرق بين الفلسطينيين والأفغان أن الفلسطينيين شعب متعلم أخذوا أماكنهم في السعودية والكويت وقطر، هذا مدير شركة وهذا أستاذ جامعة وهذا مدير مكتب، وهذا رئيس مقاولات، وهذا متعهد، وهذا تاجر، وأما الشعب الأفغاني فهو أمي ولن يجد له قدماً بين أي شعب من الشعوب. وسيضيع في الدنيا والآخرة، هل ترعون..؟! هل تعودون..؟! هل تتحدون..؟! اللهم فاشهد، فإني قد بلغت).



رسائل متنوعة:

من التحريض والتوجيه والنصح والإرشاد تصب جميعها في خدمة استنفار الأمة خدمة للجهاد والمجاهدين.(1):

وهنا لا بد أن نسجل بعض الرسائل التي أرسلها الشيخ للعلماء والأمراء والقادة وغيرهم، نسوق عناوينها لمن أراد الرجوع إليها والاستفادة منها، ولندلل أيضاً أن الشيخ لم يقتصر على الخطب والمحاضرات والندوات والمقابلات، بل كان يخاطب فئات معينة أخرى من الشعوب العربية والإسلامية، هذه بعضها:

- رسالة إلى كل مسلم في الأرض.
- رسائل إلى أمراء المجاهدين العرب داخل أفغانستان .. الرسالة الأولى والثانية.
- رسالة أحمد شاه مسعود أحد القادة الميدانيين الأفغان داخل أفغانستان.
- رسالة إلى أنصار الجهاد الأفغاني.
- رسالة إلى أمير من أمراء المجاهدين العرب في أفغانستان.
- رسالة إلى أبي بكر الجزائري.
- رسالة إلى أمير قافلة الشمال (من المجاهدين العرب).
- رسالة إلى القائد الميداني الأفغاني فريد.
- نموذج من رسائل إلى قادة الجبهات.
- رسالة مفتوحة إلى العلماء.
- رسالة عاجلة إلى أطباء المسلمين.

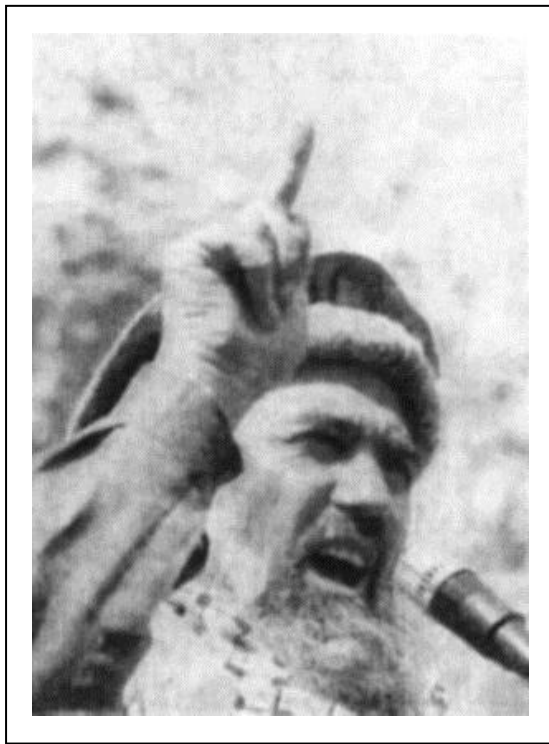
(1) موسوعة الذخائر رسائل موثقة في المجلد الثاني ص 340 - 370.



- رسالة إلى الشباب.
- رسائل متبادلة بين داعية وقائد.
- رسالة إلى قائد جبهة بنشير.

هذا ما أستطعنا حفظه وتسجيله من الرسائل التي خطها الشيخ بيده، رغم الرسائل الكثيرة التي أرسلت إلى قادة وعلماء وأشخاص لم نتمكن من العثور عليها كان من بينها رسالة للأستاذ عبد الرحمن خليفة - أبو ماجد - ورسالة للشيخ أحمد المحلاوي والشيخ كشك رحمهما الله يدعوهم لزيارة أرض الجهاد، وقد لبي الشيخ المحلاوي الدعوة لكن الشيخ كشك لم يتمكن من الحضور. (1)

(1) وأخيراً فإبني أنه هنا إلى الرسالة التي أرسلها الشيخ إلى الأخ أبو أكرم في الأردن يطلب منه أن يأتي إلى أرض الجهاد ويرفقه الدكتور أحمد نوفل وهي موقعة في كتاب سعادة البشرية ص 72.





سابعاً: حياة الشيخ الإخوانية.

- ❖ الإخوان والشيخ.
- ❖ دفاعه عن العلماء.
- ❖ موقفه يوم إعدام سيد قطب.
- ❖ دفاعه عن منهج الإمام حسن البنا.



الإخوان والشيخ:

يقول لي أحدهم: لم أجد شخصاً يعشق حركته قولاً وفعلاً كما وجدتُها في الشيخ عبد الله، كيف لا وقد التحق بالحركة الإسلامية وهو ابن الثانية عشرة من عمره؛ حيث كان عنده صدق الانتماء والطاعة لقيادتها، وقد لمست هذا واقعاً على أرض الجهاد عندما سئل الشيخ من أحدهم وأنا أنظر إليه، هل أنت من الإخوان المسلمين؟ فرد عليه قائلاً: والله لو فسد هذا الشريان - وكان يشير إلى معصمه - لنزل منه إخوان مسلمون، كناية عن حبه الشديد لحركته التي رضع من لبنائها.

وقد سبق وأن ذكرنا أن الشيخ سئل ذات مرة من قبل أحد الظالمين وهو يزهو بنفسه حيث قال: ما هي عقيدتك يا شيخ؟ ظناً منه أنه شيخ من المشايخ المساكين، فكان رده حاسماً جازماً حيث قال: عقيدتي؛ عقيدة الإخوان المسلمين منذ ستة وثلاثين عاماً، فبهت الذي ظلم نفسه.

وعندما أشيع أواخر عام 1985م وأوائل عام 1986م: هل الشيخ من الإخوان أم من غير الإخوان؟ كتب رسالة على إثرها إلى الأستاذ عبد الرحمن خليفة (أبو ماجد) المراقب العام للإخوان في الأردن - آنذاك - يستفسر عن هذه الإشاعات المغرضة والمقصودة، وأرسلها مع الأخوين أبي حذيفة وأبي داود.

وصلت الرسالة لأبي ماجد وقرأ ما فيها، فبكى ثم قال: إن لم يكن عبد الله عزام من الإخوان فليس هناك أحد في الأرض من الإخوان، ثم قال: لقد رببت عبد الله عزام وهو ابن الثانية عشرة من عمره.



وعلى إثر ذلك حملهم رسالة كتب فيها رداً حاسماً وجازماً يرفض فيها هذه الإشاعات المغرضة، وما أن وصل هذا الرد السريع للشيخ حتى قرأها على مسامعنا جميعاً في إحدى الجلسات.

قيل له ذات مرة وهو يستعد للسفر إلى الكويت في الأيام الأخيرة قبل إستشهاده: والله إننا نغبطك ياشيخ بأنك ما كتبت ضد هؤلاء الذين أشاعوا ضدك، فصمت قليلاً ثم قال: أنا لست مستعداً أن أكون سبباً في تمزيق الحركة الإسلامية في يوم من الأيام مهما كانت الظروف.

لم يكن الشيخ فرداً عادياً من أفراد المجتمع، بل كان ابن دعوة وكادراً من الكوادر الكبار في حركة الإخوان المسلمين، فضلاً عن مكانته الرفيعة بين الشعوب الإسلامية في الداخل والخارج، بل أصبح رجل أمة بامتياز .. ولهذا وقفت الحركة الإسلامية بعد استشهاده موقفاً رائعاً فكانت سبّاقة لإقامة بيت العزاء في الأردن، لم يُشهد له مثيل على الساحة الأردنية...

لقد شهد الناس على هذا المهرجان الكبير الذي أقامته الحركة الإسلامية يوم استشهاده، أدى إلى ازدحامات في الطرقات المؤدية إلى بيت العزاء... على مستوى العاصمة الأردنية - عمان - ولم يكن غريباً أن يتداعى الناس على مهرجان يخص رجلاً مثل شخص الشيخ عبد الله عزام الذي عاش في الأردن سنوات مجاهداً ومعلماً ومربيّاً لأجيال تشهد له ساحة الجامعة الأردنية ومدرجاتها وكلياتها.. فكم من فوج تخرج من تحت يديه من كليات الشريعة في الأردن، وجدة، وإسلام أباد..



إنه رجل؛ ولكن ليس كغيره من الرجال، قالها أحد العارفين بالرجال: لو كان في الأمة مجموعة بعزيمة أمثال الشيخ لتغير حال المسلمين... ولكن للأسف الشديد لم نجد يوم استشهاده بديلاً يقوم مقامه ليقود الإخوة المجاهدين الذين رباهم على نهجه ونهج الحركة الإسلامية، الأمر الذي أدى إلى تمزقهم شذر مذر، ثم تلقفهم البعض في نهاية المطاف واستغلهم ووجههم إلى غير الوجهة التي كان يقصدها الشيخ.

أما المنتظمون من أبناء الحركة فقد عادوا إلى أماكنهم في الحركة واندمجوا بها بعد الملاحقات والمطارادات التي شنت عليهم من العالم كله تحت شعار (الأفغان والعرب).

إستراتيجية الشيخ في العمل الجهادي:

سبق وأن ذكرنا أن الشيخ كان يرى أن الجهاد بحاجة إلى طاقات الأمة بكاملها، وأنه لا يمكن لفصيل أو حركة من الحركات أن تجاهد بعيدة عن الشعب؛ لأن الحركة التي تفعل ذلك تحكم على نفسها بالموت المحتم.

ومن هنا قاد الشيخ جهاد الإخوة العرب بجميع فصائلهم، بل جمع تحت قيادته كل من ليس له انتماء حركي.

كان يؤمن ﷺ أن جميع الطاقات لا بد أن تصب في بوتقة واحدة وتحت قيادة واحدة.. وكان يؤكد على الجميع ويحذرهم بالألّا ينقلوا تمزقات العالم العربي والإسلامي إلى الساحة الجهادية، ولهذا نجحت رؤيته بعدم إنشاء جماعات وتجمعات على الساحة



الجهادية وبقي الجميع تحت قيادته، يعملون بسياسة واحدة وبتوجيهه إلى أن لقي الله شهيداً فوق أرض الجهاد.

طروحات الشيخ على الإخوان :

الطرح الأول عام 1984م :

سبق وأن طرح الشيخ على إخواننا طرحاً مفاده، أن يؤمنوا له 60 داعية يفقهون فقه الدعوة وفقه الجهاد ليكونوا حجر الأساس في الولايات الأفغانية، أي بمعدل اثنين من هؤلاء الدعاة لكل ولاية من الولايات، ليكونوا ركيزة من الركائز، مهمتهم الوحيدة استقبال الإخوة العرب القادمين من البلاد العربية والإسلامية وتربيتهم وتوجيههم تمهيداً للمهمة الكبرى التي تنتظرهم في أفغانستان، وفي مقدمة هذه المهمات إصلاح ذات البين وتوزيع المساعدات التي تصل إلى الجبهات من قبل الشيخ عبد الله عزام وتوزيعها بالسوية بين المجاهدين، ما يمهّد الطريق لجعل المجاهدين العرب جبهة قوية يأتمرون بأمر واحد، وبقيادة واحدة، إلا أن الشيخ لم يتلق جواباً شافياً من إخواننا لظروف هم يعلمونها حسب الواقع الذي كانوا يعيشون ..

وقد تكرر هذا الطرح في عام 1986م في جلسة جمعت الشيخ مع بعض الإخوة من مكتب الإرشاد كان من بينهم الأستاذ مصطفى مشهور رحمته الله والدكتور أحمد الملط، وقد كنت حاضراً في هذه الجلسة حيث قال لهم: وفروا لي 60 داعية يفقهون فقه الجهاد وفقه الدعوة وأنا أضمن لكم بإذن الله أن أحول لكم أفغانستان إلى إخوان مسلمين خلال سنتين، إلا أن الإخوة كانوا متخوفين من تفريغ أماكن الدعاة في العالم العربي والإسلامي، فكان



رد الشيخ؛ أن أرسلوا لنا الإخوة المفصولين من أعمالهم ونحن على أتم الاستعداد لتوفير رواتب لهم من طرفنا، إلا أن الأمور انتهت إلى لا شيء.

الطرح الثاني:

ثم جاء الطرح الثاني في السنتين الأخيرتين قبل استشهاده عام 1988-1989م وفروا لي مائة فلسطيني أدخلهم دورات تدريبية وتربوية ثم ندخلهم بعدها معارك حقيقية داخل أفغانستان، يستشهد منهم عشرون ويعاق منهم عشرون ويبقى ستون قائداً تستلمونهم وترعونهم في جبال نابلس والقدس والخليل وغزة.. وهكذا في كل عام.

وهنا لا بد من التنبيه على أن شباب الإخوان كان لهم الدور الكبير في أرض الجهاد وأن شباب الإخوان كانوا على رأس مفاصل عمل الشيخ ومؤسساته.

ولا ننسى العمل الطبي في أرض الجهاد، الذي همش المؤسسات الصليبية والأجنبية العالمية على الساحة الأفغانية، حيث كان للحركة الإسلامية أكبر أسطول بري من سيارات الإسعاف، وقد كان له القدر المعلى على الساحة فضلاً عن التعليم وغيره.

دفاعه عن العلماء والحركة:

عشت مع الناس وخبرتهم بشكل جيد.. وعرفت كيف يحترمون بعضهم البعض والعكس.. وعشت مع الشيخ وخبرته جيداً أيضاً، إلا أنني لم أجد من ينزل الناس منازلهم، إلا من رحم ربك وقليل ما هم، فوجدت أن الشيخ ﷺ كان من هذا القليل...



وهذا ما يتوافق مع قول الرسول ﷺ لعائشة (رضي الله عنها) عندما قالت: (أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم)، فإذا كان هذا في عامة الناس ، فما بالك العلماء؟؟

واحترام العلماء عند الشيخ كان منهجاً ومسلماً يسلكه في حياته، وخطأً أحمر عنده لا يسمح لنفسه أن يتجاوزه باعتبارهم ورثة الأنبياء.. ولقد رأيته يحترم العلماء احتراماً بما يتناسب مع مقامهم وقدرهم، وكان يحض باستمرار على احترامهم ويكرر قول العالم الكبير ابن عساكر -ليبين خطورة إيذاء العلماء- حيث يقول: "واعلم أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، ومن أطلق لسانه في العلماء بالتلبأ أصابه الله تعالى قبل الموت بموت القلب).

وكان ﷺ يؤكد أن العلماء هم أولياء الله، مستنداً إلى أن "العلماء ورثة الأنبياء"، وكذلك أقوال الأئمة كأبي حنيفة والشافعي وغيرهما من الأئمة الذين يقولون: إن لم يكن العلماء أولياء الله في الأرض فليس لله ولي..

وعلى هذا، فإن كل من لا يحترم العلماء أو يستهزئ بهم أو يعرقل مسيرتهم أو يعتقلهم أو يعذبهم أو يعدمهم، إنما هو في حقيقة الأمر إعلان الحرب مع الله تعالى، بدليل الحديث القدسي: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب" ومن له المقدرة والطاقة على رب الأرباب!!!



ولهذا كان الشيخ حذراً من أن يكون بينه وبين أي عالم عداً، ومن هنا وجدناه يقول لمن كان يحاول الإيقاع بينه وبين الشيخ ابن باز رحمته الله: أنتم لا تعلمون أنني أحبه بمقدار حبي لأبي وأمي، بل قد تستغريون من المكانة الرفيعة التي يتبوؤها عندي هذا الرجل؛ لأن هذا العالم له يدٌ بيضاء على المسلمين في أماكن متعددة من العالم... وأكبر دليل على ذلك؛ فتواه إلى جانب الإخوان يوم أن وقعت المعركة بينهم وبين النظام السوري في أوائل الثمانينيات، وفتواه المشهورة التي أفتاها لصالح الجهاد في بقاع الأرض، وحضه المسلمين بالتبرع لصالح المجاهدين بالمال.

لقد وجدت الشيخ عبد الله عزام رحمته الله يقدر قادة الحركة الإسلامية وعلماءها ورجالاتها أجل تقدير، فكان دائماً يذكرهم بالخير، ويتحدث عنهم وعن خصالهم ومآثرهم وما تعرضوا له من ملاحقات ومطاردات وسجن وتعذيب وإعدامات، وعلى رأس هؤلاء، مؤسس الحركة الإمام الشهيد حسن البنا رحمته الله، والشهيد سيد قطب، والشهيد فرغلي، وكوكبة كبيرة من علماء الحركة الإسلامية ممن قضوا نحبتهم على يد الجلاد الطاغية عبد الناصر، وقد كتب الشيخ عن هؤلاء عبر كتبه وتحدث عنهم عبر خطبه ومحاضراته وحاول أن يوفيههم جزءاً من حقهم بالقدر الممكن، وقد كانت توجه له الأسئلة الكثيرة المخرجة من قبل البعض، والتي كانت تتساءل عن دور الحركة الإسلامية وعلمائها في الجهاد الأفغاني... فكان رحمته الله يوضح لهم دور الحركة ومجاهديها عام 1948م على أرض فلسطين، وكذلك دورها عام 1968-1970م في أغوار الأردن، وكذلك أيضاً كان يعتذر عنها ويذكرهم بأمر يجب ألا ينسى وهو؛ أن الحركة الإسلامية كانت أصلاً مصادرة إبان



الخمسينيات والستينيات من قبل الأنظمة القائمة في العالم العربي، خاصة من قبل النظام المصري أيام جمال عبد الناصر، الذي أنزل بالحركة ورجالها ضربات قاصمة.

كان يؤكد لهم دائماً بقوله: نحن إخوان مسلمون وإن أعداداً لا بأس بها من شباب الإخوان في أرض الجهاد، فضلاً عن الدور البارز الذي لعبه الإخوان في مجال الطب والتعليم على الساحة الجهادية.

لقد كان رحمه الله جبهة قوية يدافع عن هذا الدين وعلمائه، بكل قوة واقتدار، وفي مقدمتهم علماء الحركة الإسلامية وأبنائها.

موقفه يوم إعدام سيد قطب:

لا أريد التوسع في ضرب الأمثلة عن دوره في الدفاع عن العلماء ومفكري هذه الأمة، ولكنني سأضرب مثلاً واحداً فقط يتعلق بموقفه يوم أن سمع بإعدام سيد قطب رحمه الله عام 1966م.. حيث قال: عندما ترامى لمسامعي إعدام سيد قطب، كتبت برقية عاجلة ووجهتها إلى جمال عبد الناصر حيث أرسلتها عبر بريد القرية خلاصتها التهديد والوعيد لعبد الناصر، وأن التاريخ لا يرحم، إلا أن مسئول بريد القرية أرجعها لي حرصاً عليّ، فكتبتها مرة أخرى تحت اسم مستعار وأرسلتها، ولا أدري هل وصلت أم لا؟؟ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إصرار الشيخ ومحاولته التعبير عما بنفسه بطريقة أو بأخرى رغم صغر سنه آنذاك الذي لم يتجاوز في حينها الـ (24) سنة.



وفي اليوم الثاني كانت مشاعره وأحاسيسه تطبق سلوكاً على أرض الواقع، حيث كان يُدرس في مدرسة برقين المجاورة لمدينة جنين، فرأى أحد الأساتذة يوزع الحلوى بمناسبة إعدام سيد قطب والذي كان رجعيّاً في نظر البعض، وما أن رآه الشيخ على هذا الحال حتى اندفع إليه غاضباً يريد أن ينقض عليه، إلا أن تدخل الحاضرين حال دون وصوله إليه..

أما البعض في مدينة نابلس فقد وزعوا في حينها الكنافة النابلسية المشهورة بمناسبة إعدام سيد قطب بعد أن وصفوه بالرجعي الكبير.

لقد كانت نابلس وبقية فلسطين والعالم العربي يقدسون عبد الناصر ويعتبرونه المخلص لهذه الأمة، وكانوا يشيعون بين الناس أن جبريل سينزل ليلة خطابه، كناية عن أن خطاب عبد الناصر موحى إليه من السماء.. وكان النقاش عادة يدور داخل العائلات، وقد حصل ذات مرة نقاش بين رجل وزوجته من نابلس فقالت الزوجة لزوجها: إن ما فعله عبد الناصر لم يفعله أحد، فرد زوجها قائلاً: بل إن ما فعله عبد الناصر لم يفعله محمد بن عبد الله، وقد سمعت هذه القصص مباشرة من الشيخ عبد الله رحمته الله..

هكذا كانت نفسية الناس.. وهكذا كان عبد الناصر في نفوس الناس، رغم التتكيل الذي أنزله بالحركة الإسلامية ومطاردتها وإعدام قادتها...

أما اليوم، خاصة وبعد أن تعلم الناس وتفقها وتثقفوا وعرفوا الحقيقة، فقد انقلبت الأمور على عقب، فتغير الحال وبقي الإسلام والمسلمون، واستمرت الحركة، وضربت بجذورها في أعماق الأرض...



أما عبد الناصر، فقد اندثر وحلت به العبر، واندلقت على قبره المياه العادمة، وهو الآن في قبضة الله تعالى، وسوف يلتقي مع خصومه يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وأخيراً فإنني ألخص بعض ما قاله الشيخ حول سيد قطب بنقاط وبالنص: ⁽¹⁾

- (والحق أنني ما تأثرت بكاتب كتب الفكر الإسلامي أكثر مما تأثرت بسيد قطب، وإني لأشعر بفضل الله العظيم عليّ إذ شرح صدري وفتح قلبي لدراسة كتب سيد قطب، فقد وجهني سيد قطب فكرياً، وابن تيمية عقدياً، وابن القيم روحياً، والنووي فقهياً، فهؤلاء أكثر أربعة أثروا في حياتي أثراً عميقاً).
- (لم يفسح الأجل للأستاذ سيد أن يرى الثمار المباركة التي أثمرها الله (عز وجل) من غراس قلمه المبارك.. لم ير الصحوة الإسلامية ولا رجوع الجيل إلى الله، ولكنها الكلمة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء).
- (وددت يوم أن سمعت الحكم عليه بالإعدام أن أفتديه بنفسي وأمي وأبي، وأذكر أنني كتبت برقية لعبد الناصر أقول فيها: الدعوة لن تموت والشهداء خالدون والتاريخ لا يرحم).
- كان سيد يردد: (أنا لا أستطيع أن أعيش بنصف قلبي، نصفه لله ونصفه للدنيا).

(1) هذه الأقوال وما بعدها من مجلد (في خضم المعركة).



- وكان سيد يقول: (إن إصبع السبابة التي تشهد الله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفاً واحداً تقر به حكم طاغية).
- ويقول الشيخ: (والذين يتابعون تغير المجتمعات وطبيعة التفكير لدى الجيل المسلم يدركون أكثر من غيرهم البصمات الواضحة التي تركتها كتابة سيد قطب وقلمه المبارك في تفكيرهم).
- (ولقد كان لاستشهاد سيد قطب أثر في إيقاظ العالم الإسلامي أكثر من حياته، ففي السنة التي استشهد فيها؛ طبع الظلال سبع طبعات بينما لم تتم الطبعة الثانية أثناء حياته، ولقد صدق عندما قال: إن كلماتنا ستبقى عرائس من الشموع حتى إذا ما متنا من أجلها انتفضت حية وعاشت بين الأحياء).
- (لقد هال الأستاذ سيد قطب وقوف الجموع الهائلة من المسلمين واجمة إزاء تصفية الحركة الإسلامية جسدياً سنة 1954م، فلقد كانت هذه الجموع تسد الطرقات على أبواب دار الإخوان في (الحلمية) تنتظر خطاب البنا مساء كل ثلاثاء وتنتظره حتى الثانية عشرة ليلاً وهي تكبر وتهتف، ما بالها الآن بكماء عمياء، صماء؟ بل إن قسماً ليس بالقليل من هؤلاء تبرع بإيذاء الإخوان داخل السجون بالتجسس عليهم ونقل أخبارهم).
- لقد وقف طويلاً أمام هذه الظاهرة، وأخيراً وضع أصبعه على موطن الداء؛ وهو أن هذه الجموع لم تفهم (لا إله إلا الله).



دفاعه عن منهج الإمام حسن البنا رحمته الله... (1):

وهنا يتحدث الشيخ عن الإمام حسن البنا وهو يدافع عن منهجه، بل يعتبره الشخصية الوحيدة التي جمعت في منهجه وفكره كل القضايا التي دعت إليها الحركات الإسلامية العاملة على الساحة، فهو -أولاً- دعا إلى تحرير العقيدة من الخرافات والصوفية المنحرفة وعدم الانغلاق في المذاهب، ومن هنا كلف الإمام البنا الأستاذ سيد سابق بكتابة مجلدات فقه السنة، وقدم الإمام لهذا الكتاب إيداناً منه بمحاربة التعصب المذهبي .

ومن المعلوم أن الأمام حسن البنا وقف وقفة جادة في وجه الظلم فقال : إن الإسلام عقيدة وعبادة ومصحف وسيف، دنيا وآخرة، فهو فكر شامل ومتوازن.

ولا ننسى أن الأمام حسن البنا هو الذي رفع شعار الجهاد، وفسر معناه حيث قال : أعني بالجهاد، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا .

ومن هنا نجح الإمام حسن البنا، والظاهر لنا أن الرجل كان مخلصاً ولا نزكي على الله أحداً، ولهذا السبب نجحت دعوته من بين الدعوات الأخرى، وإلا أين الحركات والتيارات التي كانت قائمة على أرض مصر في تلك الفترة، لقد اندثرت كلها وحلت بها العبر، أما دعوته فكلما ضربت وسحقت كلما ازدادت انتشاراً أو قبولاً في الأرض.

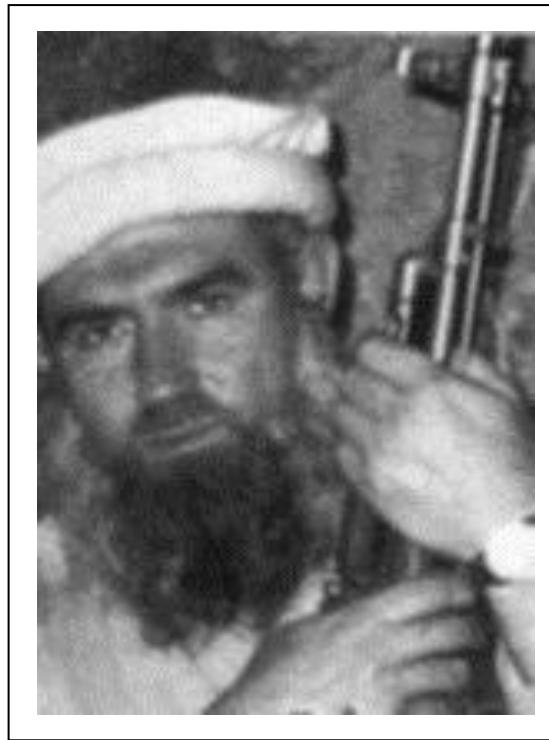
(1) موسوعة الذخائر العظام المجلد الأول ص 941.



وبضيف الشيخ : أما نظرة الأستاذ البنا لفلسطين فقد وجد العالم كله متكالباً عليها, ففكر من وقت مبكر كيف يحمي فلسطين, منذ عام 1935, فبدأ بإنشاء صناديق كتب عليها أرفع قرشاً لفلسطين ... وقد كتب الرافعي عن شباب الإخوان مقالاً سماهم فيه الأيدي المتوضئة. ويرى الشيخ أن كل من كتب عن فلسطين وتاريخ المقاومة, كانوا يركزون على بعض الشخصيات, ونحن نظن أن هؤلاء الكتاب غفلوا عن الدور الكبير الذي قامت به الحركة الإسلامية التي يقودها الأستاذ البنا, وأخيراً فإننا نسوق رسالة الإمام حسن البنا إلى الإخوان الذين كانوا يقاتلون اليهود على أرض فلسطين عندما كانت الملاحقة والمطاردة للأخوان فوق أرض مصر من قبل عبد الناصر, حيث يقول:

(أيها الإخوان: لا يهتمكم ما يجري من أحداث على أرض مصر, إن مهمتكم مقاتلة اليهود ولا تنتهي مهمتكم ما دام في فلسطين يهودي واحد).⁽¹⁾

(1) ولمن أراد الاستزادة في هذا الموضوع فليرجع إلى موسوعة الذخائر المجلد الرابع ص 977.





ثامناً: علاقة الشيخ عبد الله عزام بأسامة بن لادن.

- ❖ المرحلة الأولى: مرحلة التعارف.
- ❖ المرحلة الثانية: مرحلة الاحتضان والتربية والشراكة الجهادية في أفغانستان.
- ❖ المرحلة الثالثة: مرحلة الاستقلالية في دعمه وعمله الجهادي عن الشيخ.
- ❖ المرحلة الرابعة: مرحلة ما بعد الشيخ، وهي مرحلة التباين الفكري واستقلال الأخ أسامة أسلوباً وعملاً.
- ❖ قضية مهمة لا بد أن ننبه إليها.



مرحلة التعارف :

تعرف الأخ أسامة بن لادن بالشيخ عبد الله عزام من خلال ما سمعه عن الشيخ في أواخر السبعينيات ، ف جاء إلى الأردن وزار الشيخ لأول مرة في بيته الكائن في (مدينة صوبلح بمنطقة الكمالية) .

ثم توطدت العلاقة بالشيخ في بداية الثمانينيات بعد أن أصبح الشيخ أستاذاً في جامعة الملك عبد العزيز في جدة ، فكان يتردد عليه خلال هذه الفترة ، وتعلق بشخصية الشيخ عبد الله وتأثر به كثيراً ، وكان الشيخ يثني على الرجل ثناءً كبيراً ، خاصة فيما اشتهر عنه من زهده وإخلاصه وتواضعه وتضحيته بماله في سبيل الخير .

مرحلة الاحتضان والتربية والشاركة الجهادية في أفغانستان:

انتقل الشيخ بعدها إلى باكستان رغبة منه في مجاورة الجهاد الأفغاني وخدمته، على إثر لقاء تم مع الأستاذ السناني - صهر الأستاذ سيد قطب - رحمهما الله.

وقد بهر الشيخ بالجهاد الأفغاني وأعجب بأهله أيما إعجاب ، وصار يستصرخ المسلمين لنجدة هذا الجهاد والوقوف بجانبه، ويرسل الرسائل للشخصيات الإسلامية وللمسلمين عامة، يدعوهم فيها ويحثهم على الجهاد ونصرة المجاهدين الأفغان .

وبقي الأخ أسامة متواصلاً مع الشيخ ، ولم تنقطع علاقته به خلال هذه الفترة، وكلما زار الشيخ السعودية التقى بأسامة وصار يغرس حب الجهاد والمجاهدين الأفغان في نفسه،



فتحمس الرجل وتعهد بدفع بعض تكاليف مكتب المجاهدين العرب في أفغانستان ، وكانت هذه بداية دعمه للمجاهدين في أفغانستان .

بقي الأمر على هذه الحال حتى عام 1986م ليغادر بعدها أرض الجهاد إلى بلده لأسباب تتعلق به، بعد أن أوقف دعمه عن مكتب المجاهدين نهائياً، إلا انه عاد مرة أخرى أواخر عام 1987 عندما قرر أن يشارك بنفسه في الجهاد، وبالفعل قدم الرجل ليعمل مع الشيخ لخدمة الجهاد، ولكن بطريقة أخرى تختلف عن الطريقة الأولى.

مرحلة الاستقلالية في دعمه وعمله الجهادي عن الشيخ:

بعد فترة من هذا العمل المشترك دخل بعض الشباب المتحمس على الخط بينه وبين الشيخ عبد الله، وصاروا يدفعون باتجاه استقلاله في العمل، فاستقل وبدأت القنعة تترسخ في ذهن الأخ أسامة.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ، ما هو السبب الذي جعل الأخ أسامة أن يفكر باستقلاله عن الشيخ في العمل الجهادي !!؟

والجواب أن الأخ أسامة كان له رؤيته التي تخالف المنهج الاستراتيجي للشيخ عبد الله في تعامله مع الجهاد الأفغاني ، فضلاً عن الأساليب التي كان يصر عليها الشيخ، التي كان لا يقبل من أتباعه وتلاميذه الخروج عنها ، وهي أساليب تتعلق بعلاقة المجاهدين العرب بالأفغان ، وفي مهمتهم داخل أفغانستان، ومن هذه الثوابت التي كان ينطلق منها الشيخ:



أولاً : كان الشيخ عبد الله يرى عدم تجمع المجاهدين العرب في أماكن محددة ، وفي معسكرات ثابتة في داخل الجبهات في أفغانستان، ورؤية الشيخ عبد الله في ذلك :

أ- أن المجاهدين العرب أعدادهم قليلة، فإذا تجمعوا في مكان ثابت صاروا هدفاً محققاً للشيوخ، وبضربة واحدة قد تقتل منهم أعداداً كبيرة، ويكون العرب قد خسروا جزءاً كبيراً من قوتهم وتواجههم بين الأفغان، وليس من السهولة تعويضهم .

ب- إن الهدف الأول والأساسي من وجود العرب بين الأفغان هو التربية والتعليم القرآن واللغة العربية، وأداء فريضة القتال في سبيل الله والإصلاح بين المجاهدين، وتثبيت الأفغان في بلادهم وجبهاتهم؛ فحينما يرون العربي القادم من بلاد بعيدة لنصرتهم حينها يستحيي الأفغاني ترك جبهته أو الفرار من المعركة، فإذا تجمع العرب في جبهة واحدة ومكان واحد تقلص هذا الهدف وتلاشى ، وربما انعدم بالكلية .

ثانياً : كان الشيخ عبد الله يرى أن المجاهدين العرب جاؤوا لمساعدة الأفغان ومحاولة توحيدهم أو تخفيف خلافاتهم على الأقل ، ولا ينبغي أن نكون عاملاً مساعداً على خلافهم، أو طرفاً في الخلافات الحزبية بينهم ، وبالتالي يحرم قطعاً القتال في صف مع حزب جهادي ضد حزب جهادي آخر، فكلهم مسلمون ومجاهدون، وأي تبرير للوقوف في صف ضد صف آخر غير مقبول حسب وجهة نظر الشيخ يومها .

ثالثاً : إن المجاهدين العرب جاؤوا لدعم المجاهدين الأفغان ومساعدتهم -كما ذكرنا - فلا يجوز لهم أن يقوموا بأي عمل من شأنه أن يضر بهؤلاء القوم الأفغان الغارقين في عذابهم



ومشاكلهم وابتلاءاتهم ، أو أي عمل يسبب لهم حرجاً مع العالم الذي يدعمهم ، خاصة وهم لا يحتملون مصائب جديدة من أي طرف كان.

وكان الشيخ يرى أن أي عمل مسلح ضد الدول الأخرى - منطلقاً من الأراضي الأفغانية - سوف يسبب ضربة موجعة للجهاد الأفغاني ويحمل القوم تكاليف باهظة ليسوا -يومها- على استعداد لدفعه ، وبالتالي قد تضع ثمار الجهاد الذي ضحى الأفغان بالغالي والنفيس من أجل تحقيق أهدافه، خاصة وأن الجهاد الأفغاني يومها كان يمر بمراحل صعبة ومؤامرات متتالية من القريب والبعيد ، بعد أن صار الغرب يطلق صفارات الإنذار من نتائج هذا الجهاد، الذي كان يقترب من تحقيق أهدافه يوماً بعد يوم، فكان الغرب وأعدائه يحاولون وضع العصي في الدواليب ، وإلقاء العراقيل أمامه ، فكان أي عمل مسلح خارج أفغانستان من طرف الأفغان أو العرب الذين يعيشون في ظلهم بمثابة الورقة الراححة بيد من يحاولون إحباط هذا الجهاد .

هذه بعض الثوابت التي كان الشيخ عبد الله ينطلق منها ويصر عليها ، ويعلمها لتلاميذه في رسائله وكتاباته وخطبه وجلساته بينهم .

لكن الأخ أسامة وقع تحت تأثير بعض المتسرعين والمتهورين - الذين يريدون قطف الثمار قبل نضجها - فاقتنع بآرائهم وخالف وجهة نظر الشيخ ، فقرر أن يبدأ عمله بعدة أمور :



الأمر الأول: تحويل الأموال التي كان يدعم بها مكتب الخدمات (مكتب الشيخ الجهادي) إلى معسكرات انفرادية للعرب ، وتجميع كثير من العرب فيها .

الأمر الثاني: جعل هذه المعسكرات في منطقة واحدة وتحت حماية تنظيم واحد من تنظيمات المجاهدين، وحزب واحد من الأحزاب الجهادية الأفغانية .

الأمر الثالث: أنشأ معسكراً جديداً منفصلاً عن معسكرات الشيخ قريباً من الحدود الباكستانية وسماه (معسكر القاعدة) وصار بعض العرب يتجمعون فيه بعيداً عن مركز التربية والتوجيه من طرف الشيخ. وبهذا صار هذا المعسكر نواة جديدة لتربية فكرية جديدة مخالفة لرؤية الشيخ، وكان هذا الأمر في نهاية حياة الشيخ .

ورغم محاولات الشيخ لإقناع أسامة لثنيه عن الاجتهادات الجديدة إلا أن الأخ أسامة أصر على موقفه ، وبدأ يأخذ البيعة على الشباب في هذا المعسكر .

ووجهة نظر الشيخ عبد الله، هي وجود بعض النوعيات التي صارت تتجمع في المعسكر الجديد ممن لم يتلقوا قسطاً وافياً من التربية والتوعية ، ولهذا كان تخوف الشيخ من جنوح التجمع العربي بسبب هذه النوعية قليلة الثقافة من الناحية الشرعية .

مرحلة ما بعد الشيخ:

وهي مرحلة التباين الفكري، واستقلال الأخ أسامة أسلوباً وعملاً

بعد استشهاد الشيخ عبد الله استمر الأخ أسامة في عمله منطلقاً من معسكر (القاعدة) ينشئ كيئناً مستقلاً ، وبدأت الأفكار الجديدة تدخل على الساحة ، فبدل أن يؤثر الرجل في



الشباب من حوله تأثر هو بهم وبآرائهم، ويمكن أن نجمل هذه الآراء الجديدة التي انتشرت في عناصر القاعدة بعد استشهاد الشيخ بما يأتي:

أولاً: بدأ عمل العرب مستقلاً عن الأفغان في داخل أفغانستان ، وتوسعت المعسكرات والتجمعات المستقلة باسم العرب ، كما بدأ الميل والتحزب لحزب ضد أحزاب أخرى . وهذا - كما ذكرنا سابقاً- خلاف التوجيهات التي كان الشيخ يوجهها لتلاميذه .

ثانياً : عندما احتدم الخلاف والقتال بين الفصائل المجاهدة - بعد تحرير أفغانستان - وقف هؤلاء الشباب -المتحمسين- في صف حزب ضد حزب آخر، بحجة نصرته الحق على الباطل !!

ثالثاً: بدأ عناصر القاعدة بقيادة الأخ أسامة بترتيب عمليات عسكرية خارج أفغانستان في عدد من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، منطلقين من داخل الأراضي الأفغانية، قبل أن يلتم الأفغان جراحاتهم ويرتبوا أمورهم ويقفوا شوكتهم ويقوموا دولتهم الإسلامية .

وهذا كله مخالف لتوجيهات الشيخ وتوجهاته، الذي كان يرى أن مثل هذه العمليات - في مثل الظروف التي كان يعيشها المجاهدون الأفغان - من شأنها أن تؤلب أهل الأرض عليهم، في حين أن الأفغان ما زالوا في طور البناء وتجميع القوى وإنشاء الدولة الإسلامية الخالصة. ناهيك عن بعض المخالفات الشرعية التي قد يقعوا فيها ، باندفاع حماسي، كقتل المستأمن في البلاد الإسلامية الذي لا يجوز قتله دون إنذار مسبق، وإلا كان غدرًا لا تجيزه الشريعة الإسلامية؛ لأن هذا الأجنبي لم يدخل بلاد المسلمين إلا وهو يعلم أنه دخل في أمان المسلمين ، ولأنه يظن أن هذه بلاد وحكومات مسلمين ، هذا إذا كان الأجنبي ممن يفسد في بلاد المسلمين ، وإذا لم يفسد لا يجوز الاعتداء عليه أصلاً.



ومنها أيضاً : أنه لا يجوز أن يأخذ المسلم تأشيرة بلد من بلاد الكفار ثم يدمر أو يقتل فيها؛ لأن التأشيرة بمثابة عقد وطلب أمان ، فيكون قد دخل بلادهم بأمانهم ، ولا يجوز شرعاً الغدر بمن أخذ منهم الأمان مسبقاً .

ومن الناحية الشرعية إذا أخذ المسلم الأمان من الكفار لا يجوز الغدر بهم في ديارهم إلا إذا انتهت فترة الأمان ، وانتهى العهد الذي بينه وبينهم⁽¹⁾. هذه بعض المخالفات الفكرية التي اجتهد بها الرجل وخالف بها الشيخ عبد الله عزام بعد استشهاده.

قضية مهمة لا بد من أن ننبه إليها

وهناك قضية مهمة لا بد أن ننبه إليها ، وهي أنه بعد أن انفضت الساحة وطورد العرب في باكستان ، وانتهى مكتب الخدمات الذي كان يديره الشيخ عبد الله في حياته ، دخل كثير من العرب الذين تربوا على يد الشيخ عبد الله إلى أفغانستان ، وكانت حركة طالبان تسيطر على معظم أفغانستان ، فاشتراط (الملا عمر) قائد حركة طالبان على أي عربي في أفغانستان أن يدخل تحت قيادة الأخ أسامة، فانضم بعض الشباب إلى القاعدة على إثر هذا القرار.

(1) للاستزادة في هذا الموضوع يمكن مراجعة (في ظلال سورة التوبة) للشيخ عبد الله عزام، وكتاب (مفهوم الحاكمية في فكر الشهيد عزام) لأبي عبادة الأنصاري .



وهكذا انقسم تلاميذ الشيخ عبد الله عزام - بعد استشهاده - إلى ثلاثة أقسام، قسم وافق الأخ أسامة في اجتهاداته، وقسم بقي متمسكاً بتعليمات الشيخ عبد الله عزام، بعيداً عن أي غطاء تنظيمي وقسم ثالث التحق بالحركة الإسلامية وهو الحضر الدافئ الذي انطلق منه نحو الجهاد.

هذا ما رأيت بيانه في هذه المسألة، نسأل الله أن يغفر لنا ولهم وأن يرشدنا وإياهم إلى طريق الحق والصواب .

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك غفور رحيم .





تاسعاً: حياة الشيخ تجاه فلسطين.

- ❖ أولاً: الشيخ وفلسطين.
- ❖ ثانياً: استشعار الشيخ بالظلم وقراره بالهجرة من الأرض التي حرم فيها الجهاد.
- ❖ ثالثاً: مصارحة اليهود وأذنبهم والأمريكان وأشياعهم.
- ❖ رابعاً: شعار الشيخ لأبناء فلسطين.
- ❖ خامساً: ثقل قضايا المسلمين في حياة الشيخ.
- ❖ سادساً: إرهابات جهاد الانتفاضة.
- ❖ سابعاً: حركة حماس برزت بشكل منظم.
- ❖ ثامناً: حماس في نظر الشيخ.
- ❖ تاسعاً: الشيخ في نظر حماس (رسالة من حماس يوم استشاده).
- ❖ عاشراً: وصايا ونصائح لأبناء حماس.
- ❖ أحد عشر: الحق التاريخي البشري للمسلمين في فلسطين.



الشيخ وفلسطين :

عبد الله عزام وفلسطين، أو عبد الله عزام وأفغانستان، عبارتان متلازمتان لشخصية قوية طرحت نفسها لقيادة توجه غاب عن هذه الأمة فترة طويلة في ظل قرن كان مليئاً بالهزائم والنكسات، وكان الناس ينتظرون قائداً ربانياً ميدانياً يقود هذا الجيل العائد إلى ربه على أرض الميدان، وليس إلى قائد قوَال يتحدث للناس على منابر الأقوال، ما استدعى طرح أسئلة في أذهان العوام وغير العوام.

وكان أول ما يتبادر إلى ذهن الإنسان الفلسطيني عندما يذكر جهاد الشيخ عبد الله عزام أن يُثير ذلك السؤال المثير للجدل، لماذا ذهب الشيخ عبد الله عزام إلى أفغانستان وهو ابن فلسطين البار وترك فلسطين؟. لماذا لم يجاهد في فلسطين؟.

ونحن نقول بكل صراحة ووضوح: إن للسائل الحق أن يتساءل بمثل هذا السؤال، وهو حق طبيعي لأي مسلم في الأرض أن يتساءل به كي يعرف حقيقة الأمر، وللإجابة عن هذا اللغز الذي حير الكثير من الناس، نقول وبالله التوفيق:

لم يكن هذا السؤال وليد الساعة أو وليد مرحلة معينة، وإنما سيبقى هذا السؤال يدور في ذهن كل شاب من أبناء الصحو الإسلامية كي يعرف السبب الرئيسي لذهاب الشيخ عبد الله عزام إلى أفغانستان بعيداً عن فلسطين⁽¹⁾، وقد تعرض الشيخ لهذا السؤال بالضبط وقد كنت أسمعه يجيب عنه بالجواب التالي:

(1) لا ننسى أن الشيخ جاهد على أرض فلسطين أيام القواعد في الأغوار سنة 1968-1970 وعندما أغلقت الحدود من قبل العرب تعذر للشيخ وأمثاله أن يودوا الدور الريادي الجهادي على أرض فلسطين.



نحن مثلنا كمثل قوم هُدم مسجدهم، وأصبح معرضاً للأمطار والزوابع والأعاصير، وحين وقت صلاة الجمعة، هل يجوز لنا أن نترك صلاة الجمعة تحت ذريعة أن مسجدنا هدم أو تعطلت فيه الصلاة؟ أم أننا نذهب إلى مسجد القرية المجاورة لنا ونؤدي فيه هذه الفريضة؟؟ ثم يضيف رحمته الله: لقد جاهدنا في فلسطين أيام كانت الحدود المجاورة لفلسطين مفتوحة، وبعد أن أغلقت جميع الحدود وأصبح يصعب على الطير اختراقها.. عندها نظرنا من حولنا نحو العالم الإسلامي، هل بإمكاننا أن نؤدي هذه العبادة على أرض فيها قتال واضح الراية مقابل كفر واضح الراية، فوجدناه في أفغانستان، فقررنا أن نؤدي هذه العبادة هناك حتى يتيسر لنا طريق آخر نؤدي من خلاله هذه العبادة على أرض فلسطين.

وهذا السؤال المثير للجدل كان يوجه للشيخ بصيغ مختلفة، فتارة يقولون له: لماذا ذهبت إلى أفغانستان وتركت فلسطين؟؟

وتارة أخرى يقولون: هكذا نسيت فلسطين يا شيخ؟؟ فكان يجيبهم رحمته الله: نسينا الله إن نسينا فلسطين، والله إن أجسادنا هنا وأرواحنا تحوم فوق المسجد الأقصى...

إن المنطلق الذي انطلق منه الشيخ إنما هو منطلق شرعي، فلم يذهب أصلاً إلى أفغانستان إلا بعد أن تعذر جهاده في فلسطين، حيث كان يرى أن أرض الإسلام واحدة في منظار الشرع الحكيم، وإن فريضة العين في الدفاع عن أرض الإسلام أمر لازم في عنق كل مسلم انطلاقاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفتاوى العلماء وعلى رأسهم فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله حيث قال: "والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب



بعد الإيمان من دفعه" فأينما فرضت عليك هذه الفريضة، وجب عليك أن تؤديها سواء كانت في أفغانستان أو في فلسطين أو في الشيشان أو في غيرها من أرض الإسلام.

وكان يعتبر أن الدماء التي تتزف في أفغانستان هي نفس الدماء التي تسكب في فلسطين، وكان يردد عبارته المشهورة: إن الدماء التي تسيل فوق جبال الهندوكوش وكابل هي نفس الدماء التي تسيل فوق جبال نابلس والقدس والخليل، وغزة... لا فرق بين هذه الدماء وتلك الدماء... ولكن كان يقول ﷺ: من استطاع من الفلسطينيين أن يجاهد في فلسطين فعليه أن يجاهد في فلسطين، فلا يجوز له أن يذهب إلى غيرها، ما دام يستطيع أن يجاهد هناك، هكذا كان يعتقد أن فلسطين هي القضية المركزية الأولى للمسلمين، فهي أولى قضايا الإسلام التي يجب الاهتمام بها باعتبارها آية في كتاب الله ﷻ.

ومن هنا كان يرى ﷺ أن قتال العدو، الأقرب فالأقرب، هو المفهوم الشرعي الصحيح استناداً للآية الكريمة "قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة" هكذا كان يعتقد ﷺ وهكذا طبق هذا الاعتقاد قبل أن يذهب إلى أفغانستان ولولا إغلاق الحدود وبناء السدود من قبل الدول العربية لمنع المجاهدين من الجهاد في فلسطين ل بقي يجاهد في فلسطين.

ولهذا كان أكثر الناس الذين يواجهون الشيخ بالسؤال المشهور هم من أبناء فلسطين ممن كانوا يعيشون في الخليج فيقولون: لماذا ذهبت إلى أفغانستان وتركيت فلسطين؟.

لماذا لا تجاهد في فلسطين؟ وقد ناظرهم وحاورهم وناقشهم... فأجابهم عن سؤالهم.



لم نتمكن من الذهاب إلى فلسطين، فنحن نقاتل في أفغانستان وفتقاتلوا أنتم في فلسطين..

قالوا: نحن لا نستطيع الذهاب إلى فلسطين...!!

قال لهم: تعالوا وقاتلوا في أفغانستان أو ادفعوا..

قالوا: الحرب في أفغانستان هي حرب الكواكب والنجوم، وهي حرب بين العملاقين روسيا وأمريكا.. فرد عليهم: إن قولكم رجم بالغيب فليس لأمریکا أي سلطة على المجاهدين، وإن الذين يقودون المعركة هم قادة من أبناء الحركة الإسلامية، وجيشهم شعب بكامله.. فهم بحاجة إليكم لمساعدتهم في إقامة دولة الإسلام..

قالوا: هؤلاء الأفغان من الجهلة الدهماء ولا يمكن أن تقوم دولة الإسلام على أيديهم.. فرد عليهم الشيخ: إذن تعالوا وأعدوا لفلسطين.. فماذا أعددتם لفلسطين وأنتم قابعون منذ عقود على أرض الخليج...؟؟(1)

هكذا كان يناقشهم الشيخ ﷺ، وهكذا كان يناظرهم... وهكذا كان يحاورهم... ولكنهم لا يريدون الجهاد لا في فلسطين ولا في أفغانستان ولا في أي مكان...!! وهل تقوم دولة الإسلام من غير جهاد؟؟

لقد تركهم الشيخ يتحدثون على منابر الأقوال وانطلق في مسيرته إلى ميادين الأفعال... وكان همهم الوحيد وضع العصي في الدواليب لإعاقة مسيرة الشيخ، وكأنهم يتساوقون مع

(1) بإمكان القارئ الرجوع للمناظرة بتفاصيلها في موضوع الأيام الشدائد في مجلد خضم المعركة ص 137، أو في الموسوعة المجلد الثاني .



سياسة الدول التي لم ترغب بوجود الشيخ في أرض الجهاد، ولهذا كانت الحملة التي يقودها هؤلاء جزءاً لا يتجزأ من الحملة التي كانت تقودها الدول التي تحارب الجهاد والمجاهدين من حيث يعلمون أو لا يعلمون.

استشعار الشيخ بالظلم وقراره بالهجرة من الأرض التي حرم فيها الجهاد:

وهنا تتضح رؤية الشيخ وتوجهه نحو الجهاد، والنفسية الكبيرة التي كانت تعمل بين جنبيه لنصرة الإسلام والمسلمين خاصة المستضعفين المظلومين من أبناء هذه الأمة المكبوتة. وكان يرى ﷺ أن تحطيم القيود وإزالة الظلم لا يمكن أن يكون إلا بالمرور عبر قضايا أهمها في نظر الشيخ: (1)

1. إن فريضة الجهاد من أهم الفرائض التي افترضها الله علينا من فوق السبع الطباق، وأوجب علينا أداؤها كالصلاة والصيام والزكاة سواء بسواء.
2. إن مزاولة الفرائض الإسلامية وأداؤها أمر إلهي وبتكليف رباني لكل إنسان، إنه حق طبيعي وأمر منطقي لا يجادل فيه إلا مباحك أو مباحل.
3. لقد ظلمنا في كثير من البلدان الإسلامية وحرمنا من أدنى الحقوق التي تتمتع بها الحيوانات، فالدجاجة إن اقتربت من أفراخها الناشئة تهجم عليك، والكلب يعضك

(1) مجلد في خضم المعركة ص 177 - 178.



إن وطئت ذنبه أو اقتربت من البيت الذي يحرسه، ولا تستطيع قوة في الأرض أن تمنع أطراف الشاة أن تتحرك وهي تلفظ أنفاسها وتجد ببقية دماغها.

ونحن حرمانا أن نمسك اليد التي تشهر علينا الحراب لذبحنا، ومنعنا أن نرفع أصواتنا ونحن نلفظ أرواحنا وقد وصل اللص إلى داخل حجرة النوم، فكبتنا وحرمانا من إزعاجه وهو ينتهك أعراضنا ويسلب أموالنا ويسفك دماغنا.

4. وبعد أن سلمنا أوطاننا لأعدائنا وحرموننا أن ندافع عن مقدساتنا وأن نحمي أعراضنا وسقط المسجد الأقصى دون أن يسقط حوله - ويا للعار والشنار - عشرة من المسلمين دفاعاً عنه.

بعد هذا كله حاولنا أن نجمع من بقي في قلوبهم غيرة أو من يحمل في نفسه بقية من رجولة أو شهامة نحاول إزعاج اليهود الذين دخلوا المسجد الأقصى آمين مطمئنين، فأبوا علينا وتكالبوا بقواتهم يحولون بيننا وبين أعدائنا بخيلهم ورجلهم، وهذا ظلم ليس بعده ظلم، وتعسف ليس دونه تعسف، وتجبر لا نعلم دونه خسف.

5. وبعد أن أبوا علينا الجهاد، وحرموا علينا فريضة الإعداد، وأصبح السلاح في العالم العربي جريمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام، ومن ألقى القبض عليه متلبساً بجريمة حمل السلاح شكلت له المحاكم العسكرية وصفت بالأغلال والقيود ووضع رهن التحقيق في غياهب الزنازين لا يرى شمساً ولا يراه النور ولا يعلم عنه والد ولا ولد ولا صديق وفي ولا خل صفي.



وعندما أبينا أن نموت مستضعفين في الأرض تحت أقدام الطغاة، ونفضنا الذل عن عواتقنا ووجلنا أن نرفع الشعارات البراقة والآمال العريضة ونحن في ذل العبيد، قررنا أن نهجر الأرض التي يحرم فيها الجهاد ويعتبر جريمة موبقة رعاء، وكما قال أبو الطيب:

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة	فلا تستعدين الحسام اليمانيا
ولا تستطيلن الرماح لغارة	ولا تستجدين العتاق المذاكيا
فما ينفع الأسد الحياء من الطوى	ولا تنقي حتى تكون ضواريا

وإذا كان رب العزة سمى النسيء زيادة في الكفر (والنسيء تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر) فماذا نسمي الذين يسمون الجهاد جريمة قانونية ويعلن عن عقوبات مرتكبها في أجهزة الإعلام دون خشية ولا وجل ولا حياء ولا وجل؟!.

إن تحريم الجهاد كفر يخرج من الملة، وإن محاربة أولياء الله ومطاردتهم في بلادهم وإحصاء أنفاسهم وعد نبضاتهم وتكميم أفواههم عمل عظيم عند الله يؤدي إلى خراب البلاد وهلاك العباد.

ألم تر إلى قول أبي بكر رضي الله عنه (أخرجوا نبيهم - إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن) وهذا بشأن الذين يخرجون أولياء الله والدعاة في سبيله (ومن عادى لي ولياً فقد آذنته أو بارزته بالحرب) رواه البخاري.



فماذا تحكم الشريعة الإسلامية على الذين يحرمون الجهاد، ويسمون الزنا فناً، والربا فائدة، والإسلام رجعية، والتمسك بدين الله تطرفاً وانحرافاً؟ اللهم ثبت، اللهم أعنا على ذكرك وشركك وحسن عبادتك.

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
فأنزلن سكينه علينا
إن الألى قد بغوا علينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
إذا أرادوا فتنة أبينا

اللهم إنك تعلم إن الألى قد بغوا علينا، ونحن نأبى أن نعطي الدينة في ديننا، ولن نرضى الفتنة والكفر الذي يحاولون فرضه علينا.⁽¹⁾

هكذا كان الشيخ يكافح وينافح ويدافع وكأنه وحيد فريد من بين العلماء في عالم عز فيه من يدافع عن أمة الإسلام، وعن دين الإسلام وعن أرض الإسلام، فهو بحق كان رجل المرحلة، والذي قادها بكل أمانة وصدق وإخلاص، شهد له القاصي والداني حتى لقي الله وهو راضٍ عنه إن شاء الله تعالى...

ومن هنا لم أذكر أنه ارتاح في حياته أو نام نومة هادئة هنيئة مستقرة إلا في تلك الليلة التي سَجَّى فيها جسده الطاهر في مرقده الأخير.

(1) مجلد في خضم المعركة ص 179.



التحدي الكبير ومصارحة اليهود وأذئابهم والأمريكان وأشياعهم:

وهنا تبرز المواقف الجادة والحادة للشيخ تجاه أعداء هذا الدين وبيان منهجه بوضوح في مصارحة اليهود والأمريكان والمثبطين، ومن أبرز هذه المواقف عند قوله:

والآن نصارح اليهود وأذئابهم والأمريكان وأشياعهم على أنه: (1)

1. لا يستطيع أحد في الأرض أن ينتزع حب الجهاد من أعماقنا، ولا أن يمنعنا حقنا في أداء هذه الفريضة، ولن يستطيع أحد أن يجتث حب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله من حنايانا.

2. إن وجودنا في أفغانستان الآن لا يعني أننا نسينا فلسطين، ففلسطين قلبنا النابض، وهي مقدمة على أفغانستان في أذهاننا وقلبنا وفي مشاعرنا وعقيدتنا، فهي الأرض المباركة، وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وهي مسرى رسول الله ﷺ.

- ولئن حيل بيننا وبين الجهاد في فلسطين بسبب القيود وحراس الحدود..
- ولئن منعنا من مزاوله عبادة القتال في أرض المسجد الأقصى إلى مدة معدودة، لا يعني أن أذهاننا قد انصرفت عن التفكير في فلسطين.
- لن يهدأ لنا بال، ولن يقر لنا قرار حتى نعود للجهاد في فلسطين.

(1) مجلد في خضم المعركة 183 - 184.



- إن أشباحنا في أفغانستان، ولكن أرواحنا تحوم فوق بيت المقدس.
- وأن أجسادنا في كابل، ولكن أفئدتنا معلقة بالديار المباركة التي دنسها أحط خلق الله في دنيانا.
- لقد آلبنا على أنفسنا ألا نتراجع ولا نتزعزع عن هذا الطريق الرباني الواصل بين كابل والقدس، وبإذن الله نحن قادمون مهما بعدت الشقة وطال الزمن وامتدت الطريق.
- نحن نصارح اليهود وأعوانهم، أن الطريق واحد، وأن الجهاد ممتد، وأن الشباب عزم عزمه على ألا يلين ولا يخضع بإذن رب العالمين.

3. هذه الفئة المؤمنة صممت على المسير، مهما اعترضها من أشواك، ومهما واجهها من عقبات، هذه الفئة قد عاهدت ربها على اختيار هذا الطريق المفروش بالأشلاء، والمروي بالدماء، وهي تضرع إلى الله (عز وجل) أن يثبت قلوبها وأقدامها وأن ينزل السكينة عليها.

- هذه الفئة وطنت نفسها على الموت، وهي تعلم شرعاً وعقلاً أن القتل برصاصة غادر فوق أرض باكستان من يد منافق أو من أنامل مشاقق، حكمه كحكم الموت برصاصة من يد روسي على أرض كابل وعلى ثرى الهندوكوش، وهو نفس الحكم الشرعي للقتل برصاصة يهودي في فلسطين، ولا فرق بين رصاصة شيوعي في أفغانستان ورصاصة عميل لليهود أو الأمريكان، الكل قتل في سبيل الله، والكل شهادة والكل رفعة ومجد وسؤود في دنيا الناس، وإن شاء الله في



الملا الأعلى ما دامت النية خالصة والعزيمة منعقدة على بقاء راية الجهاد مرفوعة، وعلى مواصلة السير على هذا النهج الواضح الجاد، وفي الحديث الصحيح: (من وضع رجله في الركاب فاصلاً، فوقصته دابته فمات أو لدغته هامة فمات أو مات بأي حتف مات فهو شهيد).

لقد اخترنا الموت طريقاً للحياة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (1).

4. لن يستطيع أحد أن يمنعنا من دفع الصائل عن أعراضنا، ولن تحرمنا قوة من الذود عن دماننا، فدفع الصائل الذي يتسلط بالقوة على النفوس والأعراض حق مشروع لكل إنسان، ودفع الصائل عن العرض فرض عين بإجماع الفقهاء، فقد أكدوا الفقهاء أن المرأة التي تخاف على عرضها يجب أن تدافع عن نفسها حتى تموت، ولا يجوز لها الاستسلام للأسر بحال من الأحوال، ووجوب دفع الصائل عن النفس فرض عين عند جمهور العلماء.

من هنا كان منهج الشيخ رحمه الله واضحاً تمام الوضوح في بيان فريضة التحريض على الجهاد، حيث كانت من أهم ما يمتاز به المنهج الذي سلكه الشيخ في حياته، ولذا يقول حول هذا الموضوع:

(1) آل عمران 169.



– سنزاول حقنا الطبيعي، وسنؤدي فرضنا الرياني مهما كانت الظروف إن شاء الله.

فكيف ينال المجد والجسم وادع وكيف يحاز الحمد والوفر وافر.

ولهذا فإننا أخذنا على أنفسنا أن نواصل تحريضنا للشباب العربي بالقدوم إلى أرض الجهاد وألا نتوقف في مسيرتنا، نحمل ما يمكن ان نحتمله من أعباء الجهاد.. إن الدور كبير والهمم قاصرة عن حمل التبعات، وليس لها إلا تأييد رب العالمين الذي يقوي العزائم ويشد الهمم⁽¹⁾.

كان يتوعد (رحمه الله) إن بقي على قيد الحياة أن يشعلها حرباً على أعداء الله (عز وجل) وكان يردد بيت الشعر القائل:

لئن عمرت جعلت الحرب والدة والسهمري أخاً والمشرفي أبا

شعار الشيخ لأبناء فلسطين (ليس من متاع جديد في عام جديد):

في كلمة ألقاها الشيخ عبد الله عزام عام 1988م وضع فيها أبناء فلسطين أمام مسؤولياتهم التاريخية، إذ لم يعد للنوم مجال وهو قول الرسول ﷺ لخديجة (رضي الله عنها): (لقد مضى عهد النوم يا خديجة) وقد آن للشعب الفلسطيني أن يأخذ للأمر أهبطه، وأن يعد للمصير عدته، ولا بد لأبناء فلسطين أن يجعلوا قضية تحرير المسجد الأقصى

(1) مجلد في خضم المعركة ص 183 – 187.



نصب أعينهم، وأن يحولوا العواطف والمشاعر إلى سلوك وأخلاق وأحداث على الأرض، يراها كل ناظر.

قال الشيخ في كلمته: "إن الأحداث تتوالى، والزمن ليس في صالحكم، وأعداؤكم يرقبون ليعرقلوا لكم كل حركة، وهم يعدون خططهم ويرتبون أوراقهم لإخماد أنفاسكم".

وكان أول شعار طرحه الشيخ في هذا المؤتمر "ليس من متاع جديد في عام جديد".

"هذا الشعار، لو كانوا به يأخذون، ولجماح شهواتهم يكبحون، لكان لهم الذي يريدون، وهو أن يوضع صندوق في كل بيت يكتب عليه (صندوق الجهاد لفلسطين)، والحق أن الشهوات قد أذلت الرقاب والكماليات أفسدت نفسيات العباد .

أما النصيحة الثانية : فقد طلب منهم أن يقسم كل منهم شهره إلى أربعة أسابيع، يأخذ نفسه إلى نظام الجندية في بعض الأطعمة، ويفترضها حمية من الطبيب. ليمتتع في الأسبوع الأول مع أسرته عن المرطبات وثمرتها لصندوق الجهاد، وفي الأسبوع الثاني لتكن الحمية عن الفواكه، وفي الثالث ليمنع نفسه عن اللحوم، وفي الرابع لهم أن يعيشوا كما هم الآن يحيون.

فإذا دفع أثمان هذه التوفيرات في صندوق الجهاد فسيجد نفسه أمام مدخر طيب يدفع الله به الجهاد ويرفع الله به صاحبه (1): ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (2)

(1) كلمة ألقاها الشيخ عبد الله عزام في مؤتمر رابطة الشباب المسلم الحادي عشر المنعقد في أوكلاهوما عام 1988 ضمنها موسوعة الذخائر للشيخ. وبإمكان القارئ الكريم الرجوع إلى ما كتبه الشيخ في موسوعة الذخائر ص 199 تحت موضوع تخففوا يا أبناء فلسطين.



وأما النصيحة الثالثة التي نصح بها الشيخ الفلسطينيون فكانت: ليحمل القاعد المجاهد، وليجهز التاجر النافر، واقسموا أنفسكم قسمين للتجهيز والتدبير، وستجدون أنفسكم بعد حين أنكم على جادة العودة سائرين، وفي طريق الحق سالكين: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ بَأْهَ بَعْدَ حِينٍ﴾⁽³⁾.

ثقل القضية في حياة الشيخ :

كان رحمته الله يحمل همًّا كبيراً، وكانت قضايا المسلمين لا تفارق أحاسيسه أو مشاعره، ومن هنا كان يعبر عما في نفسه ببعض العبارات، لكثرة ما رأى من مشاكل الأفغان، ولكثرة ما كان يفكر في فلسطين وأفغانستان وغيرها من قضايا الأمة، كان يردد مقولته المشهورة "شيبنتي أفغانستان وأخواتها" محاكياً قول الرسول ﷺ "شيبنتي هود وأخواتها" كان أعظم ما يتطلع إليه، إعادة الفريضة الغائبة إلى حياة المسلمين، ولهذا كتب رحمته الله إلى أحد الإخوة ممن شاركوه المسيرة ما يعتريه من ثقل المسؤولية والهم الذي يحمله عبر رسالة سطرها له حيث قال:

(لا يهمني شخصي، ولا يهمني ما ألاقى من متاعب في ذات الله وابتغاء مرضاته لإعادة الفريضة الغائبة إلى دنيا المسلمين، وألا تمسخ التأويلات نصوص القتال، ولا تؤول إلى كلمات مبهمه وجمل مرتبة مصفوفة يكتبها فارغ بال وهو يجلس على أريكة تحت أثير المكيف..)

(1) مجلة الجهاد عدد 51 جمادي الثاني 1409 هـ ص 47

(2) سيا 39

(3) ص آية 88



نريد أن يعود الجهاد لحياة المسلمين، نريد أن نتنفس كيف شئنا، نريد لقلوبنا أن لا تحصى نبضاتها، ولأفواهنا أن تتكلم كيف شاعت ومتى شاعت، لا أن نعيش مكمي الأفواه مقيدي الأيدي، موثقي الأرجل.

لقد أضحى العمل للإسلام خطبة حارة أو كتاباً - مجلداً - أنيقاً أو جلوساً خلف مكتب للتفكير كيف يكون الإسلام، فالناس ينظرون إلى الإسلام من خلال بروجهم العاجية، يتحركون في فراغ ويعملون في فراغ، ولا ينتجون إلا الفراغ..

لا بد من مجموعة من المسلمين تتصدر عملية نقل الإسلام من الأوراق إلى الأرض، فنجو الله أن نكون منهم .

لا بد من طليعة تضحي بكل ما تمتلك وتعيش من أجل قضية القتال (وليس الجهاد بالقلم أو اللسان).

لا بد من نخبة تتحمل تكاليف إحياء الجهاد في واقع الناس بعد أن أصبح نسياً منسياً، فوقفنا هنا في أثنى فرصة مرت علينا في حياتنا، نحاول تجميع المسلمين على هذا المعنى العظيم، وقفنا نحاول أن نفي بالعقد المعقود بيننا وبين رب العالمين: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُداً عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

(١) سورة التوبة 111.



ازدادت مشاغلنا، وتراكمت همومنا، وثقلت تبعاتنا، وأثقلت إلى من يحمل معي هذا الحمل أو يخفف عني أو يواسي جراحي فأجد الكثيرين من أخواننا المخلصين ذوي تجربة محدودة، ونظرة قريبة وحساسية بالغة لا يمتصها إلا وجود كبير بينهم يحل مشاكلهم ويؤلف بينهم بإذن الله ومشيتته.

إن المجال مفتوح لكل من أراد أن يتحرك فوق هذه الساحة، وهي فرصة عزيزة أضاعها الذين يحاولون أن يعيدوا لهذا الدين مكانته، وهي أيام ثمينة ما مر في تاريخ المسلمين مثلها...

شاركنا همومنا وأحضر معك أخانا الكبير أحمد نوفل يعيش بيننا ولو لفترة شهرين أو ثلاثة في الصيف فوالله إنها عز الدنيا والآخرة ونور في الأرض وذخر في السماء). (1)

هكذا كانت الأحاسيس تعتمل بين جنبيه، يخاطب بها من يطمع أن يكونوا بجواره لتخفيف الحمل والنقل عن كاهله.

هكذا كانت أحاسيسه تجاه قضايا المسلمين لهذا كان رحمته الله يقول: والله إن ذبح أولادي جميعاً في حجري أهون علي من أن يبقى قادة المجاهدين مختلفين.

ولكثر ما كان هم المسلمين يعتمل بداخله كان يتمنى من كل المسلمين أن يستفيدوا من جهاد أفغانستان، لذلك كان يعبر عن هذا بقوله: "كل الناس استفادوا من جهاد أفغانستان

(1) هذه مقتطفات من رسالة كان قد وجهها الشيخ عام 1986م إلى أحد الأخوة في الأردن ممن شاركنا المسيرة في بدايتها (أبو أكرم) ويطلب فيها أيضاً إقناع الدكتور أحمد نوفل المدرس في الجامعة الأردنية بالحضور إلى أرض الجهاد، وقد نشرت في كتاب سعادة البشرية للشيخ.



وتجربتها إلا مسلمي باكستان، وقد قالها ذات مرة من فوق منبر الجمعة بملء فيه: "ما رأيت ناساً خائبين أكثر من مسلمي هذا البلد لعدم استثمارهم فرصة أفغانستان).

ولعلنا نجد الفرق بينه وبين من جاء أرض الجهاد ليشاوره في أمر من أمور الدعوة، حيث اختلى به في زاوية من زوايا معسكر صدا، وبعد ساعة ونصف من الحديث، أنهى الضيف ما عنده، وحصل على مبتغاه، وبينما كان يللم أذياه للانطلاق من حيث أتى، أمسك به الشيخ قائلاً له: اجلس حتى نحدثك عن المجاهدين وقضيتهم وهي من أهم القضايا التي تهم العالم بأسره في الوقت الحاضر.. فرد عليه الضيف الزائر قائلاً: لا يوجد عندي وقت سوى خمس دقائق، وقبل أن ينهي الضيف عبارته الأخيرة تذكر أنه فقد طاقيته.

فمكث يبحث عنها أكثر من خمس دقائق.. فكتب الشيخ على إثرها موضوعاً في مجلة الجهاد تحت عنوان: "خمس دقائق للطاقيّة أم للقضية(1)؟؟" مازحاً معه وجاداً في الوقت نفسه!!.

فشتان شتان ما بين من يُسخر كل وقته وطاقته لهموم الأمة، ومن يحسب عمله في الدعوة بالساعات والدقائق؟؟

ومن أكثر العبارات التي يعبر فيها عن الهم الذي يعتل بين جنبه تجاه الأمة قوله: نحن نسهر حتى ينام الناس، ونتعب حتى يرتاح الناس.

(1) هذا الموضوع نشر في مجلة الجهاد وقد جمعت هذه المواضيع جميعها في كتاب (من القلب إلى القلب) (حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد) وهو كتاب بالحجم الصغير أضيف للموسوعة بالمجلد الثاني.



إرهابيات جهاد الانتفاضة :

يقول رحمه الله : (1) كنت أحس منذ سنوات أن اليهود يتوجسون خيفة من هزة قادمة بسبب الزلزال الذي حدث في أفغانستان. وكنت ألمح من التشديدات التي تجريها أجهزة الأمن الإسرائيلي على كل قادم من باكستان.

وزاد رعبهم عندما وجدوا أفواج الشباب العربي تقدم أفغانستان، وبدأ الشهداء يتساقطون، فانقضت (إسرائيل) هلعاً، وحركوا أجهزة الحكم الغربية وأمريكا حتى تشدد على منح التأشير إلى باكستان، ثم الأوامر الصارمة التي أقيمت على شركات الطيران العالمية أن لا تقل على ظهرها راكباً إلا بعد التأكد من التأشيرة.

وكتب شخترمان اليهودي الأمريكي عن الجهاد الأفغاني: ما الذي فعلناه؟ لقد أيقظنا العملاق.

وأشترط اليهود في معاهدة جنيف إغلاق المعسكرات الأفغانية في باكستان حتى لا يتدرب فيها الشباب العربي.

حركة حماس برزت بشكل منظم:

تحرك المسلمون وأبناء فلسطين قاطبة، وقام الشيخ أحمد ياسين رمز صمود الحركة الإسلامية، وبدأ الشارع الفلسطيني يرجع إلى الله على أصداء نغم الله أكبر، خير خير يا

(1) موسوعة الذخائر المجلد الأول ص 852.



يهود دين محمد سوف يعود، واشترك في هذا الجهاد جميع الطبقات والفئات من أبناء فلسطين، وبدأت المنظمة تدخل الأموال لدعم الانتفاضة ولكن حركة المقاومة الإسلامية حماس برزت بشكل منظم واضح، وأخذت تشتد يوماً بعد يوم ويصلب عودها ويقوى تيارها، وبدأت تستحوذ على اهتمام الجماهير وإعجابهم بسبب التزامها ونظامها.

ونحن نرقب ذلك اليوم الذي يتحول فيه الحجر بأيدي حماس إلى رصاص، ويتبدل الحجر وتحل القنبلة والبندقية، وهذا سهل بأمر الله إذا وجد الشباب الذين ينتزعون سلاحهم من أيدي أعدائهم ويقاثلونهم به، ونرقب اليوم الذي تهتز الأرض فيه تحت أقدام اليهود، وتزيغ فيه أبصارهم، ونبتهل إلى الله أن يفتح لنا ثغرة إلى فلسطين نزول فيها عبادة القتال وفريضة الجهاد، وما ذلك على الله بعزيز⁽¹⁾: ﴿يَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً﴾ (٢).

حماس في نظر الشيخ عبد الله عزام:

يقول ﷺ عن حماس:

على قدر ما جاءت، فهزت مضاجع النائمين ونفحات هبت فأحيت قلوب الغافلين وأحداث دمدمت، فدوت أصدائها في ربوع العالمين وأنوار برقت، أضاعت لها أرجاء فلسطين درة الفاروق ﷺ: اهتزت في يد عماد الدين سيفاً وانبعثت بيمين نور الدين ترساً وأومضت بيارق نصرها فظللت صلاح الدين في فيئها ونهل ببيرس وقطر من صفاء وردها وتتبع خطا القسام معالم إقدام السابقين ومن نفس المشكاة اقتبس البنا وفرغلي وأحمد ياسين

(١) موسوعة الذخائر المجلد الأول ص 852 - 853.. ولو أن الشيخ قدر له أن يكون على قيد الحياة في أيامنا هذه ورأى ما حققه المجاهدون لدخل إلى غزة من فوق الأجواء أو من تحت الأرض لأن ما تحقق كان جزءاً مما كان يحلم به على أرض فلسطين.
(٢) الإسراء 51.



ونحن على مواصلة المسيرة وسلوك الجادة صمما وأقسمنا اليمين ⁽¹⁾.

فيا قوم:

﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ^(تر).

الشيخ في نظر حركة المقاومة الإسلامية حماس يوم استشهاد: (3)

بعد استشهاد الشيخ مباشرة أصدرت حركة المقاومة الإسلامية حماس بيانها لهذه المناسبة، حيث وضحت نظرتها تجاهه، وهذا هو نصه:

عهداً يا شهيد فلسطين وأفغانستان.. لنرفعن راية الجهاد حتى إحدى الحسينين، رحمك الله يا أبا محمد رحمة واسعة وأسكنك فسيح جناته.. هنيئاً لك الشهادة التي طالما تشوقت لنيلها.. وعملت طوال حياتك -خلفاً لكثير من الناس- كي تظفر بها.. وإذا كنا قد حزنا على فقدانك فلأن المصاب فيك جلل، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، إنا لله وإنا إليه

راجعون، وإذا كنا قد نعينا روحك الطاهرة الوثابة، فإن نعينا فيك خير مثال يحتذى في الجهاد والتضحية والفداء.

ما أشد وقع كلماتك في وصيتك على نفوسنا.. في هذه المرحلة يستشعر كل من يقرأها صدقك فيها، ولذلك يحلو لنا أن نردها لتظل نبزاً يضئ لشبابنا درب الجهاد الذي شقوه في ليل العرب البهيم ضد أشد الناس عداوة للذين آمنوا.

⁽¹⁾ موسوعة الذخائر المجلد الثاني ص 189.

⁽²⁾ الأعراف 128.

⁽³⁾ بيان من حركة المقاومة الإسلامية حماس يوم استشهاد الشيخ عبد الله عزام، نشر في "لهيب المعركة" الصادرة عن مكتب الخدمات العدد 1410/7/15 /90 ص 13.



عندما نقرأ وصيتك: (لقد ملك حب الجهاد عليّ حياتي ونفسي ومشاعري وقلبي وأحاسيسي) وعندما نقلب صفحة حياتك نجدها صادقة لقولك كما الفجر الصادق، وعندما نقرأ في وصيتك لأبنائك: (والله ما طقت أن أعيش في قفصي معكم كما تعيش الدجاجة مع فراخها، ولم أستطع أن أحيا بارد النفس ونار المحنة تحرق قلوب المسلمين).

وعندما تردد عبارة الأفاضل من قبلك: (يا دعاة الإسلام: احرصوا على الموت توهب لكم الحياة) تدخل كلماتك الصادقة قلوبنا بسلاسة وراحة، حتى إذا تمكنت منها تحولت في شبابنا إلى حمم ترمي بلظاها جنود العدو الغاصب، على النحو الذي أرضاك.

رحمك الله بقيام (حماس) وعلى النحو الذي أصبح - بفضل الله - مضرب الأمثال في جميع أنحاء العالم.

قالوا فيك "شهيد الإسلام" وهذا والله عين الحق، وقالوا عنك شهيد أفغانستان وهذا أيضاً حق، حيث أمضيت عشر سنوات تدعو للجهاد في أفغانستان، فكنت خير معين له عالماً وداعية ونصيراً وجامعاً على الخير.

ولكننا نقول أيضاً إنك شهيد فلسطين، لا لأنك من أبناء الشعب الفلسطيني، ولكن لأنك ما غادرت موقع الجهاد على أرض فلسطين إلا عندما أغلقت من دونها الأبواب.

إننا أيها المسلمون إذ أعلننا في بياننا رقم (51) أن يد الغدر اليهودي ربما كانت إلى جانب يد الغدر الشيوعي اللئيم في اغتيال رمز الجهاد الإسلامي في الوقت الحاضر.. لا



نقول ذلك مبالغة ولا جزافاً .. فقد كان الشيخ رحمه الله .. كما يعرف القريبون منه - يعتقد أن ساحة الجهاد في أفغانستان ينبغي أن تكون باباً للجهاد في فلسطين .. ولقد صدق في ذلك، فكثير من الشباب الفلسطيني المجاهد على ثرى الأقصى المبارك، قبس من الجهاد الأفغاني، بل من روح الشيخ الشهيد المجاهد الوثابة الذي كان زاداً في المسير، وطاقة دافقة للمواجهات الدامية مع جيش الاحتلال.

إننا نعتقد جازمين أن رسوخ فرض الجهاد في قلب العالم الداعية عبد الله عزام، وترجمته له على أرض الواقع، في وقت انفتح فيه باب الجهاد على أرض الإسراء والمعراج، كان سبباً أكيداً لكي تكيد له يد الكفر والظلم والبطش والفساد.

وإذا كان قد أقسم قادة الجهاد أن لا يذهب دم الشهيد هدراً، فإننا (حماس) نعهده الله ونعهده شعبنا البطل، وفاء بالواجب، وبراً بروح شهيد فلسطين وأفغانستان، أن نواصل حمل راية الجهاد، بكل ما أوتينا من قوة مهما كانت العواصف والعقبات إلى أن نلقى ربنا شهداء أو ينصرنا على عدونا، فتترف راية لا إله إلا الله محمد رسول الله عالية خفاقة في ساحة المسجد الأقصى.

فيا أيها المسلمون في كل مكان، لتكن لكم في حياة الشهيد عبد الله عزام قدوة حسنة وإننا لمنتظرون.



وصايا و نصائح لأبناء حماس: (1)

وجه الشهيد عبد الله عزام مجموعة من الوصايا والنصائح لأبناء حماس, قال فيها:

- عليك بإخلاص النية وصدق الطوية وإياك والرياء.
- عليك بتلاوة جزء من القرآن يومياً.
- احفظ من القرآن يومياً ولو آية.
- عليك بأذكار الصباح والمساء.
- داوم على قراءة أذكار اليوم والليلة (المأثورات), أدعية الطعام واللباس والخروج والمسجد والنام.
- احتفظ بتفسير صغير مثل الجلالين أو مختصر الطبري, وكتاب رياض الصالحين.
- اقرأ كتاب المنهج الحركي للسيرة النبوية - لمنير الغضبان.
- اقرأ حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي.
- اقرأ كتاب فقه السنة للسيد السابق.
- اقرأ كتاب الإيمان - أركانه ونواقضه, للدكتور محمد نعيم ياسين.
- عليك بكتاب التاريخ الإسلامي لأحمد شاکر.
- أحفظ لسانك وابك على خطيئتك.

(¹) موسوعة الذخائر المجلد الأول ص 861.



- لا تضيع وقتك سدى وطالع في الكتب الإسلامية، خاصة رسائل البنا وآل قطب وسعيد حوى ومصطفى مشهور والقرضاوي وفتحي يكن والمودودي ومحمد أبو فارس وأحمد نوفل ومحمد أحمد الراشد وجاسم مهلهل.
- احفظ أعضاءك من المعاصي يحفظها الله لك نشيطة قوية.
- لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي.
- ابتعد عن المحرمات، خاصة فيما يختص بالنساء (فما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)^(١).
- نم مبكراً وقم مبكراً ولا تتم بعد الفجر، وعليك بقيام الليل.
- بيت النية على الجهاد واستعد له وخذ له أهبطه.

الحق التاريخي البشري للمسلمين في فلسطين كما خطه الشيخ بقلمه: (2)

1. إن وجود العرب البشري، لم ينقطع في فلسطين منذ 6 آلاف عام.
2. كثير من علماء تاريخ الشعوب، يرون أن اليهود في فلسطين ليسوا من بني إسرائيل، منهم: فردريك هيرتس، ريبلي، أوجين بتار.
3. قال المسيح عليه السلام : لو كنتم أولاد إبراهيم لعملتم أعمال إبراهيم.
4. جاء إبراهيم عليه السلام ونزل ضيفاً على الكنعانيين كما جاء في سفر التكوين.

(١) جزء من حديث.

(٢) موسوعة النخائر المجلد الثاني ص 673.



5. أسئلة:

- أ- هل كان بنو إسرائيل أول من سكن فلسطين؟
 - ب- هل كان لهم دولة سادت فلسطين كما يقولون؟
 - ت- هل كان في فلسطين أغلبية بشرية من بني إسرائيل؟
6. أول من سكن فلسطين: الفينيقيون وأصلهم (مابين النهرين إلى بلاد الشام) أو جزيرة العرب بدليل تشابه قبورهم مع قبور العرب في الساحل الشرقي كالبحرين).
7. الفينيقيون: كما جاء في التوراة: استمر وجودهم التاريخي إلى جانب الكنعانيين حتى مقدم داود (عليه السلام) سنة 1015 ق.م.

8. اسم فلسطين: مشتق من اسم PHILISTERS.

9. لم ينقطع اسم فلسطين أبداً كما يدعي اليهود، بل اسم فلسطين في عهد الرومان واسم فلسطين منقوش على النقود النحاسية زمن عمر بن الخطاب.

10. اليهود لا ينكرون أن فلسطين عرفت باسم (أرض كنعان) قبل مولد إسرائيل نفسه (عليه السلام)، وجاء في التوراة: (إن إبراهيم نزل أرض كنعان ضيفاً فاستقبله ملك ييوس كنعاني وأكرمه).

11. اليبوسيون: أوائل القبائل الكنعانية التي سكنت فلسطين.

12. المؤابيون والمدينيون والعمونيون وبنو عناق وبنو كلاب قبائل من جزيرة العرب أصلاً سكنت فلسطين قبل مولد إسرائيل (عليه السلام).



13. الفينيقيون والكنعانيون كانوا متواجدين عند الغزوة اليهودية الأولى ففي التوراة: شارك في بناء الهيكل (ثلاثون ألفاً من اليهود و 153 ألفاً من الكنعانيين).

تقول التوراة: (وأما اليبوسيون فلم يقدر بن يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم وكان ذلك حوالي 1444 ق.م أي قبل قيام دولة داود وسليمان عليهما السلام بأربعة قرون.

14. لغة فلسطين: لغة كنعانية ثم حلت بجانبها لغة الحثيين.

15. عمر بن الخطاب: كتب في عهده لأهل القدس ألا يسكنها اليهود، وجدد العهد عمر ابن عبد العزيز.

16. اسم القدس ييوس وأورشليم نسبة إلى سالم ييوسي الذي وسعها وبنى الحصون فيها.

17. الفراعنة: كانوا يتنازعون السيادة مع الكنعانيين، وأول الغزوات 3235 ق.م قبل هجرة إبراهيم (عليه السلام) بخمسة عشر قرناً، ومنها تحتمس الأول 1550 ق.م.

ثم الحرب مع رمسيس الثاني: 1288 - 1221 ق.م على مدى عشرين عاماً، انتهت بمعاهدة مع (الحثيين) اقتسم الفريقان البلاد، وفي زمن رمسيس الثاني ولد موسى عليه السلام.



سنة 1189ق.م كانت أول غزوة يهودية لأريحا.

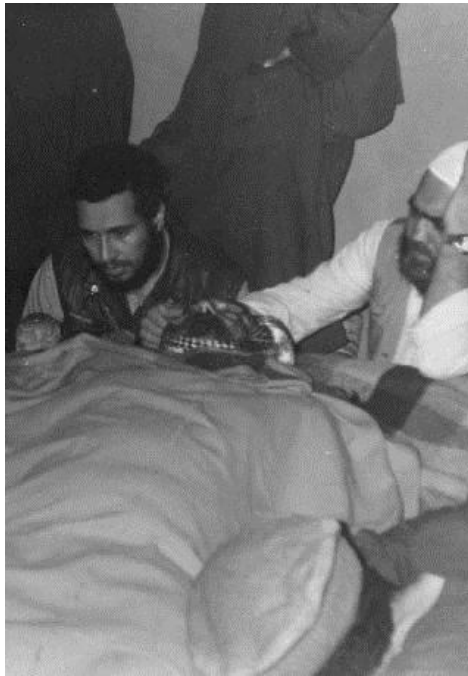
1015ق.م قامت دولة سيدنا داود عليه السلام، وسنة 970ق.م انتهت دولة سليمان عليه السلام أي مدة أربعين عاماً.

ثم غزاهم فرعون مصر وأذل اليهود.

سنة 734ق.م السبي الصغير (سرجون الثاني الآشوري) وأسقط حكومة السامريين في نابلس وأجلاهم.

586ق.م السبي الكبير (بختنصر الكلداني) في القدس.

70م غزو تيطس وتدمير القدس.





عاشراً: رحلة الشهادة.

- ❖ عشقه للشهادة.
- ❖ من هم الشهداء في نظر الشيخ.
- ❖ ما قبل الشهادة بأسابيع.. محاولة فاشلة لاغتياله.
- ❖ ما قبل الشهادة بأيام.
- ❖ لحظات الشهادة.
- ❖ ما بعد الشهادة مباشرة.
- ❖ موقف قادة الجهاد.
- ❖ الشيخ عبد الله عزام في نظر الشيخ القرضاوي.
- ❖ برقية بنازير بوتورئيسة وزراء باكستان في حينها.
- ❖ رد فعل الإعلام العربي الرسمي على استشهاد الشيخ.
- ❖ ملف اغتيال الشيخ.
- ❖ رؤى في الشيخ بعد الشهادة وقبلها.
- ❖ البحث عن البديل.



عشقه للشهادة:

ربما تجد بعض الناس يتمنون الشهادة، إلا أنهم لا يجدونها على أرض الواقع، وقد تكون هذه الأمنيات متفاوتة بين شخص وآخر، ولكني في حقيقة الأمر لم أجد ممن كان يعشق الشهادة ويبحث عنها من مكان لمكان ممن عاشرت في حياتي - على الأقل - كما وجدتها بصدق في نفسية الشيخ، وشخصية الشيخ، وحياة الشيخ، بل وجدته فعلاً من عشاقها؛ إذ كان يردها باستمرار... لا يغفل عنها أبداً.. لا في دعاء ليل ولا في صلاة نهار ولا في خاتمة خطبة جمعة ولا على رثاء شهيد عند دفنه... وأنا أحسب أن هناك الكثير من المسلمين بشكل عام ومن الحركة الإسلامية بشكل خاص يتمنون الشهادة كما كان يتمناها الشيخ، ولكن بنسبة وتناسب؛ لأن هذه الأمة أمة الخير والعطاء.

كان يردها جاداً وصادقاً.. يردها في عبارة مختارة إذ يقول: اللهم أحينا سعداء وأميتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ..

كان يردها في محاضراته وخطبه وهو يخاطب شباب هذه الأمة في جملة مختصرة لا زال الكثيرون يرددونها على ألسنتهم: (إنها ميتة واحدة، فلتكن في سبيل الله) .. ولما كانت دموعه تتحسر وهو يرثي الشهداء بعد دفنهم.. كان يقف على قبر كل شهيد ويلقي عليه كلمة مختصرة ملتهبة مليئة بالأحاسيس والمشاعر والوداع ودموعه لا تكاد تفارقه.. نراها علامة بارزة تتساقط على لحيته كما تتساقط قطرات الندى على الأغصان...

كنا نرى لحيته تبتل بدموعه وهو يقول: والله لولا أن هؤلاء أكثر صدقاً منا ما سبقونا، ولا اختارهم الله ﷻ قبلنا، مستدلاً بقوله تعالى: "ويتخذ منكم شهداء" ..



لقد كان أحياناً يتقدم في مقدمة الصفوف أثناء احتدام المعركة، فينتفض بعض الإخوة ممن حوله خوفاً وهلعاً عليه وعلى حياته، فيطالبونه بالرجوع إلى الأماكن الخلفية الآمنة وهم يصرون عليه: يا شيخ، لا تتقدم إلى الأماكن الخطرة... فأنت لست ملكاً لنفسك... أنت ملكاً للحركة الإسلامية... بل للأمة الإسلامية جمعاء، فكان يرد عليهم ﷺ بقوله: من قال لكم أن فلاناً مهماً للدعوة؟؟.. وأن العالم الفلاني مهم جداً لهذه الحركة؟؟.. وأن القائد الفلاني مهم جداً لهذه الأمة؟؟.. وأن بموته تتوقف الحركة الإسلامية أو حياة الأمة عن العطاء؟؟..

إن استشهاد قائد من قادة الحركة الإسلامية أو عالماً من علمائها في ميدان المعركة، إنما هو دماء جديدة تُضخ في عروق هذه الأمة، ودفعة قوية تدفع مسيرة الدعوة الإسلامية، وقفزة نوعية تقفزها الحركة الإسلامية إلى الأمام.. وإن كنت في شك مما أقول أخي الحبيب فانظر إلى الخير العميم الذي لحق بالحركة الإسلامية بعد استشهاد سيد قطب رحمه الله، لقد ضخ استشهاد سيد قطب دماءً جديدة في عروق الحركة الإسلامية.

ومن هذا المنطلق كنت أجلس ذات مرة وأنا أستمع لإحدى خطب الشيخ وهو يقول: حياة الأمة إنما ترتبط بمداد العلماء ودماء الشهداء، وما أجمل أن نخط تاريخ الأمة بمداد العالم ودمه فتصبح خارطة التاريخ الإسلامي ملونة بخطين، أحدهما أسود وهو ما خطه العالم بمداد قلمه، والثاني أحمر وهو ما خطه الشهيد بنجيه ودمه، وأجمل من هذا أن يكون الدم واحداً والريشة واحدة فتكون يد العالم التي تبذل المداد وتحرك القلم هي اليد نفسها التي تنزف الدم وتحرك الأمم، وبقدر ما يزداد عدد العلماء الشهداء بقدر ما تنقذ الأجيال من رقادها، وتنقذ من ضياعها وتستفيق من سباتها، فالتاريخ لا يكتب



سطوره إلا بالدم، والمجد لا يبني صرحه إلا بالجماجم، والعزة والرفعة لا يمكن أن تقوم إلا على تلال من الأشلاء والأجساد، والممالك والأمجاد والدول والمجتمعات لا يمكن أن تقام إلا بالنماذج.

لم يكن الشيخ مقتنعاً في يوم من الأيام بأن جهاد القلم وجهاد السيف بنفس المعنى، وإنما كان يفرق بينهما من حيث الإطلاق والتقييد، ومن هنا كان يقول ﷺ: وحيثما أطلقت كلمة الجهاد في سبيل الله فإنها تعني قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .. فكل لفظ في سبيل الله ورد في الكتاب والسنة- فإنها لا تنصرف ولا تعني إلا القتل والقتال في سبيل الله بالسلاح أو العون فيه ... وهذا ما قال به الأصوليون والمفسرون والمحدثون والفقهاء وغيرهم ...

ومن هنا كان يرفض جميع العروض التي كانت تعرض عليه للعمل بعيداً عن أرض الجهاد، وقد رأينا هذا واضحاً عندما قيل له: اذهب إلى جامعة النيجر واستلمها باعتبار أن هذا جهاد وذاك جهاد، فكان رده: إن هذا الجهاد ليس كذاك الجهاد، فشتان ما بين جهاد السيف الذي فيه قتل وقتال ودماء وأشلاء وأرامل وأيتام، الذي يورث العزة والكرامة والحرية والانعتاق، وما بين جهاد القلم الذي غالباً ما يكون عبر أريكة مريحة، وأجواء هادئة، وفراش وفير، وظلال المكيفات ...



هكذا كان شيخنا الحبيب ﷺ يتمنى الشهادة، بل كان يبحث عنها أينما ظنها موجودة بصدق، متمثلاً بحديث رسول الله ﷺ: "من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي القتل والموت مظانة".

كان ﷺ لا يهيمه طريقة الموت الذي سيلقاه ما دام في سبيل الله، متمثلاً بما عناه رسول الله ﷺ: "من وضع رجله في الركاب فاصلاً، فوقصته دابة أو لدغته هامة أو مات بأي حتف مات فهو شهيد" أو كما قال ﷺ...

بقي الشيخ على هذه الحال ينتظر الشهادة ويهيئ أهله ومن حوله بأن موعد الشهادة قادم لا محالة ولو بعد حين دون أن يكثرث للطريقة التي سيستشهد عليها معتبراً كل الطرق في سبيل الله ... متمثلاً ببيت الشعر القائل :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنبٍ كان في الله مصرعي

من هم الشهداء في نظر الشيخ ؟: (1)

ومن أروع ما كتب الشيخ عن الشهداء في هذا المقطع الجميل: أن الشهداء:-

- هم الذين يخطون تاريخ الأمم؛ لأن تاريخ الأمم لا يخط إلا بالعرق والدم .

(¹) جزء من افتتاحية كتبها الشيخ في مجلة الجهاد وبإمكان القارئ الكريم أن يرجع إليها في مجلد خضم المعركة تحت عنوان بوابة المجد ص 72.



- هم الذين يبنون صرح المجد؛ لأن صروح المجد لا تبنى إلا بالجمام والأشلاء.
- هم الذين يحفظون شجرة هذا الدين من أن تضمحل أو تذوي؛ لأن شجرة هذا الدين لا تروى إلا بالدماء .
- هم الخالدون بذكرهم في الأرض والسماء؛ لأن بذكرهم تحيا القلوب وإذا رؤوا ذكر الله .
- هم القادة؛ لأنهم يملكون نياط القلوب ويأسرون الأفئدة بحبهم، وقادة الدنيا هم المذنبون حقاً؛ لأنهم كما قالت أم هارون الرشيد عندما رأت الآلاف المؤلفة تجتمع حول رجل: من هذا؟ قالوا: هذا عبد الله بن المبارك عالم خراسان، فقالت: هؤلاء هم الملوك وليس أمثال هارون الذي لا يستقبل الناس إلا بجنود وشرط .
- هم الملوك .. كما قال ابن المبارك عندما سئل عن الملوك: هم الزهاد، فقيل له: من السفلة؟ قال: الذين يصلحون دنيا غيرهم بإفساد دينهم .
- هؤلاء الأذكىاء؛ لأنهم عرفوا طريقهم إلى الله، وإن كان غيرهم يرثى لحالهم، ويسخر من تفكيرهم.
- هم السادة، وإن كان أهل الدنيا المحرومون من لذة العيش الحق يردون هؤلاء عن أبوابهم ويدفعونهم عن مجالسهم .
- هؤلاء .. يقتلون لتحياء أممهم، ويحيون هم أنفسهم .



- هؤلاء .. عشاق الموت لتوهب لهم الحياة .
- هؤلاء .. يبحثون عن الموت, وكما قال عليه السلام في صحيح مسلم : " من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على منته كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي القتل والموت مظانة) .
- هؤلاء .. شهداؤنا الذين بلغوا أمتهم ومجتمعهم وأسروهم و واجباتهم بالدم وليس بالمداد, أن المبادئ أثمن من الحياة, وأن العقائد أغلى من الأجساد, وأن القيم أعظم من الأرواح .

ما قبل الشهادة بأسابيع: محاولة فاشلة لاغتياله:

قبل استشهاد الشيخ بأسابيع كنت في جلسة عائلية صباح يوم جمعة على مائدة الإفطار... ولك أن تتصور كيف تكون صورة أب تحيطه زوجته وأبناؤه، وكل واحد منهم يحدث بما يحلو له... وما زلت أذكر بعض الحديث الذي كان يدور حول رؤيا عابرة لزوجتي خلاصتها أنها رأت أحد الناس يضع مسدساً في زاوية من زوايا مسجد من المساجد، ثم انقطعت معها الرؤيا...

كنت أسمع والذهن سارح, بل شارد ومنشغل بأمر كثيرة تتعلق بأمر المجاهدين .. ثم انتهى المشهد وانتهى الفطور وغاب عني كل ما قيل على المائدة...



انطلقت بعدها لصلاة الجمعة باصطحاب أبنائي، وإذا بالمسجد الذي نصلي فيه صلاة الجمعة - مسجد سبع الليل ⁽¹⁾ - في حالة إرباك، والأمر أقل ما يقال فيه لا يشير إلى الوضع الطبيعي، خاصة وأنت تسمع الناس يتحدثون عن لغم فكك قبل لحظات من أسفل المنبر الذي يخطب عليه الشيخ عبد الله عزام خطبة الجمعة ... وبعد أن انجلى الأمر واتضح ما جرى تبين أن لغماً يزن ما يقارب العشرين كغم وجد تحت منبر خشبي مثبتاً ببعض البراغي، اكتشفه حارس المسجد أثناء حملة التنظيف المعتادة في صباح كل جمعة، حيث أثار انتباه الحارس ثقل المنبر، الذي تعود أن يرفعه بخفة، إلا أنه هذه المرة اختلف عن بقية المرات من حيث الثقل، ما دفعه إلى قلب المنبر، وذا بشيء غريب مثبت أسفله مما دعاه إلى استدعاء الشرطة الباكستانية، فقاموا بتفكيكه... وكان هذا قبل استشهاد الشيخ بثلاثة أسابيع تقريباً، ولم يكشف عن الفاعلين.

ما قبل الشهادة بأيام:

لو عدنا قليلاً بشريط الذكريات للدور الذي كان يقوم به الشيخ لتوحيد موقف المجاهدين والتي فشلت بسبب اغتيال قادة مسعود على يد قائد من قادة الحزب الإسلامي .. انشغل الشيخ ﷺ بللممة هذا الوضع وشكلت لجنتان إحداهما قضائية والثانية إصلاحية من العلماء... واعتبر الشيخ عضواً في اللجنتين، إلا أنه اعتذر عن المشاركة في اللجنة القضائية لأسباب مقنعة حتى لا يحسب على طرف من الأطراف، وبالتالي يؤثر على دوره الإصلاحي..

(1) مسجد بمدينة بيشاور الباكستانية .



وقد بدأت اللجان عملها حتى توصلوا إلى صيغة توفيقية بين الأطراف، حيث وقع عليها الطرف الأول حكمتيار، قائد الحزب الإسلامي ليلة الجمعة التي وافقت ليلة الشهادة، وانطلق الشيخ ليوقعها من الطرف الثاني قائد الجمعية الإسلامية برهان الدين رباني، وقد أصر الشيخ عبد الله عزام أن توقع هذه الوثيقة في نفس الليلة رغم أن الساعة كانت تشرف على الثانية من منتصف الليل، وقد حاول البعض من إخواننا إقناعه بتأجيل الموضوع إلى الصباح إلا أن إصراره كان ملفتاً حيث قال: خير البر عاجله، لا بد أن نوقعها هذه الليلة إن شاء الله...

وفعلاً توجه نحو بيت قائد الجمعية الإسلامية برهان الدين رباني وطلب من حراسه أن يوقفوه... فقام من نومه مذعوراً ولسان حاله يقول: ما الذي جاء بالشيخ عبد الله عزام في هذا الوقت؟ ورباني من النوعية التي تعتذر لأي قادم في مثل هذا الوقت، إلا أن مجيء الشيخ عبد الله عزام في هذا الوقت قد يكون في غاية الأهمية، بل يحمل في طياته أشياء وأشياء... وعندما خرج رباني طلب منه الشيخ أن يوقع الوثيقة على ضوء سيارته؛ لأنهم في الصباح سينطلقون إلى مؤتمر كبير سيعقد في العاصمة الباكستانية إسلام آباد يحضره كل من له علاقة بأفغانستان، وذلك لإعلان الصلح بين القادة...

القادة نحو العاصمة الباكستانية:

تحرك القادة والعلماء في صباح الجمعة 24/11/1989م إلى العاصمة الباكستانية إسلام آباد، واستأذنهم الشيخ ليلحق بهم بعد إلقاء خطبة الجمعة في مسجد الشهيد سبع الليل بمدينة بيشاور...



والشيء الملفت أن الشيخ ليس من عادته أن يجلس في البيت بعد صلاة الفجر ولو للحظات؛ لأن برنامجه معروف للجميع طيلة الأسبوع، حيث يبدأ يومه بعد صلاة الفجر فيؤدي واجبه الشرعي والريادي تجاه هذه الأمة، بينما لا يعود إلى البيت إلا في الساعة الثانية بعد منتصف كل ليلة ...

وكان من تقديرات الله (عز وجل) أن يحضر ابنه الأكبر محمد وزوجته من الأردن لقدره المحتوم، وهو قول الله تعالى: (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ..) وهو قول العلماء أيضاً: إذا أراد الله (عز وجل) أن ينفذ قدره سلب من ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ قدره.

صلى الشيخ بأهله وأولاده صلاة فجر الجمعة من يوم استشهاده، وقرأ المأثورات، ثم جلس بعدها يحدثهم ويسمع منهم وكأنه رجل مودع، يمازحهم ويداعبهم وكأنه احتفال مصغر بمقدم ابنهم الأكبر، إلى أن اقتربت صلاة الجمعة، فطلب من ابنه حذيفة⁽¹⁾ أن يوصله إلى المسجد... وأثناء خروج الشيخ من باب البيت بعد أن لبس الجديد من الملابس التي أحضرها محمد لأبيه، قالت زوجة محمد للشيخ: لبست جديداً وعشت سعيداً وميت شهيداً.. تلقى الشيخ هذه الكلمات بابتسامة هادئة ثم قال لها: إن شاء الله، ولم يكن يفصل بين هذه الكلمات والشهادة إلا خمس دقائق ...

(¹) رقم 2 في الذكور من أولاده.



لحظات الشهادة:

ركب الشيخ في سيارة قديمة ولأول مرة يركبها في حياته... وإذا بابنه حذيفة يقول بعد أن شغل السيارة، حبذا يا والدي لو جاء أخي محمد يوصلك إلى المسجد، لأنني لم استحم لصلاة الجمعة، فنزل حذيفة وركب محمد لينطلق بالشيخ يرافقهم إبراهيم وهو الرقم الثالث من بين أبنائه..

أقول: انطلق الشيخ من بيته في سيارة لأول مرة يركبها في حياته، وسار ابنه محمد بالاتجاه المعاكس على الشارع الرئيسي-شارع الجامعة وهو أكبر شوارع بيشاور- وعند دخوله الشارع الفرعي المؤدي لمسجد الشهيد سبع الليل، انفجر بهم لغم أرضي زنته 20كغم، حيث تطايرت أشلاء محمد وإبراهيم، بل وتعلقت بعض هذه الأشلاء على أسلاك الكهرباء، بينما اندلق جزء من اقتابهم ودمائهم على الجدران المجاورة... وبعد البحث والتدقيق عن بقية الجثث، وجد جزء من جثة محمد العلوية على بعد 100 متر من يمين موقع الانفجار، ووجدت بقية جثة إبراهيم العلوية على بعد 70 متراً من يسار موقع الانفجار، أما جثة الشيخ فقد نزلت في موقع الانفجار على هيئة السجود دون أن يجرح جرحاً واحداً أو ييتر بترّاً واحداً من أي عضو من أعضائه، بل ولا أنملة من أنامله أو حتى ملابسه التي سلمت من التمزيق، ولم نر أي قطرة من قطرات دمه نزلت من جسده، إلا اللهم بعض قطرات الدم نزلت من أنفه بسبب النزيف الداخلي الذي كان سببه شدة الانفجار..

وقد ذكر أكثر من واحد أنه شم رائحة المسك من جسده، وهي بطبيعة الحال كرامة من الكرامات، التي غالباً ما تكون لتثبيت الأحياء من بعده.



ما بعد الشهادة مباشرة:

لقد ذهلت وأنا قادم إلى موقع الحدث والناس يتجمعون، لا أدري ما الذي يجري، فترجلت من سيارتي وإذا بهم يقولون: انفجرت سيارة الشيخ.. فعلمنا بعدها أنه نقل إلى مستشفى الجامعة⁽¹⁾ في منطقة "التاون ستي" وما أن وصلنا هناك حتى قالوا: استشهد الشيخ...

نقل الشيخ ﷺ إلى بيته، ومن ثم إلى قرية الشيخ سياف، ليواري الثرى في مقبرة الشهداء بقرية بابي، وقد سجي جثمانه الطاهر وصلى عليه الشيخ سياف، وخلفه الآلاف من المجاهدين ثم دفن في مقبرة الشهداء بجوار والدته... وذلك بعد صلاة العشاء من يوم الجمعة 1989/11/24م، وبهذا نام الشيخ ليلة هادئة ولأول مرة منذ أن عرف طريق هذه الدعوة المظفرة... بعد عناء طويل وصراع مرير مع الباطل، وأصبح في دار الحق يشكو إلى الله ظلم الظالمين...

وهنا علق البعض على استشهاد الشيخ وقال بالحرف الواحد: إن ما جرى إنما هو مؤامرة عالمية اشتركت فيها دول عربية ودول أعجمية وأجنبية وعلى رأسها الأمريكان والصهاينة، ونحن إذ ندعو الله ﷻ على هؤلاء الزعماء الذين اشتركوا في قتل الشيخ وأن يرينا فيهم آية إن آجلاً أم عاجلاً.

ولذا فإننا نحيل القراء لتتبع مصير هؤلاء الزعماء الذين عاصروا استشهاد الشيخ عبد الله عزام والحالة التي انتهوا إليها.

(1) مستشفى الجامعة في مدينة بيشاور الباكستانية.



ولا يفوتني هنا إلا أن أذكر بموقف زوجة الشيخ عندما جاءها النساء لتقديم واجب العزاء قالت لهن: من أراد أن يأتي للعزاء فلا يأتي، ومن أراد أن يأتي للتهنئة فأهلاً وسهلاً.. لقد زفت اليوم ثلاثة عرسان للهور العين ونرجو الله أن يتقبلهم وأن يعيننا على مواصلة الطريق...

موقف قادة الجهاد:

أما قادة الجهاد الذين انطلقوا صباح الجمعة في ذلك اليوم إلى إسلام آباد من أجل المؤتمر الذي أشرنا إليه.. فقد علموا بالخبر بعد أن كانوا على أبواب إسلام آباد، التي تبعد 200 كم عن مدينة بيشاور الباكستانية.. حيث اتصل كل حزب بقائده وأخبروهم باستشهاد الشيخ عبد الله عزام، ما دفعهم للعودة مرة أخرى إلى مدينة بيشاور...

صدم القادة لهذا الحدث الجلل... وصدم الأفغان حتى قال بعضهم... نتمنى أن نستشهد فوق ساحات الأقصى وندفن في قرية الشيخ عبد الله عزام كما دفن هو في قريتنا..

وقال بعضهم... لقد أصبح في بيت كل أفغاني مأتم... وقال آخرون من قاداتهم: لقد أحدث استشهاد الشيخ عبد الله عزام مأتماً على مستوى العالم الإسلامي كله... وقال قائل منهم - سياف -: لقد كنت أسمع أنين البكاء عبر أسلاك الهاتف التي انهالت عليّ اتصالاتهم من جميع أنحاء العالم الإسلامي.. بل العالم كله...



الشهيد في نظر الدكتور القرضاوي:

يقول الشيخ القرضاوي عن الشيخ عبد الله عزام يوم استشهاده:
.. فقدت الأمة الإسلامية رجلاً من رجالها والرجال قليل ..
.. فقدت عالماً من أعز علمائها وداعية من أكرم دعائها ..
.. فقدت رجلاً جمع إلى العلم العمل والإخلاص .. وقليل من الناس الذين يعلمون
فيعملون، ويعملون فيخلصون ..
.. فقدت رجلاً جمع العلم والجهاد معاً.. كان رب السيف والقلم ..
.. فقدت الأمة هذا الشهيد الكريم على أيدٍ أئمة غادرة، دبّرت اغتياله بخسة ونذالة ..
فكان أن لقي مصرعه هو وابنان من أبنائه في وقت واحد.. ذلكم العالم العامل المجاهد
الداعية إلى الله، الأخ الحبيب الشيخ الدكتور عبد الله عزام ..
.. الرجل الذي نذر نفسه منذ فجر شبابه يدعو إلى الإسلام وليكون صوت الجهاد المدوي
في كل مكان.

.. كان عبد الله عزام أحد أولئك العلماء الذين ذكرونا بالسلف الصالح (رضوان الله
عليهم) .. ما رأيته إلا ودم الشهادة يتفرق في وجهه ..
.. رجل نذر نفسه لله، وقلماً تجد من نذر نفسه لله وعاش لهذا الدين خالصاً مخلصاً ..
.. إنك تجد الكثيرين يتكلمون، ولكن أين من كثرة المتكلمين الذين يعملون؟..
.. وقد تجد الذين يعملون، ولكن أين منهم الذين يخلصون ..
.. قد تجد الذين يتحدثون، لكن أين الذين يجاهدون؟..



.. كان هذا رجلاً من رجالات الإسلام، بل من بقايا السلف الصالح في هذا العصر، أبى إلا أن يعيش بأرض أفغانستان وإلا أن يشارك المجاهدين وأن يكون مدداً لهم في كل ناحية من النواحي، يكتب عن الشهداء، كلما استشهد شهيد من أبناء العرب، كتب عنه حديث من رأى ولمن عرف، وقد شاء الله أن يلقي الشهادة أخيراً وكان هذا ما تمناه ..

.. لقد لقي عبد الله عزام ربه شهيداً راضياً مرضياً، إن شاء الله.. فإن السنة الخلق أقلام الحق، والنبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (أنتم شهداء الله في الأرض) ونحن نشهد له أننا ما علمنا عليه إلا خيراً، ما علمنا عنه إلا الصدق والإخلاص، وإلا القوة في دين الله (عز وجل) ..

لقي ربه شهيداً فعلينا أن نسير في الخط الذي كان يدعو إليه وأن ندعم الجهاد ونؤيده حتى تكون كلمة الله هي العليا وتكون كلمة الذين كفروا هي السفلى. (1)

برقية بنازير بوتو:

تلقت عائلة الشيخ عبد الله عزام برقية تعزية من رئيسة وزراء باكستان إبان حكمها، والذي اغتيل في عهدها، والتي كان لها دور بطريقة أو بأخرى في استشهاده حسبما قيل، لذا، يرى كثير من المراقبين أيضاً أن قتل ضياء الحق رئيس باكستان كان وراءه الأمريكان بمساعدة بنازير بوتو وأعوانها في باكستان.

(1) مقاطع من خطبة الشيخ القرصاوي في الجمعة التي تلت استشهاد الشيخ عزام في 1410/5/3 هـ التي ألقاها في مسجد عمر بن الخطاب في الدوحة - قطر.



الحلقتان الأقوى:

ومن هنا كان يتوقع الكثيرون من المخلصين ممن كان يعيش حول الشيخ؛ أن قتل ضياء الحق إنما كان تمهيداً لاغتيال الشيخ باعتبارهما الحلقتان الأقوى في حماية الجهاد والدفاع عنه داخلياً وخارجياً، بل كانا سداً منيعاً أمام أي مفسد يريد أن ينفذ إلى الجهاد والمجاهدين من الدول الإقليمية والخارجية وعلى رأسها الأمريكان... فكان أمراً طبيعياً أن تشغل هذه الدول على تصفية هذين الرجلين، باعتبار أن الرئيس ضياء الحق كان يدافع عن الجهاد في المحافل الدولية ويقف أمام مؤامراتهم .

وأما الشيخ، فكان من أهم روافد الجهاد والمجاهدين بالمال والرجال والدفاع عنه إعلامياً، وكشف المؤامرات التي كانت تحاك ضده، فضلاً عن كونه جسراً بين العرب والأفغان، بل كان له دور كبير في القضاء على كثير من الفتن الداخلية في مهدها عبر طرق الإصلاح التي كان يقوم بها بين القادة المجاهدين... فكانت إزاحة هذين الرمزين أمراً ضرورياً باعتبارهما عقبة كأداء أمام المؤامرات العالمية، وذلك للتفرغ والعمل على ترتيب أوضاع أفغانستان بما يتناسب مع مصالح الأعداء، للمرحلة المقبلة.

كانت تصفية ضياء الحق أولاً أمراً طبيعياً ما جعل الشيخ مكشوفاً أمام حكام باكستان الجدد والمتآمرين معهم، ويرى المراقبون أن من قام بقتل ضياء الحق هو الطرف ذاته الذي خطط وبرمج لاغتيال الشيخ عبد الله عزام.



وكان تصفية الشيخ أمراً ضرورياً في تلك المرحلة وذلك للعمل على ترتيب أوضاع أفغانستان وفلسطين معاً خاصة وأن العالم كله كان مشغولاً بترتيب أوراق القضية الفلسطينية تمهيداً لمؤتمر مدريد.

رد فعل الإعلام العربي الرسمي على استشهاد الشيخ:

لم يجد استشهاد الشيخ في الإعلام الرسمي العربي والإسلامي مكاناً في صحفهم أو تلفزتهم أو إذاعاتهم إلا خبراً مجرداً وبشكل مقتضب يقول: إن انفجاراً حصل في بيشاور في سيارة، قتل على أثره ثلاثة أفراد... هكذا سمعت الخبر بنفسي في بعض الإذاعات العربية .

هكذا كان خبر استشهاد الشيخ في إذاعاتنا العربية والإسلامية لا تزيد كلمات الخبر الذي ذكر عن استشهاد، أصابع اليد الواحدة.. ويبدو أن بعض الصحف العربية والإسلامية خجلت على نفسها لكثرة الضغوط عليها باعتبار أن الشيخ ليس رجلاً عادياً مما حداها إلى إفساح المجال للبعض أن يكتب عن حياة الشيخ ولكن دون أدنى المستويات...

ملف اغتيال الشيخ:

كان من الطبيعي أن تقوم الحكومة الباكستانية بتشكيل لجنة تحقيق لمعرفة ملابسات اغتيال الشيخ، وكان يرأس هذه اللجنة حينها قائد شرطة بيشاور المسمى اسكندر... لم يكن يتوقع اسكندر أو بعض المسؤولين الباكستانيين مكانة الشيخ أو أهميته على مستوى العالم



الإسلامي، فضلاً عن الأقليات الإسلامية في العالم، إلا بعد أن انهالت الرسائل والبرقيات من جميع أنحاء العالم على القصر الجمهوري في إسلام آباد منذ اليوم الأول لاستشهاده، يطالبون فيها الحكومة الباكستانية بالكشف عن قتلة عبد الله عزام، وكانت معظم الأسئلة التي كانت توجه إلى الحكومة الباكستانية: من قتل الشيخ عبد الله عزام...؟؟ وهذا الذي جعل مسئول الشرطة اسكندر أن يقول لنا: لم أدرك وزن هذا الرجل في العالم الإسلامي إلا الآن... والله لو كنت أعلم منزلة هذا الشيخ لدى العالم الإسلامي لحرسته بنفسه، لقد حاولت لجنة التحقيق أن تصل إلى شيء ما، حول من كان خلف مقتل الشيخ، إلا أن اللجنة أعلنت إغلاق الملف بعد أن اصطدمت بمن له علاقة من المسؤولين الباكستانيين بهذا الأمر، وانتهى الأمر إلى هذا الحد.

رؤى في الشيخ بعد الشهادة وقبلها:

بعد عودة الشيخ من آخر زيارة له للكويت، كنت قد استقبلته في المطار، وأثناء سيرنا في الطريق، تبادلنا لذهني سؤال عابر، قلت له يا شيخ: هل بينك وبين فلان شيء؟ فنظر إليّ نظرة استغراب قائلاً: "ماذا تقصد؟؟" قلت: لقد رأيت زوجتي في منامها كذا وكذا وكذا!! فسكت قليلاً ثم قال: زوجتك يا أبا عادل ولية من أولياء الله.. والله لا أحد يعرف في هذا الموضوع سوانا.. وانتهى الأمر على هذا الحال، إلا أن الشيخ أصبح كلما التقى معي قال لي: ماذا رأيت أم عادل هذه الليلة؟ وبقي هذا السؤال يتكرر بين الفينة والأخرى حتى لقي الله تعالى، وحقيقة لم يكن بين هذه الرؤيا واستشهاده سوى عدة أسابيع تقريباً.



وبعد أن دفن الشيخ في مقبرة الشهداء في قرية بابي الواقعة على بعد 35 كم من مدينة بيشاور قال لي أحد المجاهدين الأفغان إن أحد أقربائه ممن دفن في المقبرة التي دفن فيها الشيخ، جاءه في المنام وقال له: لقد كنا نعذب في هذه القبور حتى دفن الشيخ عبد الله عزام في هذه المقبرة..

وكنيت قد رأيت الشيخ في المنام، وكان على أحسن صورة، وبنفس اللباس الذي استشهد فيه ودفن فيه.... رأيت أنه حي يرزق على هيئته، فقلت له: من قتلك يا شيخ؟ قال: قبيلة آيل...!! ثم انقطعت الرؤيا باستيقاظي من النوم.. ومن الطبيعي أحياناً أن يحدث الإنسان أهله بما رأى في منامه، فحدثت بها زوجتي، والشيء الملفت في هذه الرؤيا، أن زوجتي رأت الشيخ في الليلة الثانية، فما كان من زوجتي إلا وأن توجهت للشيخ بالسؤال التالي: لقد قلت لأبي عادل أن قبيلة آيل قتلتك، فمن هي هذه القبيلة؟ فرد عليها: لقد قتلتني قبيلة نايل... ألا تعرفون قبيلة نايل العربية؟؟.. ثم انقطعت الرؤيا!!

وفي الحقيقة لم نعلم قبيلة بهذا الاسم أبداً حسب معرفتنا، والرؤى عادةً يستأنس بها ولا يؤخذ منها أحكام..

وفي رؤيا أخرى رأيت يلبس الحطة البيضاء والعقال والدشداشة البيضاء... رأيت يستقبلني على بوابة كبيرة من البوابات القديمة ذات القوس... استقبلني على الباب بحرارة وأدخلني معه، وأجلسني بجواره على فراش أرضي، وكان يفصل بيني وبينه مسند ووسادة، وقد كنت أنظر إليه وهو منشغل بالكتابة.. فقاطعت.. فنظر إليّ، قلت له:



ها أنا أراك حياً ترزق يا شيخ، فلماذا لا ننشر عنك في المجلة أنك حي ترزق؟؟ فنظر إليّ نظرة غضب، فشعرت أن الأمر قد ضايقه ما دعاني للسكوت....

نظرت حولي وإذا نحن بساحة كبيرة محاطة بأربعة جدران عالية جداً قد يصل ارتفاعها إلى أربعة أمتار، ورأيت سلماً على الجهة القبلية، فصعدت على السلم حتى وصلت أعلاه، وإذا به يوصلني إلى مستوى الأرض، فرأيت طريقاً فسرت بها، وإذا بالشيخ يلاقيني من طريق آخر قادماً من البوابة التي دخلت منها، فعانقني وعانقته والدموع تنهال من عينيه وهو يسألني عن والدتي بكنيتها، وهي بالمناسبة أخته التي ربه في صغره، وكنت أطمئنه عنها وعن أحوالها... ثم مشينا قليلاً حتى وصلنا إلى مطعم تحيط به ساحة كبيرة مليئة بالمقاعد، فدخلنا إلى المطعم واشترينا شيئاً بارداً وكان بيدي مائة روبية باكستانية، فأردت أن أدفعها فمعني من ذلك... ثم خرجنا إلى تلك الساحة وتناولنا أطراف الحديث، ثم انقطعت الرؤيا...

وقد ذكرتني هذه الرؤيا بواقعة حقيقية مع الشيخ نفسه، حيث كنت أرافقه في سيارة له عبر رحلة جامعية مع طلاب الجامعة الأردنية باتجاه الأغوار عام 1979م، وقد توقف بسيارته عند إحدى البقالات في الأغوار الأردنية، واشترينا بعض من أصناف الفاكهة... عندها حاولت أن أدفع قيمة ما اشتريناه فمسك بيدي رافضاً ذلك، فقلت له: عليّ الضمان.. سأدفع... فرد عليّ: لا ضمان لمن حلف، وفعلاً أصر على دفع القيمة..

وفي رؤيا أخرى رأيته فيما يرى النائم وهو يعطيني حقيبتين دبلوماسيتين ويشدد عليّ بأن لا أفلتها من يدي، وكان هذا بعد استشهاده مباشرة.



وقد فسرت هذه الرؤيا في حينها أن إحدى الحقيبتين -كما أظن- مؤسسات مكتب الخدمات، والحقيبة الثانية -كما أعتقد- تراثه الفكري والعلمي، وقد حاولت بكل ما أستطيع أنا ومن معي أن نحافظ على مؤسسات المكتب إلا أن المؤامرة علينا جميعاً كانت أكبر منا بكثير، وقد ساعد على نجاح هذه المؤامرة ذاك الرجل الذي استلم هذه المؤسسات⁽¹⁾ بعد استشهاد الشيخ رحمه الله، وذلك لجهله والضحك عليه من قبل المخابرات من حيث يدري أولاً يدري.

وأما الحقيبة الثانية: فهي التراث الفكري والعلمي، فقد تمكنت من انتزاعه من فم التتتين، حيث حاولت جهات كثيرة أخذها للعب بها إلا أنني ومن معي استطعنا -بحمد الله- الحفاظ عليها والانتفاء منها بكل ما يمليه الواجب علينا.

هذه هي خلاصة تأويلي لهذه الرؤيا باختصار شديد.

البحث عن البديل:

وهنا لا بد أن نسجل نقطة مهمة للتاريخ أثناء عملية دفن الشيخ، حيث تقدم إليّ الشيخ عبد المجيد الزنداني وقال لي يا أبا عادل، لا بد من اختيار البديل عن الشيخ حتى نعلنه بعد الدفن مباشرة.

(¹) اسم الرجل الذي استلم مكتب الخدمات بعد استشهاد الشيخ عبد الله عزام هو محمد يوسف عباس (أبو قاسم).



فقلت له: يا شيخ، أنت تعلم أن المصيبة التي نزلت على رؤوسنا قاسية، ونحن الآن لا نستطيع أن نفكر بمنزل هذه المواضيع.

قال: لا، من السنة أن نعلن عن ذلك.

قلت له: إن كنت مصراً على ذلك فأنا أنوب الشيخ عبد الله عزام والشيخ تميم العدناني في غيابهما من الناحية الإدارية، فأنا أختارك لهذا المكان وسنعرض هذا الأمر على مجلس الشورى عندنا في مكتب الخدمات لإقراره، فانتفض الشيخ عبد المجيد وقال: لماذا اخترتني أنا بالذات؟ فقلت له: لأنك عالم من علماء المسلمين، ومعروف لدى العالم الإسلامي وقادة الجهاد، وكذلك أنت ابن حركة إسلامية ومن أكثر العلماء الذين تكررت زيارتهم إلى أرض الجهاد، فضلاً عن أنك من أحباب الشيخ، إلا أنه رفض ذلك وقال: إن عملاً مهماً ينتظرني هناك في أرض اليمن.

وهنا لا بد أن نشير إلى أن الشيخ الزنداني أشار إلى رجل اسمه محمد يوسف عباس كان قد جاء إلى أرض الجهاد قبل استشهاد الشيخ عبد الله عزام بستة أشهر، حيث قال: هناك رجل كبير عندكم وضعه الشيخ في المعسكرات ليقوم بدور التربية فقلت له: يا شيخ هذا رجل جديد ونخشى أن يمزق الإخوة لقلّة تجربته فقال: خلاصة الأمر أنا لا أستطيع..

بعد الاستشارة مع الإخوة اجتمع مجلس الشورى فوجدنا أن هذا الرجل هو أكبر سنناً ويعلم رأسه ولحيته الشيب، فضلاً عن أن بعض الإخوة أشاروا إلى أنهم سمعوا من الشيخ عبد الله أنه قال: إن هذا الرجل نائبه التربوي والشيخ تميم العدناني نائبه الإداري إلا أن وفاة الشيخ تميم قبل استشهاد الشيخ عبد الله بأيام قليلة فاجأنا، وكانت المفاجأة الأكبر



سرعة استشهاد الشيخ عبد الله عزام قبل أن يحدد من ينوبه في عمل المكتب، وكان في نيته أن يكتب وصية جديدة قبل استشهاده بأيام يوضح فيها نائبه وإلى من تؤول مؤسسات مكتب الخدمات، إلا إن المنية عاجلته فلم يبق أمامنا خيار سوى هذا الرجل الكبير.

فمال الجميع لتعيينه بدلاً من الشيخ لعدم وجود البديل بعد أن شهد الأخ الشهيد أبو روضة أنه سمع من الشيخ عبد الله عزام أن هذا الرجل هو نائبه، ثم أعلننا عبر وسائل إعلامنا المتاح لدينا بتسليم القيادة لهذا الرجل الفلسطيني محمد يوسف عباس، إلا أنه لم يمض وقتٌ طويل حتى اصطدم مع الاخوة وبدأ بفصل خيرة الاخوة، الذين رباهم الشيخ، من العمل فتيبين أن الرجل يمتاز بخاصية التمزيق أكثر بكثير من خاصية التجميع..

بعد أن غاب الشيخ عن الساحة، وفشل هذا الرجل في قيادة الشباب المجاهد، كان لا بد من البحث عن بديل آخر كي يكمل من بعده المسيرة، خاصة بعد أن فشلنا في إقناع الشيخ الزنداني في استلام هذه المهمة، لقد فجع الشباب العرب المجاهد بغياب الشيخ ورحيله، وقد عبر عن حالهم أحسن تعبير المهندس حكمتيار عندما قال: لقد مررت بالإخوة العرب في بيشاور ورأيتهم كالأيتام على موائد اللثام...

حقاً، لقد أصبح المجاهدون العرب في تلك البلاد أيتاماً على موائد اللثام، خاصة بعد أن عجز المخلصون ممن كانوا يعيشون حول الشيخ الشهيد أن يجدوا رجلاً كبيراً مخلصاً كبديل يضم هؤلاء المجاهدين تحت جناحيه، رغم المحاولات المتكررة مع أشخاص بأعيانهم إلا أنهم اعتذروا لأسباب غير مقنعة...



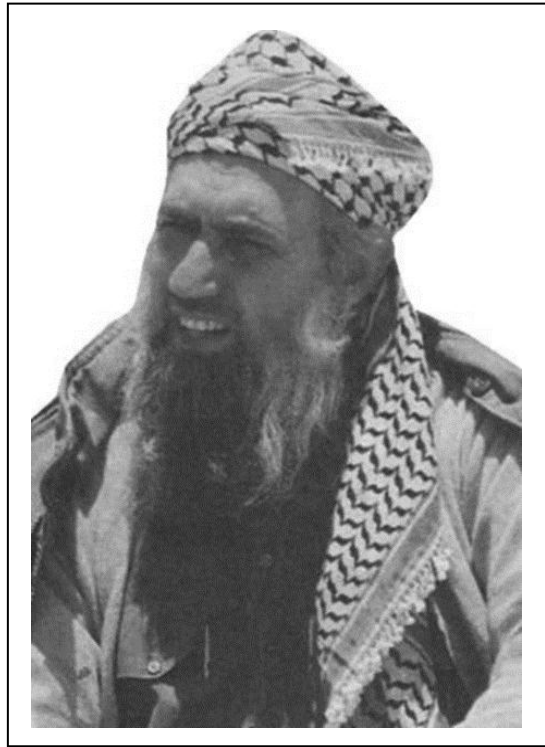
وفي هذا المقام لا بد أن أذكر بأن القائد حكمتيار قال لي عن تبحثون؟ قلت له: عن البديل؟ قال: نحن أعلم منكم بالرجال، والشيخ عبد الله عزام لا يسد مكانه عشرة من الرجال، ثم قال: من أقرب الناس إلى مفاهيم الشيخ عبد الله عزام؟ فأشرنا إليه إلى الدكتور أحمد نوفل.. فكتب رسالة له في حينها وطرت بها إلى عمان، وقلت له: إن الميدان ينتظرك، فاستعد الرجل لذلك، إلا أن ظروفًا أملت به حالت دون وصوله إلى أرض الجهاد..

لم نياس من البحث عن البديل فذهبت إلى الشيخ أبو زنت في عمان وعرضت عليه الأمر فاعتذر وقال: لمن نترك هؤلاء الشباب⁽¹⁾؟ فقلت له: هناك طاقات وكوادر كثيرة تقوم مقامكم في الأردن بل تبقى كلماتكم هنا محصورة بشباب الأردن بينما نجد أن كل كلمة تقال في أرض الجهاد تصل إلى جميع شباب العالم الإسلامي؛ لأن الإعلام العالمي مسلط على تلك المنطقة ينقل كل حدث إلى بقاع الأرض؛ وأخيراً اعتذر الرجل قائلاً: أنا مريض بالروماتزم لا أستطيع القيام بهذا الواجب وأنا على هذه الحالة.

وهكذا بقينا نبحث عن البديل الثاني ولكن دون جدوى، ما أدى إلى وقوع المحذور الذي كنا نحذر منه وما هي إلا سنوات قليلة حتى قام هذا الرجل بتمزيق الإخوة المجاهدين العرب الذين رباهم الشيخ مختتماً بذلك إغلاق مكتب الخدمات ثم شد الأحزمة نحو

السعودية، ورغم الخدمات التي قدمها لهذه البلاد إلا أنهم قاموا بطرده نحو اليمن ولا نعلم أين هو الآن..

(1) المقصود بالشباب هنا الشباب في الأردن.





أحد عشر: منهج الشيخ الفكري.

- ❖ أسلوب الشيخ الخطابي.
- ❖ افتتاحيات خطبه.
- ❖ الكتاب المثير للجدل.
- ❖ صورة عن كلمات الوداع على أرواح الشهداء.
- ❖ النكتة المعبرة حاضرة في محاضرات الشيخ.
- ❖ تخلل منهجه رثاء ودعاء.
- ❖ فكره وعلمه.
- ❖ الأسس التي قامت عليها تربية الجيل الفريد.
- ❖ تراث الشيخ الفكري والعلمي والمراحل التي صدر فيها.
- ❖ أسماء معظم الأشرطة التي سجلت له مع ذكر بعض أرقامها وتواريخها التي فُرغت كتابة داخل تراث الشيخ العلمي والفكري.



أسلوب الشيخ الخطابي:

كنت ممن عايش الشيخ عن كثب، وفهمته كما أعتقد فهماً صحيحاً.. عايشته في مواعظه وتوجيهه وتربيته للجيل.. وعاشته في سفره وحضره، ونومه ويقظته، ورضاه وغضبه، ومعاملته لإخوانه وأحابيه من الفقراء والأغنياء، والعلماء والجهلاء، والصغار والكبار، فوجدته مثلاً حياً بين الأحياء، ورمزاً من الرموز، وقدوة من القدوات، ممن يقتدى بهم بعد أن رأيت سلوكه على الأرض مقتدياً برسول الله ﷺ، وبهدي كتاب الله ﷻ، نحسبه كذلك والله حسيبه...

أقول: عايشته ورافقته وخبرته، فعرفت كيف كانت مسيرة حياته الدعوية، وفي مقدمتها أسلوبه الخطابي، فلم يكن يوماً خطيباً في سنه أصغر منه يعتلي المنابر، ولم أر خطبة يخطبها من فوق المنابر إلا ويخطبها بشكل ارتجالي...

ولقد عهده القوم وهو يمتطي المنابر ابن الثانية عشرة من عمره، فحظي بخبرة جعلته في مقدمة الخطباء اللامعين، وعرفته حافظاً لكتاب الله عن ظهر قلب، فكان زاداً ومعيناً له في إيصال دعوته للجيل بشكل صحيح، وبأسلوب مؤثر وناجح...

أقول هذا: وقد حضرت له خطباً كثيرة، ومواعظ لا تحصى، ومحاضرات لا تعد، وسمعت له عن المنابر فما لأذن، وشاهدته بحركاته ولفاتته وجراته ورباطة جأشه وثباته على الحق يزار وهو يعتلي المنابر كالأسد الهزير، ينافح ويكافح عن أقدم قضايا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، يوم أن كان يجول ويصول في أرض الجهاد، ينتقل من ساحة لساحة يبحث عن الموت مظانة، لا يخشى في الله لومة لائم.



رأيتُه يوم أن وقَّع السادات اتفاقية كامب ديفيد عام 1979م وهو يصعد منبر مسجد عبد الرحمن بن عوف في مدينة صويلح الأردنية، ليعلن عن موقفه وبكل جرأة ليقول: اليوم يوقع السادات الخائن اتفاقية الذل والعار.. اتفاقية الخيانة مع أعداء هذا الدين. لم يكن يخشى في الله لومة لائم من العبيد، فكلمات سيد قطب التي نظمها شعراً من خلف القضبان أصبحت لا تغيب عن أذهان الجيل الذي تربي على معانيها العظيمة، أبناء دعوتنا، كانت وما زالت تعيش بين حنايا الشيخ عبد الله عزام وهو يرددتها قائلاً:

**أخي أنت حر بتلك القيود
فماذا يضيرك كيد العبيد**

**أخي أنت حر وراء السدود
إذا كنت بالله مستعصماً**

حضرت له خطباً وحضرت لغيره الكثير، فكنت أجد في خطبه نكهة، وفي عباراته لذة وطعم، لم أجدها عند الكثير من الخطباء... كان لأسلوبه مذاق يشد فيه انتباه المصلين والحاضرين، فما كنت أرى مصلياً مستمعاً له يشعر بممل أو كلل أو كسل... كنت أحياناً أتفرس في وجوه القوم ممن يستمع إليه فلا أجد إلا نفوساً مشدودة، وقلوباً مفتوحة، وعيوناً محملقة، وأعناقاً مشرئبة، وكأن على رؤوسهم الطير...

كنت أنظر إليه وهو يتحدث عن قضايا هذه الأمة الجريحة وهو يشير إلى هنا وهناك... تلمس من عباراته سخونة، تخرج من قلبه قبل أن تخرج من فمه... تشعر من كلماته وكأنها تعد عداءً، ولكن أثرها وبلاغتها وجمالها الإبداعي في قمة العظمة والتأثير على نفوس سامعيه... بل كنت أشعر وأنا أنظر إلى الكلمات وهي تخرج من فمه، ينتزعها انتزاعاً من أعماقه كما يقطع المعول من الصخرة الصماء...



افتتاحيات خطبه

أما افتتاحيات خطبه فقد اعتاد الشيخ أن يفتتح خطبه بمقدمة معروفة ومشهورة في جميع خطبه على الإطلاق، فكان يبدأ بقوله:

"إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً..

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتن مسلمون) .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ومرسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والآخر حام إن الله كان عليكم رقيباً) .

وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده، بلِّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء...



فيا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، اعلّموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم... وهنا يقرأ الآية التي يقصدها، بما يتناسب مع صلب موضوع الخطبة، ثم يبدأ خطبته، وغالباً ما كانت تستمر خطبته ساعة من الزمان، أو يزيد.

أما محاضراته: فقد كان الشيخ يطيل بمحاضراته، فتصل بعض الأحيان إلى الساعتين والنصف أو الثلاثة، خاصة في اللقاءات العامة أو في المراكز الإسلامية، بينما كانت كلماته مقتضبة في المناسبات الخاصة والاحتفالات وتأيين الشهداء...

لقد شد انتباهي أحد أشرطة الفيديو للشيخ وهو ما يقارب الثلاث ساعات تحت عنوان: لقاء مع مجاهد⁽¹⁾، حيث رد فيه ردوداً حاسمة على أسئلة وشبهات كانت تثار ضد الجهاد والمجاهدين، وفند فيه جميع هذه الشبهات...

وكان من بين الشبهات التي رد عليها في هذا الشريط ما كان يثار حول الكرامات التي حصلت للمجاهدين، والكتاب الذي جمع هذه الكرامات.

الكتاب المثير للجدل:

لا شك أن الكتاب الذي أثار جدلاً واسعاً لدى المثقفين في العالمين العربي والإسلامي هو كتاب "آيات الرحمن في جهاد الأفغان" الذي ألفه الشيخ عبد الله عزام في أوائل الثمانينيات، مما يجعلنا أن نضع بين يدي القارئ توضيحاً أو رداً على بعض الشبهات

(1) أجرى الحوار الدكتور عبد الرحمن العشماوي وكان هذا في مدينة الرياض قبل استشهاد الشيخ بأسابيع، في أواخر عام 1989م.



التي كانت تثار حول هذا الكتاب، أو ما يتعلق بالكرامات بشكل عام كي تتضح الرؤية بشكل واضح ...

بدأ موضوع الكرامات يتبلور في ذهن الشيخ عندما لفت انتباهه بعض الأشياء المثيرة التي تحدثت على أيدي المجاهدين، فرأى أن يسجلها في كتيب صغير حتى يطلع عليها أبناء المسلمين في العالم الإسلامي، وفعلاً ما أن صدر الكتيب حتى كان منهم المصدق ومنهم المكذب لمثل هذه الكرامات، بل اعتبرها البعض ضرباً من الخرافات.. وأمام هذا الجدل المثير كان لا بد للشيخ أن يدلي بدلوه حتى يُجْلِيه ليطمئن الصادقين بصدقهم ويزيل الشكوك من نفوس المتشككين...

ومن هنا كان للشيخ جولة قبل استشهاده بشهرين تقريباً طاف فيها مدن المملكة العربية السعودية، وعبر لقاء صحفي مطول أجراه معه الدكتور الشاعر الكبير عبد الرحمن العشماوي سُجل على شريط فيديو ومدته ثلاث ساعات تحت عنوان: "لقاء مع مجاهد".. استطاع الشيخ أن يجلي معظم الشبهات التي كانت تثار حول الجهاد الأفغاني، وكان من ضمن الأسئلة التي وجهت للشيخ: حول الكرامات التي وردت في كتاب "آيات الرحمن في جهاد الأفغان" ومدى صحتها على أرض الواقع الذي أثار جدلاً واسعاً في أوساط المتعلمين والمتقنين في العالمين العربي والإسلامي ما بين مصدق وما بين متشكك.



كان رد الشيخ على هذه الشبهات عندما قال: جاء بعض الناس إلى الشيخ عبد العزيز بن باز وقالوا له: هذا الكتاب مليء بالخرافات، فرد عليهم الشيخ ابن باز: افتحوا واقروا لي، فقروا له، فقال: هذه ليست خرافة.. وقروا له الثانية.. فقال: أيضاً هذه ليست خرافة.. وقروا له الثالثة: فقال لهم: دعوا الناس يقرؤون آيات الله في الأرض..

ويضيف الشيخ عبد الله عزام قائلاً: لا أريد أن أضرب الأمثلة عمّا سمعته من غيري: لقد أنزلت بنفسي شهيداً عربياً إلى القبر بيدي هاتين بعد (48) ساعة من استشهاده، والدنيا ماطرة وباردة، والله إن حرارة جسده وصلت راحة يديّ هاتين، والميت عادة بارد، والدنيا باردة، فمن أين جاءت هذه الحرارة...؟

هذا الشهيد أنزلته بيديّ إلى القبر وكان يتطوى بين يديّ كما يتطوى النائم، والميت عادة لا يتطوى، فمن أين جاءت هذه الليونة؟؟ .

ويقول الشيخ رحمه الله: ولا ننسى كرامة الدكتور صالح الليبي الذي وصل إلى ولاية بلخ في شمال أفغانستان، وقد أحضر له المجاهدون مجاهداً كان قد أصيب بشظية في العمود الفقري أدى ذلك إلى شلله، قالوا له: أرسلنا هذا المجاهد إلى المستشفى الفرنسي في ولاية بلخ ولم يستطيعوا علاجه، بل نطقوا بكلمة الكفر: لو جاء رب العالمين ما شفاه...!! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً...!!



أقول: جاؤوا به إلى الدكتور صالح ليعالجه، وفعلاً، ببعض الأدوية البسيطة، وقراءة بعض الأدعية، مع النية الصادقة، والثقة بالله تعالى، كان هذا المجاهد بعد شهر يقاتل في أرض المعركة من جديد، فشاع في المنطقة خبر هذه الكرامة وأصبح الناس يرددون: جاءنا ولي صالح اسمه الدكتور صالح..

وأخيراً يقول الشيخ رحمه الله: ولنفرض أن ثلث هذا الكتاب خرافات كما يقولون!! ولنفرض أن نصفه خرافات!! بل ولنفرض أن كله خرافات، أليست هزيمة روسيا داخل أفغانستان أكبر كرامة في التاريخ المعاصر؟؟ وهي التي تعد القوة العظمى وأقوى قوة برية في الأرض...

أليست هزيمتها على يد شعب أعزل، حافي القدمين خاوي البطن، كرامة حقيقية لا مثيل لها في العصر الحديث...؟؟

هكذا كان رد الشيخ على هذه الشبهة التي أثارت هذا الجدل الواسع بين المثقفين حتى قال في النهاية: إن الكرامات التي تنزلت على الأفغان أكثر من الكرامات التي تنزلت على الصحابة والتابعين؛ لأن الكرامة يقصد منها تثبيت الأحياء، والصحابة والتابعون لم يكونوا بحاجة إلى تثبيت.... فكلما ابتعد الناس عن عهد النبوة وعهد الراشدين، تزداد الكرامات التي تحصل على يد بعض الناس لتثبت من بعدهم على الطريق...



والمعجزة والكرامة كلاهما خارق للعادة، ولكن الفرق بينهما، أن المعجزة تأتي على يد نبي، والكرامة تكون عن طريق ولي، فهذا هو الفرق بين المعجزة والكرامة، فالانتصار في أفغانستان كان من الخوارق لكل العادات فيما لو أردنا أن نغض الطرف عما كُتب عن الكرامات في كتاب "آيات الرحمن في جهاد الأفغان"...

وما حرب بني صهيون على غزة المجاهدة عنا ببعيد.. أليس صمود غزة وأهلها أمام الحرب القذرة التي شنتها (إسرائيل) على هؤلاء الضعفاء من أعظم الكرامات؟ خاصة إذا علمنا أن (إسرائيل) هي القوة الرابعة، وأنها أذلت المنطقة بكاملها.. لا نستطيع أن نفسر انتصار غزة وأهلها على إسرائيل إلا بأنها معركة ربانية، وأن يد الله عز وجل كانت في هذه المعركة، أما البشر فكانوا ستاراً لقدر الله (عز وجل)...

لقد صرح الجنود الإسرائيليون في أكثر من موقف، أنهم واجهوا أناساً في غزة لم يواجهوا مثله من قبل.

وقبل أن نغادر هذا العنوان فإنني ألفت الانتباه إلى أن الشيخ عبد الله قطع الطريق على بعض المشككين فيما لو أرادوا أن يشككوا ببعديته.. حيث أحالهم إلى مقدمة كتابه "العقيدة وأثرها في بناء الجيل" وكذلك مقدمة كتاب "آيات الرحمن" ليجدوا توضيحاً لذلك.

وهكذا، نرجو أن نكون قد وضحنا ما نستطيع توضيحه حول ما أثير من جدل حول هذا الكتاب من قبل أحبائنا وأبنائنا جلدتنا.



وأخيراً فإننا نشير إلى قصة الشهيد محمد بشير خضر من غزة - جباليا، الذي خطف الجندي الإسرائيلي وهي قصة معروفة أيام حرب الفرقان، إذ قصفته الطائرات الحربية مع الجندي المختطف، ولم يصدق الناس أنه خطف جندياً إلا بعد أن جاء الشهيد في المنام وقال لأخته إن سلاح الجندي مخبأ بجوار العامود في إحدى زوايا البيت، وفعلاً وجدوا السلاح في المكان الذي أشار إليه الشهيد، وفي مؤتمر صحفي حضره نائب رئيس المجلس التشريعي د. أحمد بحر حيث رفع سلاح الجندي المختطف أمام الناس فكان الموقف مهيباً.

صورة عن كلمات الوداع على أرواح الشهداء:

أما الكلمات التي كان يلقيها على أرواح الشهداء بعد دفنهم، فقد كانت مختصرة جداً، إلا أنها كانت مؤثرة، تبكيه وتبكي الحاضرين.. كنت أرى الدموع الساخنة تهطل على وجنتيه فتخصل بها لحيته وهو يقول: صدقوا الله فصدقهم، ويضيف قائلاً: لولا أن هؤلاء أكثر صدقاً منا ما سبقونا إلى الله، بدليل الآية الكريمة: (ويتخذ منكم شهداء).

كانت كلماته تنطلق من القلب.. فتصيب القلوب بحرارتها.. فتذرف الدموع.. وتهطل هطلاً من مقلتيه.. فلا تجد لها طريقاً سوى لحيته وخديه..

لم يترك الشيخ لحظة من اللحظات، ولا فرصة من الفرص، إلا واستثمرها في الدعوة عبر موعظة أو توجيه أو تربية، وكان يضع نصب عينيه القاعدة المشهورة "لكل مقام مقال" ..



ولا أنسى موقفاً رأيته ذات يوم في بيت العزاء الذي أقيم للشيخ تميم العدناني رحمه الله، الذي كان اليد اليمنى للشيخ عبد الله عزام، تحدث فيه عن مناقب الشيخ تميم العدناني لمدة ثلاث ساعات ودوره في الجهاد، وكم تأثرنا من هذا الموقف، الذي كنا نرغب أن تكون هذه المادة المسجلة والمصورة تحفظ للتاريخ كتراث للأجيال القادمة، ولكن للأسف خرجت صورة دون صوت، ومع هذا؛ قال الشيخ عبد الله عزام عن الشيخ تميم معلقاً على هذا الموقف، يكفي أنه رجل كبير في نفسه .. عظيم في علو همته .. قلبه أبيض .. نظافة قلبه تماماً كنظافة قلب طفل صغير ..

وقد كتب عنه يوم وفاته مقالاً مفتتحاً به نشرة لهيب المعركة الأسبوعية تحت عنوان: "لم أصب بمتلك قط" ورثاه على قبره بكلمة موجزة مودعاً وواصفاً فراقه بجملة قال فيها: وكأنها بترت يميني...

رحل هذا الشيخ الذي كان يمثل صخرة صلبة بجانب الشيخ عبد الله عزام، تحطمت عليها كل من كان يريد النيل منه، أو النفاذ إليه.. كان فعلاً اليد اليمنى أيام الجهاد، وكان يتمنى الشهادة في أرض المعركة مع أعداء الله، إلا أنه لقي الله بسكينة قلبية أو بأمر مشكوك فيه، حيث كان في رحلة علاج في أمريكا ومع هذا، فكأنه يقول للآخرين: لقد شهدت المعارك في أرض الجهاد، وكان الموت محققاً ذات مرة وأنا أقي نفسي تحت شجرة لا أستطيع الحركة لكثرة الصواريخ والقذائف التي كانت تنهال عليّ، فالتجأت إلى كتاب الله وأنهيت الجزء السابع وأغصان الشجرة وأوراقها تنهال عليّ من كل جانب، ولكن الموت والحياة بيد الله تعالى، وأن الجهاد لا يطيل أجلاً ولا ينهي حياة، فلا نامت أعين الجبناء...



هكذا كتب الشيخ عبد الله عزام عن الشهداء، وهكذا كان أسلوبه في الخطب والمحاضرات والمواعظ والمناسبات وبيت العزاء وعلى أرواح الشهداء، فكان إذا تحدث يتحدث بنفَسٍ قوي، وإذا كتب يكتب بقلم سيال، وإذا خطب يشد النفوس، ويأسر القلوب .

إن فترة الثمانينات من القرن الماضي شكلت في حياة المسلمين خط التحول التاريخي للعالم كله، وأن ما كتبه الشيخ وأبناء الحركة الإسلامية صب في مصب هذا التحول نحو صعود الإسلام السياسي لأمة الإسلام .. ولا أنسى ما كانت تحتويه خطب الشيخ الزاخرة بالآيات القرآنية... والمليئة بالأحاديث النبوية الشريفة... والمصحوبة بالشعر الذي كان هائماً فيه، مغرماً بحبه، ويحلو لي في هذا المقام أن أختتم هذا العنوان بواحد من أبيات الشعر على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر، بأن يجعل الحرب مشتتة على أعداء الله ما دام على قيد الحياة حتى ينتصر هذا الدين أو يهلك دونه.

لئن عمرتُ جعلت الحرب والدّةً والسّمهري أخاً والمشرقي أباً

وغالباً ما كان يستشهد ببيت من الشعر ليقول لأبناء الحركة الإسلامية، عليكم أن تخففوا اللوم والانتقاد لقادتكم وإخوانكم العاملين، أو أن تقوموا على الثغرة التي يشغلونها..

أقلّوا عليهم لا أباً لأبيكمـو من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

هكذا كان أسلوب الشيخ الخطابي ... فالإلى رحمة الله يا شيخ المجاهدين العرب، ونرجو الله ﷻ أن يكون حصيلة ما عملته لهذه الأمة زاداً للأجيال القادمة من فكر ومنهج، وأن يكون في ميزان حسناتك يوم القيامة إنه سميع مجيب.



النكته المعبرة حاضرة في محاضرات الشيخ:

كنت أحياناً أنظر إلى وجه الشيخ وهو منهمك في حال هذه الأمة ومصائبها، فأجده وكأن لسان حاله يقول: إنها لمأساة...؟؟!!

وكلما كنت أمعن النظر في وجهه وحركات يديه وعينييه أكثر كانت وكأنها تجيب فتقول: بل إنها لمآسي..؟؟!! وهو نفس المعنى الذي كان يردده الشيخ عن لسان الشاعر:

لو كان سهماً واحداً لاتقيته ولكن واحد وثان وثالث

ولقد صدق المثل العامي المشهور القائل فيمن داهمته الدواهي: من أين نتلقاها....
أنتلقاها من هنا أم من هناك؟؟

والمتتبع لحياة الشيخ، يجد أنه صاحب نكته معبرة حاضرة، يشد بها سامعيه، بل كان الأمر يتعدى ذلك ليجعلها حاضرة في محاضراته، وهو أسلوب ناجح في قتل الملل والكلل وتشويق السامعين وشدهم إليه، خاصة إذا تناسبت النكته مع سياق الحديث...

كنت أصغي للشيخ ذات مرة في إحدى محاضراته، وهو يتحدث عن الهجمة الشرسة التي يشنها أعداء هذا الدين ضد الأولياء الأخفياء الأتقياء من أبناء هذه الأمة، الذين يُتهمون تارة بالأصولية، وتارة أخرى بالتطرف، وتارة ثالثة بالتشدد، فكانت النكته حاضرة ليقرب بها ما يقصده الشيخ إلى أذهان الحاضرين..

ويسوق الشيخ نكته عادةً ليصور حدثاً ما، وليقارنه مع واقعنا.... ففي أحد البلدان أرادت دولة من الدول أن تفرض بعض قوانينها على سكانها، وكان من ضمن هذه القوانين أن الذي يتجاوز إشارة من إشارات المرور الضوئية يدفع قرشاً، والأقرب يدفع



قرشاً، والذي اسمه عودة يدفع قرشاً، وبينما كان رجل من أهل البلدة يتجاوز إحدى الإشارات الضوئية وإذا بشرطي المرور يستوقفه ويطلب منه غرامة تقدر بقرشٍ حسب القانون، فتجادل الرجل مع الشرطي لعدم تمكنه من دفع المبلغ... ادفع... لا أدفع... فاندفع الشرطي بكلمة على رأس الرجل، فطارت كوفيته ، وإذا به أقرع، فقال الشرطي: وأيضاً أقرع؟؟!! ادفع قرشاً آخر، فلم يتمالك الرجل نفسه حتى صاح بأعلى صوته قائلاً: يا حسرتك يا عودة...!! فصاح الشرطي قائلاً: وأيضاً اسمك عودة...؟؟ ادفع قرشاً ثالثاً...!!

وهنا يعلق الشيخ على هذه النكتة فيقول: هكذا حال المسلمين يُلخص بهذه العبارة... يا حسرتك يا عودة... هذا هو حال الذين تصفهم أمريكا بالأصوليين والمتطرفين والمتشددين.. هؤلاء الذين ينعتهم الأعداء بهذه النعوت الثلاثة..

فالأعداء يصفون أبناء الحركة الإسلامية بهذه الصفات الثلاث، التي تعدّ من المصائب في نظر أعداء الله ﷻ، وكل ذلك من أجل تشويههم والتحريض عليهم لملاحقتهم ومطاردتهم وإبذائهم... فهي ليست تهمة واحدة، وإنما ألصقت بهم ثلاثة تهم، وهكذا لسان حالهم يقول: يا حسرتك يا عودة!!!

الرتاء والدعاء في منهج الشيخ :

لم يترك الشيخ شهيداً أو عالماً إلا ورثاه من بعيد أو من فوق قبره، فهذا سعيد حوى رحمته الله يقول فيه:



وهكذا سرت على نفس الطريق الذي شقه أمامك مروان حديد، ضمتكما بلدة أبي الفداء وفي مراتبها طاب الفداء، تلتفتما حولكما فلم تجدا إلا القليل فحملتما الأمانة إذ ناءت بحملها غلب الرجال وأفذاذ القل (القمم) لقد حملت جسدك فوق ما يطيق، لكن:

إذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

ثم يقول فيه : أبا محمد : ماذا نقول فيك ؟ إذ حيثما فقدنا الرجال في ميدان وجدناك، طريقنا باب الدعوة فألفيناك قلعة من قلاعها، وتلمسنا طريق العلم فوجدناك علماً من أعلامه، ومضيئاً على جادة الجهاد فرأيناك صارماً من صوارمها، ونظرنا في ميدان السياسة فلقيناك قلماً من أقلامها، وسلطنا طريق الحسبة - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - فوجدناك معلماً بارزاً من معالمها، هكذا نحسبك ولا نزكي على الله أحداً.

ثم يقول: كم كنت أحب أن أجلس إليك لأستمع الدرر التي تغوص إليها من أعماق الأمهات الغرر، وكم كانت تعجبني آراؤك الفقهية التي كانت تتم عن سعة اطلاع وفقه دقيق عميق (1) .

أما الشيخ عبد الله علوان فقد رثاه وعنون لمقالته (وغاب الصرح الشامخ) يقول فيه: عرفتك من خلال كتبك أبا حانياً ومربياً مرموقاً وعالماً وداعية يشار إليه بالبنان، وقائد جيل متعطش لفهم القرآن.

ورأيتك في الأردن: فاراً بدينك شامخاً بعزتك مستعلياً بإيمانك متوقداً بحماسك وضرام غيرتك مع إخوانك.

(1) مقتطفات من رثاء كتبه الشيخ في القائد الرباني الشيخ سعيد حوى عبر نشرة لهيب المعركة عام 1989م عدد 43 .



وعايشتك في جامعة الملك عبد العزيز أماً كبيراً وصديقاً حبيباً ورفيقاً رؤوفاً كريماً.

وفارقتك: وتوجهت إلى أرض النزال وميدان الأبطال هنا في ذرى الجبال وفي أعماق الغابات والأدغال في أرض أفغانستان التي تخط تاريخ الإسلام بالدماء، وتبني سد الإسلام العظيم أمام الطوفان الأحمر بالجماجم والأشلاء.(1)

فكره وعلمه:

لا أستطيع في هذه العجالة أن أوضح فكر الشيخ بشموليته؛ لأنه في حقيقة الأمر مدرسة جديدة بحد ذاتها من مدارس الإخوان؛ أضافت زخماً قوياً للحركة الإسلامية وبأسلوب جديد، نبتت من أعماق فكر الإخوان، وهي أيضاً فكر متجدد لامتداد فكر الإمام الشهيد حسن البنا، الذي يواكب روح العصر بعد أن أحيا فريضة الجهاد.. تلك الفريضة الغائبة التي كانت في طي النسيان..

قد يظن البعض أن فكر الشيخ قد اقتصر على فريضة الجهاد فحسب.. وهذا لعمرى خطأ فادح في فهم الحقيقة؛ لأنهم لم يدركوا شخصية الشيخ، ولم يفهموا فكره وعلمه، بل لم يطلعوا أصلاً على إنتاجه العلمي والفكري.

ولا أدعي في حقيقة الأمر أنني الوحيد الذي يفهم فكر الشيخ، فللشيخ تلامذته، وهم منتشرون في جميع أنحاء الأرض، إلا أنني قد أتميز عن بعضهم بأن كان لي الشرف أن عشت بجواره سنوات، فضلاً عن أنني قمت بجمع كل ما يتعلق به بكل ما قاله وما كتبه،

(1) مقتطفات من رثاء كتبه الشيخ في العالم الرباني الشيخ عبد الله ناصح علوان عبر مجلة الجهاد عام 1987 عدد 35.



وما قيل فيه وما كُتب عنه، مع بعض الإخوة الذين نذروا أنفسهم لخدمة الأجيال القادمة، وذلك بإخراج هذا التراث إلى حيز الوجود، وقد وضعت في مقدمة ممن اطلع على فكر الشيخ وعلمه، ولا أبالغ إن قلت إنني اطلعت ودققت أكثر من 80% من إنتاجه العلمي والفكري تقريباً.. ولا أريد أن أجتهد من نفسي لتوضيح فكر الشيخ وعلمه وثقافته، وإنما أحببت أن أسوق ما قاله عن نفسه عبر افتتاحية لمجلة الجهاد، حيث قال:

تتلذت عقدياً على شيخ الإسلام ابن تيمية، وفقهياً على الإمام النووي، وفكرياً على سيد قطب، وروحياً على ابن القيم، وما ضبط الحديث الصحيح من السقيم عندي إلا بعد أن تتلذت في الحديث على يد الشيخ الألباني (رحمهم الله تعالى)⁽¹⁾، ومع هذا كله، كان يقول: رغم أنني أخذت الحديث عن الشيخ الألباني إلا أنني لم آخذ منه الفقه، وهذا لا ينقص من قدر الشيخ الألباني، وكان يعتبر الألباني من أكثر الناس معرفة في الحديث الشريف في زمانه، ولا يرى له منافساً في الأرض في هذا الميدان؛ لكنه في الوقت نفسه رد على الشيخ الألباني رداً قوياً بمقالين متتاليين عبر مجلة المجتمع في عام 1979م عندما كتب عن سيد قطب أنه يؤمن بوحدة الوجود، ولمن أراد الإطلاع فما عليه إلا أن يعود إلى كتاب "علاق الفكر الإسلامي" للشيخ عبد الله عزام الذي كتبه عن حياة الشهيد سيد قطب حيث أضفنا المقالين في ثنايا الكتاب المشار إليه أو المجلد الثاني من موسوعة الذخائر العظام.

(¹) إحدى افتتاحيات مجلة الجهاد، التي جمعت في مجلد (في خضم المعركة).



والمنتبع لفكر الشيخ عبد الله عزام وعلمه، يجد أنه نضج نضوجاً كبيراً أواخر حياته إذا ما قيس بفكره أيام كان في الأردن، وقد تميز فكره وتجربته بشكل لا مجال للنقاش فيه، ولا يمكن لأحد أن يدرك مثل هذا الأمر إلا من عاش معه مرحلتين، مرحلة وجوده في الأردن، ومرحلة ما قبل الشهادة، التي قضاها على أرض الجهاد والاستشهاد.

ولهذا فإنك تجد هذا واضحاً بشكل جلي في فتاويه عن الجهاد وتحديه لعلماء المسلمين بأن يفتوا بخلاف ما أفتى به، فلم يجد مخالفاً له، ولم يعارضه عالم من علماء الإسلام إلا ببعض الفتاوى الفرعية وعلى مستوى ضيق جداً.

..فمثلاً كان يرى الشيخ أنه لا استئذان في فروض الأعيان، ولا إذن للوالد ولا لغيره في الجهاد، وله أدلته.

وفي المقابل، كان يرى الشيخ ابن باز أن الجهاد فرض عين، ولكن لا بد من استئذان الوالدين في الخروج للجهاد..، وكان يرى الشيخ عبد الله أن الوالدين لا يمكن أن يسمحوا لولدهم بالذهاب إلى أرض الجهاد حرصاً عليه وخشية من إلحاق الأذى به، أما استئذان الوالدين في نظره فهو في فرض الكفاية، ولا أريد أن أطيل الحديث كثيراً حول فكر الشيخ وعلمه حتى نترك الباحث يعود لفكره وعلمه من خلال موسوعة جُمع فيها كل ما قاله الشيخ وكل ما كتبه، وهي مؤلفة من أربعة مجلدات بلغت ما يقارب الأربعة آلاف صفحة بالحجم الكبير.



وللمزيد من المعرفة عن شخصية الشيخ وفكره وعلمه وحياته، فإنني أحيل الباحث أيضاً إلى كتاب عن حياة الشيخ تحت عنوان: "عبد الله عزام في عيون معاصريه" الذي جُمع فيه كل ما قاله وكتبه العلماء وأمراء الجهاد والخطباء والشعراء والأدباء عن حياة الشيخ، فضلاً عن كتاب دور مكتب الخدمات في خدمة الجهاد الأفغاني، الذي جمع فيه كل أعمال الشيخ الميدانية والمؤسسية على أرض الواقع.. وهو خلاصة جهد الشيخ العملي خلال الفترة التي قضاها على أرض الجهاد والممتدة من أوائل العام 1982م إلى أواخر العام 1989م مع الإشارة إلى أن هناك كتباً أخرى كتبت عن حياة الشيخ للأستاذ أدهم جرار، ولالأستاذ النحوي، وللدكتور أبو مجاهد في كتابه الشهيد عزام بين الميلاد والاستشهاد، ولالأستاذ أبو عبادة الأنصاري في كتابه من مناقب الشهيد عبد الله عزام وغيرها من الكتب الأخرى، وبهذا يكون القارئ بالتأكيد قادراً على الحكم على هذه الشخصية بشكل صحيح ومنضبط، بعد الاطلاع على ما تقدم من المصادر..

الأسس التي قامت عليها تربية الجيل الفريد في نظر الشيخ: (1)

لقد أقام ﷺ تربية هذا الجيل الفذ من البشر على قواعد أهمها في نظري:-

1. قصر التربية على المنهج الرباني وحده.
2. تجريد الدعوة من المنافع الدنيوية والثمار العاجلة.
3. الابتداء بالبناء العقدي للفئة المؤمنة، ثم البناء التشريعي.
4. تمثل التربية منذ اللحظة الأولى في تجمع حركي.

(1) تفاصيل هذه النقاط تجدها أخي القارئ في موسوعة الذخائر العظام للشهيد عبد الله عزام مجلد 3 ص 2.



5. وضوح الرؤية وتميز الهدف دون اختلاط ولا لبس.
6. بناء القاعدة الصلبة التي حملت البناء كله.
7. الإستفادة من جميع الطاقات.
8. وزن الأشخاص بالميزان الرباني؛ بالتقوى.
9. التربية من خلال الأحداث والحركة الواقعية.
10. الجهاد.
11. غرس الثقة بنصر الله في أعماق النفوس.
12. الأسوة الحسنة والقيادة العملية بالتطبيق.
13. الرفق والإشفاق دون العنت والإشفاق.
14. بعد نظر قيادته ﷺ خاصة عبر التنقل من مرحلة إلى مرحلة.
15. تلقي الصحابة رضوان الله عليهم الأوامر للتنفيذ والامتثال.

تراث الشيخ الفكري والعلمي:

كم من الناس الذين التقيتهم ممن يعرفون الشيخ ويحبونه، ولكنهم في حقيقة الأمر لا يعرفون من تراثه العلمي والفكري إلا القليل ظناً من بعضهم أن مؤلفاته تقتصر على بعض الكتيبات القليلة، مثل: "آيات الرحمن في جهاد الأفغان" وغيرها من هذه الكتيبات التي انتشرت بشكل واسع..

ونحن إذ نقول، وبكل أسف، إن مثل هذا التقصير إما أن يكون بسبب تخاذل تلامذته في نشر هذا الفكر وإما أن يكون بسبب المنع من قبل جهات لا ترغب أصلاً في انتشار



هذا التراث ، استكمالاً لملاحقته بعد أن غاب تحت التراب، وهذا بالتأكيد يصب في مصب المرحلة التي لوحق فيها وهو على قيد الحياة، كمنعه من مواصلة مسيرته الجهادية ، ولتوضيح ما يتعلق بتراث الشيخ الفكري والعلمي لا بد من شرحه بالتفصيل:

قبل استشهاده ﷺ بشهر تقريباً، طرأت في ذهني فكرة تقوم على تجميع كل ما قاله وما كتبه، وقد عرضت هذه الفكرة على الشيخ مباشرة، فنصت قليلاً ثم قال: توكل على الله، وفعلاً بدأت على بركة الله، ولكن بخطوات بطيئة، بدأتها بتقريغ بعض الأشرطة التي تمكن الشيخ من تدقيق بعضها وأدخل عليها بعض التعديلات، إلا أن المفاجأة كانت سريعة، حيث اختطفته يد المنون وبشكل لم نكن نتوقعه.. عندها أصبح الأمر ملحاً لتنفيذ هذا المشروع، بل واجب التنفيذ على الفور وبشكل جدي، ولهذا وضعت فيه ثقلي، وقررت أن يكون هذا المشروع من أولى أولوياتي وتحت إشرافي المباشر دون أن تتدخل به أي جهة من الجهات.

ولما لهذا العمل من أهمية، فقد تفرغت له بشكل كامل وقررت مع بعض الإخوة، الذين لم يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة، إنشاء مركز خاص بهذا العمل سميناه مركز الشهيد عزام الإعلامي، وقررنا أن يصدر عنه كل ما يتعلق بالشيخ عبد الله عزام، وبعد توفيق الله تعالى بدأنا بوضع خطة مؤقتة لمشروع تراث الشيخ وعلى هذا سرنا على بركة الله تعالى، ومن خلال مسيرتنا في هذا العمل كنا نقيم خطواتنا بين الفينة والأخرى حتى اتضح لنا هذا المشروع بشكل كامل، وبناءً على ذلك؛ قمنا بوضع خطة شاملة تتضمن خمس مراحل تنفذ على مدى سنوات ثمانٍ متتالية.



أولاً: المرحلة الأولى: أن يصدر خلال هذه المرحلة كتيبات بالحجم الصغير، على أن يصدر كتيب واحد في كل شهر على أقل تقدير.. وقد نجحنا والحمد الله في هذه المرحلة بإصدار الكتب التالية، من خلال تفريغ الأشرطة⁽¹⁾:-

- سلسلة التربية الجهادية والبناء، عددها (27) جزءاً من الحجم الصغير.
- سلسلة في التآمر العالمي، عددها (5) أجزاء من الحجم الصغير.
- سلسلة في الهجرة والإعداد، عددها (3) أجزاء من الحجم الصغير.
- سلسلة في الجهاد فقه واجتهاد، وعددها (3) أجزاء من الحجم الصغير.
- في ظلال سورة التوبة مجلد بحجم (رياض الصالحين) عدد صفحاته ما يقارب (400) صفحة.
- الأسئلة والأجوبة الجهادية، ما يقارب (300) صفحة من الحجم الصغير.
- كتاب "في السيرة عبرة"، أكثر من (100) صفحة.
- كتاب "الطود الشامخ"، وهو يتحدث عن الشيخ تميم العدناني.
- "هدم الخلافة وبنائها".
- "قصص وأحداث".

أما ما خطه الشيخ بيده في المرحلة الأولى:

- "عشاق الحور" بحجم رياض الصالحين، جمع فيه عن حياة أكثر من (250) شهيداً عربياً استشهدوا على أرض الجهاد في أفغانستان.. نشر جميعه عبر مجلة الجهاد بالتواتر وعبر أعداد مختلفة بقلم الشيخ رحمه الله.

(1) عدد الصفحات تقديري وليس حصرياً.



- سلسلة في خضم المعركة، وعددها (4) أجزاء من الحجم الصغير. (افتتاحيات مجلة الجهاد).
- سلسلة كلمات من خط النار الأول، عددها (3) أجزاء من الحجم الصغير، (افتتاحيات نشرة لهيب المعركة الأسبوعية).
- "جهاد شعب مسلم"، أكثر من (100) صفحة من الحجم الصغير .
- "الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان"، أكثر من (100) صفحة.
- "من القلب إلى القلب"... عبارة عن بعض الذكريات التي كتبها الشيخ أيام قواعد الشيوخ في أغوار الأردن، وقد نشرت عبر مجلة الجهاد تحت باب.. (حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد).. وعدد صفحاته أكثر من (100) صفحة من الحجم الصغير، ومادته تتعلق بذكريات الشيخ في قواعد الشيوخ ورسائل موجهة للانتفاضة الفلسطينية .
- "الحق بالقافلة"، عدد صفحاته أكثر من مائة صفحه من الحجم الصغير.
- الإسلام ومستقبل البشرية، عدد صفحاته أكثر من مائة صفحة من الحجم الصغير، ألفه الشيخ أيام الأردن، وقد تنبأ فيه الشيخ بانهيار أوروبا بفرعيها الشرقي والغربي، ولكنه توقع أن يكون انهيار الفرع الشرقي أسرع من الفرع الغربي .



- "العقيدة وأثرها في بناء الجيل"، أكثر من (190) صفحة، ألفه الشيخ أيام الأردن.
- "تهذيب العقيدة الطحاوية"، عبارة عن مادة كان يُدرّسها الشيخ في الجامعة الأردنية وجدت بين أوراقه، حيث طبعت على شكل كتيب ما يقارب (170) صفحة من الحجم الصغير.
- "السرطان الأحمر"، كتاب يتحدث عن خطر الشيوعية الداهم على المناطق الإسلامية، ألفه الشيخ وهو في الأردن، وعدد صفحاته أكثر من (170) صفحة من الحجم الصغير، وقد أحدث هذا الكتاب معركة شديدة بين المسلمين والشيوعيين، والإخوة في الحركة الإسلامية في غزة كانوا فرساناً لهذا الميدان.
- "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، عبارة عن ملزمة وجدناها بين أوراقه وملزمة أخرى (بغير خط يده) تتعلق بنفس الموضوع، إلا أننا لم نضف هذه الملزمة الأخيرة لهذا الكتاب؛ لأننا لم نتأكد منها أنها للشيخ، فخرج الكتاب على هذا الشكل.
- "وصية الشيخ"، عبارة عن وصية قيمة ومؤثرة تأثراً عاطفياً، كتبها عام 1986م وطبعت على شكل كتيب صغير يوم استشهاده مباشرة، وقد كان لها الدور الكبير في نفرة الشباب العربي والمسلم لأرض الجهاد.



- "شهر بين العمالة", عبارة عن كتاب كتبه الشيخ خلال رحلته إلى شمال أفغانستان قاصداً أحمد شاه مسعود أواخر عام 1988م, التي استمرت أكثر من (35) يوماً بهدف توحيد جهود القائد حكمتيار مع جهود القائد مسعود.
- "آيات الرحمن في جهاد الأفغان", كتاب مثير للجدل (في نظر البعض) عن كرامات الشهداء في أفغانستان, وقد أشرنا إليه في الصفحات السابقة, عدد صفحاته أكثر من (180) صفحة من الحجم الصغير.
- "في الجهاد آداب وأحكام", أكثر من مائة صفحة من الحجم الصغير, ومادته تتعلق بفقه الجهاد.
- "الذبائح واللحوم المستوردة", أكثر من (150) صفحة من الحجم الصغير, وهذا الكتاب كتبه على إثر تجواله في العواصم الأوروبية في السبعينيات من القرن الماضي, حيث وجهت له أسئلة كثيرة حول حكم الذبائح واللحوم المستوردة, ما دفعه للكتابة في هذا الموضوع, وقد أعطى الكتاب لأحد الإخوة الذاهبين إلى لبنان لطباعته هناك أواخر عام 1978م, إلا أن الكتاب قُدد لعقد من الزمان دون أن يكون لدى الشيخ نسخة أخرى منه, وبقي الأمر هكذا حتى أواخر الثمانينيات, حيث عثر الشيخ على نسخة منه في رابطة العالم الإسلامي قبل استشهاده بأشهر, وقد دفعه إلينا لطباعته حيث تم طباعته بعد استشهاده.



- "عَمَلِق الفِكر الإسلامِي"، عبارة عن ملزمة وجدناها في أوراق الشِخ في بيته ومحتواها يتعلّق بسيد قطب ومسيرته العلميّة والفكرية، وقد أضفنا إليها موضوعاً نشر في مجلة الجهاد تحت عنوان؛ عشرون عاماً على الشهادة، وموضوعاً آخر نشر في مجلة المجتمع عام 1979-1980م رد فيه الشِخ على الشِخ الألباني الذي أتهم فيه سيد قطب بأنه يؤمن بوحدة الوجود.
- كتاب "المنارة المفقودة"، كتيب يتحدّث فيه عن الخلافة الإسلامية أكثر من مائة صفحة.
- "بشائر النصر"، عبارة عن تجميع لبعض المواضيع، منها خطبة عيد الأضحى، وكذلك موضوع عن ضياء الحق رئيس باكستان تحت عنوان (رحل رجل المرحلة)، وهذا الموضوع له قصه، حيث كتبه الشِخ بخط يده بمناسبة استشهاد ضياء الحق، رئيس دولة الباكستان، ليكون افتتاحية لمجلة الجهاد، إلا أن الإخوة في المجلة اعترضوا على نشره مبشرين ذلك بأن الكتابة عن رئيس دولة في هذا الزمان يُعدّ مدحاً للحكام مما سيثير حساسية أبناء الحركة الإسلامية، وبالتالي يؤثر في مسيرة الشِخ الجهادية ومنهجه الفكري لذلك طُرح الموضوع للتصويت عليه من قبل إدارة المجلة، وتم استبعاده من النشر، وحتى لا يضيع أي شيء مما كتبه الشِخ، فقد قمت وأضفت هذا الموضوع لهذا الكتاب.



• "حماس الجذور التاريخية والميثاق" ⁽¹⁾ , يتحدث عن جذور حماس من عهد عمر بن الخطاب حتى الآن، ومناسبة كتابته، أن بعض شباب اتحاد الطلبة المسلمين الذين يعيشون في باكستان جاؤوا للشيخ وطلبوا منه أن يكتب لهم مقدمة لميثاق حماس، فكتب الشيخ هذا الكتاب خلال سفره إلى السعودية وأرسله إلينا عبر الفاكس، وقد طبع منه خمسة آلاف نسخة، وتم توزيعه مع النشرة الإيسوعية (لهيب المعركة) للعلماء والمحسنين والمراكز الإسلامية في جميع أنحاء العالم، وقد طبع منه خمسة آلاف نسخة أخرى، وأرسلت الكتاب بنفس الطريقة مع نشرة (لهيب المعركة) مرفقة معها رسالة بأن يعطي هذا الكتاب لصديق له حتى تعم الفائدة. وكل ذلك حسب توجيهات الشيخ نفسه.

- "جريمة قتل النفس المسلمة"، كتيب صغير يبين فيه جريمة قتل المسلم بغير حق.
- "عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر"، كتيب يبين فيه بعض كرامات الشهداء.
- "إعلان الجهاد".
- "تحاف العباد بفضائل الجهاد".
- "أذكار الصباح والمساء".

(1) هناك ملاحظتان مهمتان لابد من ذكرهما باعتباري شاهداً على العصر الذي عشتُه بجوار الشيخ

1. أن الكتاب كان اسمه الحقيقي حماس جذورها التاريخية وميثاقها.

2. أن الطبعة الأولى كتب عليها إعداد وليس تأليفاً. فعندما رأى الشيخ تغيير العنوان إلى (حماس الجذور التاريخية والميثاق) وكذلك كتب على الكتاب (إعداد) غضب الشيخ غضباً شديداً على الأخ الذي قام على إخراج الكتاب وقال له : من وذاك بتغيير العنوان ؟ وكيف كتبت على الكتاب إعداد ؟ أليس أنا الذي ألفته ؟ فلم يكن الأخ جواب شافٍ أو مبرر مقنع وإنما كان اجتهداً منه وبالتالي اضطررنا أن نترك العنوان على حاله لعدم تمكننا من استدراك الأمر خاصة بعد أن صدر الكتاب بهذا الاسم، ووزع في أنحاء العالم



- "المأثورات بثوبه الجديد"، عبارة عن تحقيق قام به الشيخ لكتاب المأثورات للشيخ حسن البنا.
- "انحلال الزواج في الفقه والقانون"، (بحث تخرج - حول الطلاق - في جامعة دمشق عام 66).
- "نظرات وأضواء على القومية العربية".
- "الإجراءات والمرافعات في الفقه والقانون".
- "حاضر العالم الإسلامي ج1، ج2، عبارة عن تجميع مسودات كانت بين أوراق الشيخ.
- "خط التحول التاريخي".
- "القواعد الفقهية".

ثانياً: المرحلة الثانية: تتلخص هذه المرحلة بالأمر التالية، وذلك بجمع هذه السلاسل

بمجلدات بحجم رياض الصالحين:-

- تم جمع سلسلة التربية الجهادية والبناء ال(27) في ست مجلدات.
- جمع سلسلة في التآمر العالمي ال(5) أجزاء في مجلد واحد.
- تم جمع سلسلة في الجهاد فقه واجتهاد ال(3) أجزاء في مجلد واحد.
- تم جمع سلسلة في الهجرة والإعداد ال(3) أجزاء في مجلد واحد.
- تم جمع سلسلة في خضم المعركة ال(4) أجزاء في مجلد واحد.
- تم جمع سلسلة كلمات من خط النار الأول ال(3) أجزاء في مجلد واحد.



ثالثاً: المرحلة الثالثة: مرحلة الموسوعة:

تم جمع كل ما كتبه الشيخ وما قاله في موسوعة مؤلفة من أربعة مجلدات بحجم مجلدات "في ظلال القرآن" تحت اسم: موسوعة (الذخائر العظام فيما أثر عن الإمام الهمام الشهيد عبد الله عزام)، وكان على النحو التالي:

المجلد الأول: جمع فيه كل ما كتبه الشيخ بيده، عبر الكتيبات، وصل عدد صفحاته أكثر من ألف صفحة.

المجلد الثاني: جمع فيه كل ما كتبه الشيخ بيده عبر الصحف والمجلات والنشرات من افتتاحيات - نشرة لهيب المعركة - ومقابلات صحفية وغيرها، بلغ عدد صفحاته أكثر من 800 صفحة..

المجلد الثالث: جمع فيه كل ما يتعلق بالتربية الجهادية والبناء (عبارة عن مجموعة المجلدات الست)، بلغ عدد صفحاته ألف ومائتي صفحة، ويحتوي هذا المجلد على الخطب والمحاضرات والندوات والمؤتمرات التي كان يعقدها الشيخ في أماكن مختلفة وهي عبارة عن تقرير أشرطة.

المجلد الرابع: جمعنا فيه كل ما تبقى من كتب الشيخ، التي لا تخضع لعنوان واحد، وقد يصل عدد صفحاته إلى ألف صفحة، عبارة عن تقرير أشرطة سواء كانت خطب جمعة أو محاضرات أو أسئلة وأجوبة جهادية، أو غيرها.

رابعاً: المرحلة الرابعة : مرحلة جمع ما قيل في الشيخ وما كتب عنه، وقد تم في هذه المرحلة إصدار مجلد بحجم الموسوعة، سميناه الشهيد عبد الله عزام في عيون معاصريه، عبارة عن مرحلة من المراحل الخمس، وقد جمع فيها كل ما قيل عن شخصية الشيخ



وحياته وما كتب عنه من قبل العلماء والأدباء والشعراء والخطباء وأمرأء الجهاد وغيرهم، وقد أصدرنا الجزء الأول بالحجم الكبير، وصل تعداداه أكثر من (350) صفحة ثم ضمنا إليه الجزء الثاني، صدرا في مجلد واحد بحجم الموسوعة وصل عدد صفحاته إلى (650) صفحة من الحجم الكبير.

خامساً: المرحلة الخامسة: مرحلة الترجمة..

كان هناك تفكير جدي بترجمة كتب الشيخ إلى لغة أخرى غير اللغة العربية، وقد وقع الاختيار على اللغة الإنجليزية إلا أننا اصطدنا بواقعين:

الواقع الأولي : عدم إيجاد المترجم الذي يتقن اللغتين معاً، فكنا إذا وجدنا من يجيد العربية نجده لا يجيد اللغة الإنجليزية وبالعكس .

الواقع الثاني: إن طباعة الكتب باللغة الإنجليزية تحتاج إلى تصريف ونشر، وهذا الأمر يكلف كثيراً من الناحية المادية خاصة إذا تطلب الأمر ترحيلها إلى الخارج عبر البريد، فكان هذا الوضع من أكبر العوائق التي وقفت أمامنا وحالت دون ترجمة كتب الشيخ باللغة الإنجليزية.

وقد فكرنا ملياً تجاه هذا الموضوع، فاستقر الرأي بعد الاستشارة والاستخارة وتوفيق الله على أن نقوم بترجمة هذه الكتب إلى اللغة الفارسية، وذلك لقلّة التكاليف ولسهولة توزيعها في المنطقة نفسها، وبعد التوكل على الله استطعنا بإذن الله أن نترجم من هذه الكتب إلى اللغة الفارسية ما يقارب 80% من مجمل ما صدر من مؤلفات الشيخ رحمته الله.



هذه خلاصة ما يتعلق بكتب الشيخ رحمه الله، وكنا ولا زلنا نشعر أن يد الله عز وجل كانت تواكب هذا العمل، الذي ليس لنا فيه حول ولا وقوة، ويرجع الأمر كله لله أولاً وأخيراً بعد توفيق الله عز وجل، وذلك لصدق هذا الرجل كما نظن الذي ضحى بدمائه ودماء أبنائه من أجل هذه الأمة ودينها وأرضها وعرضها...

وقبل أن أختتم حديثي عن تراث الشيخ الفكري والعلمي لا بد من الإشارة إلى أن عدد أشرطة الكاسيت التي تخص الشيخ من خطب ومحاضرات وصلت إلى 306 أشرطة تقريباً، استطعنا بحمد الله أن نجعلها من أماكن متعددة، إلا أن هناك أشرطة لم نتمكن من جمعها خاصة في البلدان التي زارها.

أما أشرطة الفيديو، فقد بلغت ما يقرب الخمسين؛ من خطب الجمعة والمحاضرات التي تناولت القضايا التربوية الجهادية وغيرها، وقد كنا نحرص أن نضع خطبة جمعة ومحاضرة على الشريط الواحد.

سادساً: المرحلة السادسة: كان من المقرر أن تكون هناك مرحلة خاصة تقوم على البحث والاستنتاج ودراسة فكر الشيخ عبد الله عزام وتوجيه أبناء الجيل لنيل درجة الماجستير والدكتوراة من هذا التراث الضخم الذي تركه الشيخ، إلا أن الظروف لم تسعفنا حيث عدت إلى فلسطين وألقي القبض عليّ مباشرة وسجنت (12) سنة زوراً وبهتاناً، في الفترة الواقعة ما بين عام 1997 إلى منتصف 2009م، دون تهمة أو قضية أو لائحة اتهام.



وننوه هنا إلى أمر مهم أن جميع ما صدر عن الشيخ عبد الله عزام كان عبر مركز الشهيد عزام الإعلامي⁽¹⁾.

ولا يفوتنا هنا من خلال هذه الفرصة الذهبية إلا أن ندعو العلماء والمنقّفين ومراكز الدراسات وأبناء الحركة الإسلامية أن يعملوا جاهدين على إخراج هذه التجربة العظيمة من بطون هذه المجلدات كي تستفيد منها الأجيال القادمة, إن شاء الله تعالى.

(1) صدر بعض الكتب عن مكتب الخدمات أيام كنا نعمل من خلال مكتب الخدمات ولكن بعد استشهاد الشيخ بفترة وجيزة رأينا من المناسب أن ننشئ مركزاً إعلامياً خاصاً بهذا التراث وذلك نظراً لضخامة هذا العمل.

شيخ الكي عرفت



أسماء معظم الأشرطة التي سجلت له مع ذكر بعض أرقامها وتواريخها، التي فرغت كتابتها داخل تراث الشيخ العلمي والفكري.

م	اسم الشريط	نوعه	تاريخه	رقمه
1	التربية النبوية للجيل الأول.	محاضرة		3
2	آفات تقضي على المجتمعات.	خطبة		10
3	الصدق مع الله.	خطبة		11
4	التقوى والورع.	خطبة		6
5	التضحية والفداء.	خطبة	1984/11/9م	5
6	الصبر عبادة.	خطبة		27
7	الجهاد ماض.	خطبة	1985/3/29م	12
8	حاجتنا إلى الجهاد.	محاضرة	1986/4/6م	27
9	الجهاد والسلطان.	خطبة	1986/7/11م	32
10	الجهاد طريق التوحيد.	محاضرة	1988/2/1م	152
11	مبدأ السيف.	خطبة	1988م	180
12	أثر الحسنه والسئنه.	خطبة	1985/2/21م	7
13	أطب مطعمك.	خطبة	1986/2/22م	17
14	التوكل على الله.	خطبة	1986/4/18م	29
15	الزهد في الدنيا.	درس	1988/2/1م	184
16	الاستعداد الحقيقي.	درس	1988/6/15م	185
17	العملة الصعبة.	خطبة	1988/8/8م	200
18	ضبط النفس.	خطبة	1985/11/8م	16
19	حديث للشباب المسلم.	محاضرة	1984/11/8م	1
20	حفظ اللسان.	خطبة	1985/12/13م	24
21	النفس الأمانة بالسوء.	خطبة	1985/6/20م	31

شيخ الكي عرفت



22	الموازن الربانية.	خطبة	1986/9/5م	34
23	التوكل والإيمان.	خطبة	1986/9/12م	35
24	الحرص على الشرف والمال.	خطبة	1986/9/19م	36
25	بشرى للصابرين.	خطبة		135
26	دروس مع النفس.	محاضرة		111
27	الشيطان على طريق الجهاد.	محاضرة		139
28	رسالة إلى العلماء.	محاضرة		178
29	تعلمت من هذا الجهاد.	خطبة		133
30	الجهاد ومدرسة التوحيد.	محاضرة		151
31	الناس أصناف.	خطبة	1986/9/26م	39
32	الولاء والبراء.			194
33	وصايا للشباب.	كلمة		196
34	بين الحق والباطل.	خطبة		202
35	القيادة الناجحة.	خطبة		213
36	على أضواء التربية.			263
37	الأمل العريض.		1986/8/29م	33
38	التحريض والتثبيط.	خطبة		197
39	التأدب مع الجهاد.			247
40	قواعد حفظ المجتمع الإسلامي.	خطبة	1989/8/25م	269
41	حرب الشائعات.	خطبة		270
42	الغيبة وخطرها في المجتمع.	خطبة	1989/10/13م	275
43	الغرياء.		1985/2/15م	8
44	الصبر على البلاء.		1985م	9



30	1986/6/13م		45	الصبر على الرباط.
153	1988/2/2م		46	الطريق إلى المجتمع الإسلامي.
172			47	الطريق المرسوم.
183			48	الاستعلاء الإيماني.
181			49	ماذا يعني انتمائي للإسلام.
14	1985/9/2م		50	الشجاعة والكرم.
25	1986/2/14م	خطبة جمعة	51	وصية شهيد.
44	1987/4/17م		52	أثر المجاهد العربي في الجهاد الأفغاني.
46	1986/10/18م		53	أبو حامد (مروان ذبيح الله).
94			54	القاعدة الصلبة للجهاد.
113	1987/8/28م		55	الجهاد هو الطريق.
112	1987/8/23م		56	بين مجتمع التوحيد ومجتمع الانحلال.
125	1987/9/22م		57	العقد والبيعة مع الله.
126	1988/9/23م		58	التحمل على الشدائد.
127	1987/9/25م		59	مباهج الصبر.
158	1988/2/4		60	الاستئذان في فروض الأعيان.
182			61	قضية الإيمان والكفر.
123	1987/9/17م		62	نماذج خالدة.
220	1989/1/27م		63	معالم في الطريق.
128	1986/4/6م		64	ولاية الكافرين (زاد المجاهد سابقاً).
269		محاضرة	65	الأثر الحضاري للجهاد (1).
297		محاضرة	66	الأثر الحضاري للجهاد (2).
214	1988/12/8م	خطبة	67	الحاكمية المطلقة لله (إن الحكم إلا لله).



250	1989/4/7م	خطبة	شهر الصيام والقيام.	68
147			الجهاد وأثره في بناء الجبل.	69
293			الرابطة الإيمانية.	70
1	1984/11/8م	محاضرة	حديث للشباب المسلم.	71
159	1988/2/4م		الدعوة الإسلامية وكفاحها.	72
314		خطبة	ولكن حمزة لا يواكي له.	73
	1989-2-7م	محاضرة	معجزة القرون الثلاثة.	74
	1989-2-2م	محاضرة	المؤامرة العالمية على الجهاد.	75
109		محاضرة	محاضرة في ألمانيا (1).	76
	1989م	محاضرة	خط التحول التاريخي.	77
	1989م	محاضرة شريط فيديو الكويت	تحقيق العبودية	78
	1989م	محاضرة شريط فيديو الكويت	من كابل إلى القدس (1).	79
	1989م	محاضرة شريط فيديو الكويت	من كابل إلى القدس (2).	80
		محاضرة	انهيار الحضارة الغربية.	81
		محاضرة	الجهاد الأفغاني.	82
		كلمة	كلمة تأبينية على روح الشهيد عابد	83
		محاضرة	تاريخ الحركة الإسلامية.	84
	شريط فيديو	محاضرة	انتصار الحق.	85
		محاضرة	العمل والإخلاص.	86
			أثر النماذج الحية على النفس البشرية.	87
			فضل الجهاد الأفغاني في إحياء الأمة.	88
		شريط فيديو	الجهاد فرض عين.	89
	1984م		أفغانستان اليوم.	90



91	يا قادة الجهاد اتحدوا.	كلمة	1984م
92	صرخة من القلب.	كلمة	1984م
93	نصائح إلى الشباب المسلم.	كلمة	1989-10-11م
94	دورنا في الجهاد الأفغاني.		
95	لقاء مع أبناء اليمن (1).	محاضرة	
96	لقاء مع أبناء اليمن (2).	محاضرة	
97	حفل مؤسسة المدينة المنورة للأيتام في بيشاور.	كلمة	1987-1-19م
98	اتقوا الله حق تقاته.	خطبة	329
99	إنجنير بشير.	كلمة	131
100	صورة مشرفة للجهاد (1).	محاضرة	311
101	صورة مشرفة للجهاد (2).	محاضرة	312
102	مقومات الوحدة الإسلامية (أ).	محاضرة	326
103	مقومات الوحدة الإسلامية (ب).	محاضرة	326
104	نظرات في التربية الحركية.	محاضرة	236
105	الجماعات الإسلامية ووجهة الصراع (أ).	محاضرة	242
106	الجماعات الإسلامية ووجهة الصراع	محاضرة	243
107	الحركة المظلومة.	محاضرة	238
108	حفل افتتاح المركز الإسلامي في	كلمة	1986م
109	دعم الجهاد الأفغاني إنقاذ البشرية.		265
110	في مسجد أبي بكر (أ).	محاضرة	253
111	في مسجد أبي بكر (ب).	محاضرة	254
112	صمام الأمان.	خطبة	224



113	التربية والجهاد.		14-12-1984م
114	صلة العبد بربه.		321
115	الضجة الإعلامية.		177
116	بعد الزيارة الأولى لبنجشير.		205م1988
117	غرباء في عالم السياسة.		276
118	الجهاد المظلوم إعلامياً.		277
119	كرامات المجاهدين.		45 1987-4-19
120	مؤتمر الطلبة في بريطانيا.	محاضرة شريط فيديو	249
121	كلمة الشيخ عبد الله عزام في لاهور.	كلمة	1989م
122	كلمة للعلماء.	كلمة	40م1986-10-18
123	رحلة الشمال.	كلمة	1989م
124	مسيرة الدماء.	محاضرة	
125	ميزان الله وميزان الناس.	خطبة	13-9-1985م
126	أمسية فلسطين.	محاضرة	
127	خطر القومية على الجهاد الأفغاني.		310م1989-11-21
128	ملاحم تلوح في الأفق.		
129	عمالاً بأمر الخارج.	محاضرة	248
130	التجربة التاريخية الرائدة.	خطبة	219
131	الدعوة الإسلامية وبشائر الغد (1).	محاضرة	315
132	الدعوة الإسلامية وبشائر الغد (2).	محاضرة	316
133	اليهود بين أفغانستان وفلسطين.		245
134	بداية الحركة الإسلامية الأفغانية.		201
135	نريد دولة الإسلام.		209
136	توجيهات جهادية.		150

225		محاضرة	طبيعة العمل لهذا الدين (1).	137
226		محاضرة	طبيعة العمل لهذا الدين (2).	138
227		محاضرة	طبيعة العمل لهذا الدين (3).	139
146			الأفغان والتوحيد.	140
105			صور من حياة الأبطال.	141
216		خطبة	المستقبل لهذا الدين.	142
308			تعريف بالجهاد الأفغاني.	143
289			الجهاد الأفغاني إلى أين.	144
130			الصدق والتقوى.	145
115	1987-10-13م		نصائح جهادية.	146
264	1987-9-9م	خطبة	فتح الفتوح.	147
93			يوم الشهداء.	148
171			الشهداء.	149
143			مشاهد من الجهاد.	150
228			نفحات من الجهاد.	151
132	1987-10-14م		من ثمرات الجهاد.	152
136	1987-11-9م		أسئلة عن الكرامات.	153
20			الأفغان والسلفية.	154
100		كلمة	الشهيد سبع الليل اليمني.	155
268			عبر من الأيام.	156
175			نقطة الانطلاق.	157
233			الإيمان يربي الأبطال.	158

129		محاضرة	محاضرة عن زينب الغزالي.	159
199			تاريخ الشيوعية الأسود.	160
261			تبعات الجهاد.	161
258	15-5-1989م	محاضرة	ودار الزمان دورته (1).	162
259		محاضرة	ودار الزمان دورته (2).	163
287		محاضرة	أضواء على القضية الأفغانية (1).	164
288		محاضرة	أضواء على القضية الأفغانية (2).	165
335			الشباب والتضحية.	166
161			لماذا أفغانستان؟.	167
255		محاضرة	هذا الجهاد وهذه آثاره (1).	168
256		محاضرة	هذا الجهاد وهذه آثاره (2).	169



كلمات مضيئة للشيخ الشهيد عبد الله عزام

- ✽... لقد ملك حب الجهاد عليّ حياتي ونفسي ومشاعري وقلبي وأحاسيسي.
- ✽... والآن نحن نصارح اليهود وأذنابهم، والأمريكان وأشياعهم، على أنه: لن يهدأ لنا بال ولن يقر لنا قرار حتى نعود للجهاد في فلسطين.
- ✽.. ما رأيت قضية تاجر بها التجار، وريح فيها الفجار، وظلم بها أصحابها الحقيقيون، مثل فلسطين.
- ✽.. لن يهدأ لنا بال، ولن يقر لنا قرار، حتى نعود للجهاد في فلسطين، ولقد آلينا على أنفسنا ألا نتراجع عن هذا الطريق الرياني الواصل بين كابل والقدس.
- ✽.. لقد أيقن أبناء الإسلام في فلسطين أن طريق الحياة هو اختيار الموت.
- ✽... لا بد لأبناء فلسطين أن يجعلوا قضية تحرير المسجد الأقصى نصب أعينهم، وأن يحولوا العواطف والمشاعر إلى سلوك وأخلاق يراها كل ناظر.
- ✽... لقد أدينا فريضة عبادة الجهاد في فلسطين، ثم حيل بيننا وبين أداء هذه العبادة، فبدأنا نبحث عن مكان نعبد الله فيه - عبادة الجهاد - فوجدنا أرض أفغانستان.



✽... إن فرائص أعداء الله عامة واليهود خاصة لترتعد هلعاً كلما رأوا هذا الجهاد يقترب من النصر النهائي.

✽... إن الأبطال الحقيقيين هم الذين يخطون بدمائهم تاريخ أممهم, ويبنون بأجسادهم أمجاد عزتها الشامخة ويشيدون بجماعهم حصونها المنيع.

✽... لقد رأيت أن أخطر داء يودي بحياة الأمم هو داء الترف الذي يقتل النخوة ويقضي على الرجولة ويخمد الغيرة ويكبت المروءة.

✽... لقد عودتنا التجارب أن نرى التكاليف العالمي على كل قضية إسلامية تقترب من النصر, أو على كل داعية أصبح شامة في جبين الدهر.

✽... رأيت كيف تحمي الأمم وتنفذ الشعوب بفرد فذ من أبنائها.

✽... إن مقادير الرجال تبرز في ميادين النزال, لا في منابر الأقوال.

✽... أدركت من الجهاد أن التربية ضرورة ماسة قبل حمل السلاح, وإلا فإن الذين يحملون السلاح دون تربية, يصبحون كالعصابات المسلحة تؤرق أجفان الناس وتهدد أمنهم وتروعهم ليل نهار.



*... إن الذين يظنون أن دين الله يمكن أن ينتصر بدون جهاد وقتال ودماء وأشلاء هؤلاء
واهمون لا يدركون طبيعة هذا الدين.

*... إن القيادة لا بد أن تسلم للمخلصين الصادقين، فهؤلاء هم صمام الأمان لصيانة أرواح
الناس وأعراضهم وأموالهم.

*... إن الدعوات تحسب دائماً في حسابها أن الجيل الأول، الذين يبلغون .. هؤلاء يكبرون
عليهم أربعاً في عداد الشهداء ...

*... إن الجيل الأول كله إنما يذهب وقوداً للتبليغ، وزاداً لإيصال الكلمات التي لا تحيا إلا
بالقلوب وبالدماء.

*... إن كلماتنا ستبقى ميتة أعراساً من الشموع، جامدة لا حراك فيها، حتى إذا ما متنا من
أجلها انتفضت حية وعاشت بين الأحياء ...

كل كلمة عاشت كانت قد اقتاتت قلب إنسان حي، فعاشت بين الأحياء، والأحياء لا
يتبنون الأموات.

*... يظنون أن المبادئ لعبة أو لهو أو متاع يبلغها إنسان بخطبة منمقة مرصعة بالألفاظ
الجميلة أو يُكتب كتاباً يُطبع في المطابع ويوضع في المكتبات ... لم يكن هذا أبداً طريق
أصحاب الدعوات !!...



*... لا بد من تربية النماذج الصلبة التي تستعصي على الأعداء، ولا تقبل البيع أو الشراء، ولا بد من تربية الأفراد الذين لا يقبلون الذوبان في حوامض المجتمع الجاهلي.

*... قليل هم الذين يحملون هذه المبادئ، وقليل من هذا القليل الذين ينفرون من الدنيا لأجل تبليغ هذه المبادئ، وقليل من هذه الصفوة الذين يقدمون دماءهم وأرواحهم من أجل هذه المبادئ والقيم، فهم قليل من قليل من قليل.. ولا يمكن أن يوصل إلى المجد إلا عبر هذا الطريق، وهذا الطريق وحده ...

*... بمثل هؤلاء (الشهداء) تقام الأمم وتحيا المبادئ وتنتصر العقائد.. إن التاريخ لا يسجل بمداذه إلا بدماء هؤلاء .. إلا بقصص هؤلاء .. إلا بأمثال هؤلاء ..

*... لا بد لأبناء الحركة الإسلامية العالمية أن يقفوا طويلاً أمام هذا المعين الشر الذي فجرته الدماء والأحداث فوق أرض أفغانستان ينهلوا منه؛ لأن الدعوة الإسلامية في أفغانستان أعطت المصطلحات الحركية أعماقاً وأبعاداً ...

*... إنما تحيا الأمم بعقائدها وأفكارها، وتموت بشهواتها ولذاتها، وبقدر ما ينتشر في الأمة من مبادئ خيرة وعقائد صحيحة، بقدر ما تضرب بجذورها في أعماق الأرض، وترسل مجموعة سيقانها وأوراقها يانعة تستظل بها البشرية من لفح الحياة وسعيرها المادي ومن لظى الحقد والحسد والتنافس على المتاع الحقيق والعرض القريب.



*...يا دعاة الإسلام: احرصوا على الموت توهب لكم الحياة، ولا تغرنكم الأمانى ولا يغرنكم بالله الغرور، وإياكم أن تخذعوا أنفسكم بكتب تقرأونها وبنوافل تزاولونها ولا يحملنكم الانشغال بالأمور المريحة عن الأمور العظيمة: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ (سُلَاطَانُ)

*...يا علماء الإسلام: تقدموا لقيادة الجيل الراجع إلى ربه .. وإياكم وموائد الطواغيت فإنها تظلم القلوب وتميت الأفتدة، وتحجزكم عن الجيل، وتحول بين قلوبهم وبينكم.

*...سيروا على بركة الله وقولوا: إن كان الإعداد إرهاباً فنحن إرهابيون، وإن كان الدفاع عن الأعراض تطرفاً فنحن متطرفون، وإن كان الجهاد ضد الأعداء أصولية فنحن أصوليون.

*...عونك اللهم: فإن الحمل ثقيل، والأمانة غالية، والمؤامرة كبيرة، والزاد قليل، والكاهل قليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

*...يا أيها المسلمون: لقد طال رقادكم واستتسر البغاة في أرضكم، وما أجمل أبيات الشاعر:



فأين زمجرة الأسود
ونحن في ذل العبيد
وليس من زرد الحديد
متى نثور على القيود

طال المنام على الهوان
واستسرت عصب البغاة
قيد العبيد من الخنوع
فمتى نثور على القيود

وبهذا نكون قد انتهينا من تناول جزء بسيط من بعض الجوانب التي يمكن أن تقتنص
من حياة هذه الشخصية الإسلامية الحركية القيادية الدعوية الجهادية العالمية

سبحانك اللهم وبحمدك

نشهد أن لا إله إلا أنت

نستغفرك ونتوب إليك



الخاتمة

وهكذا نكون قد نقلنا جزءاً بسيطاً من حياة العالم الرياني الشهيد عبد الله عزام، الذي نذر نفسه وما يملك لله رب العالمين، خاصة وقد كان دائماً يتمنى أن تكون الخاتمة شهادة في سبيل الله.

ونحن نؤكد هنا في هذه الخاتمة على ضرورة الاهتمام بتجربته واستخراجها من بطون تراثه الذي جمعناه كلمة كلمة كي تنتقل إلى الأجيال القادمة.

لقد حاول معي كثير من الإخوة كي أقدم الدكتوراة في الجامعات الباكستانية أيام كنا منشغلين بجمع هذا التراث، إلا أنني كنت أكّد لهم أن هذا العمل الذي بين يدي أفضل عندي من مائة دكتوراة، لأن الدكتوراة هي فائدة شخصية لي، بينما منهج الشيخ وفكره سيكونان زاداً للأجيال القادمة إن شاء الله.

ومن هنا آثرت أن استكمّله بالسرعة الممكنة ونشره في ربوع العالمين قبل أن توضع العقبات أمامه، بل قبل أن يلاحق منهجه وفكره ومحبوه.

والحمد لله تم جمعه ونشر معظمه في معظم البلدان العربية والإسلامية والأجنبية بعد أن أخذ من أعصابنا وجهدنا الشيء الكثير، فجزى الله خيراً كل من ساهم في هذا العمل خير الجزاء.



ونحن هنا إذ نؤكد بأن ما صدر عن الشيخ لم يكن بفضلنا، وإنما هو بفضل الله أولاً وأخيراً، ونحن نستشعر بأن معية الله كانت مع هذا العمل، ولعل ذلك لصدق صاحبه كما نظن والله أعلم.

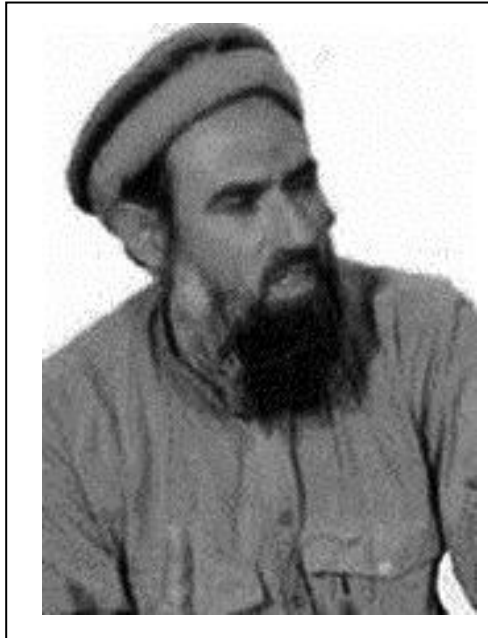
نكرر دعوتنا إلى العمل على هذا التراث واستخراج الكنوز المنثورة بداخله، وهذه مهمة المفكرين والعلماء والمتقنين وأبناء الحركة ومراكز الدراسات لعلها تفيد الأجيال القادمة، إن شاء الله.

المؤلف

محمود سعيد عزام "أبو عادل"

غزة - فلسطين

1432هـ - 2011م

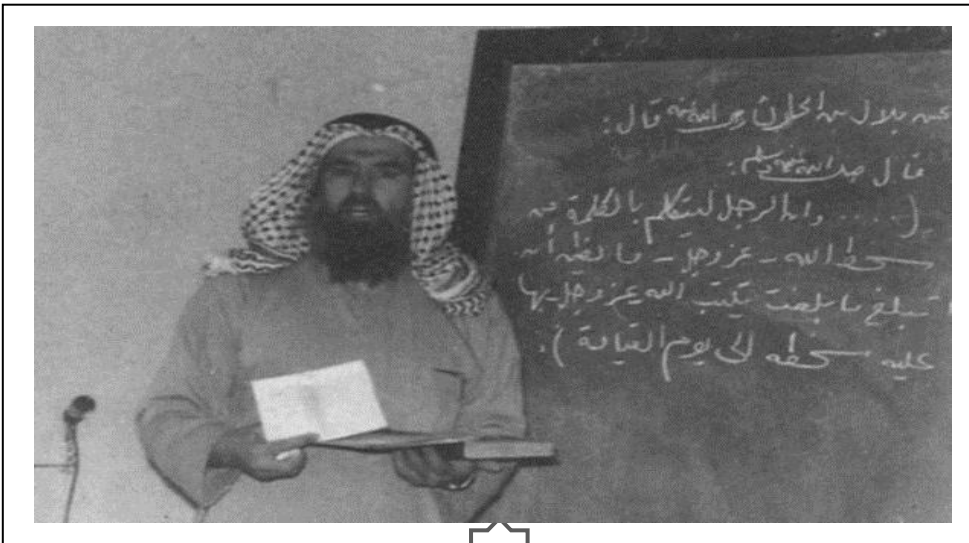


مشاهد مصورة من حياة الشيخ
المجاهد الشهيد
د. عبد الله عزام

شيخ الكي عرفت



الشيخ عبد الله عزام بين ثلوج جاجي في أفغانستان



الشيخ عبد الله عزام في إحدى جلسات التدريس



الشيخ الزيداني في حديث خاص مع الشيخ عبد الله عزام



الشيخ يجري لقاءً صحفياً مع القائد نجم الدين لحساب مجلة الجهاد

شيخ الكيعرفت



الشهيدان عبد الله عزام وتميم العدناني رحمهما الله مع سيف



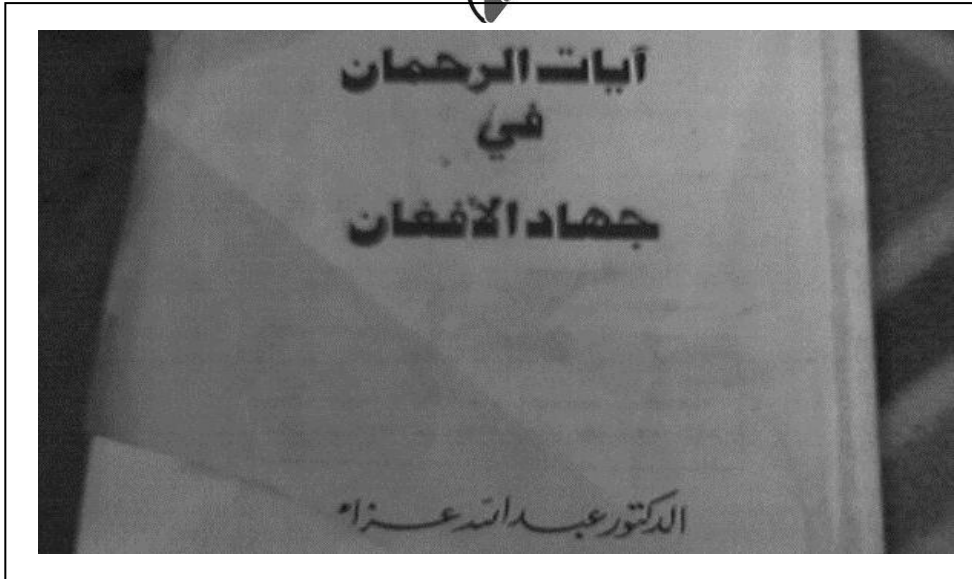
الشيخ عبد الله عزام مع أبنائه



الشيخ عبد الله عزام يمتطي فرسه في الميدان



الشيخ عبد الله في صورة جماعية مع المجاهدين



من مؤلفات الشيخ عبد الله عزام



لحظات الشهادة للشيخ عبد الله عزام



هذا الكتاب

.. عصاره فكر، ومسيرة دم، وتجربة رائدة لرجل جاء على قدر عبر فترة من الزمن، أحيا فيها فريضة غابت عن دنيا المسلمين.

.. نموذج فذ، جاء في وقت؛ كان الشباب بأمس الحاجة لأمثاله، يشق لهم الطريق نحو العزة والمجد والسؤدد.

.. قائد ميداني خاض القتل والقتال معاً، وعالم رباني قرن القول بالفعل.. رسم من خلال مسيرته الطريق لعشاق الشهادة وصناع التاريخ.

.. رجل مرحلة، تنبأ فيها بسقوط الشيوعية والإلحاد في الأرض، وقال عنها ذات يوم: إن الأحداث التي تجري فوق جبال الهندوكوش ستكون بداية لخط التحول التاريخي للعالم كله، وصعود الإسلام نحو سدة الحكم من جديد.

.. رجل حركة، رسم الخطوط العريضة لأحداث فجرتها الدماء وأعطى المصطلحات الحركية أعماقاً وأبعاداً.

.. محطات عصيبة، وفترات مخاضٍ حقيقية عشناها جنباً إلى جنب مع من صنع تاريخاً جديداً بدمه، لتحيا الأجيال عزيزة كريمة من بعده، مؤهلة -إن شاء الله- لقيادة البشرية نحو دولة إسلامية رغم أنف الحاقدين...

.. قائد ميداني.. وعالم رباني.. ورجل مرحلة.. وابن حركة.. شكلت بمجموعها نموذجاً حياً صب جهوده في محطات مؤلمة متتالية، وفترات مخاض متعاقبة، شهدتها أحداث القرن العشرين ليصنع بدمه -جنباً إلى جنب مع أبناء حركته- عهداً جديداً، وتاريخاً مضيئاً لدينه وأمته.



رقم الصفحة	الموضوع	م
1	الإهداء	1
2	المقدمة	2
4	تقديم.. أما قبل	2
أولاً: حياة الشهيد ما بين ميلاده وزواجه.		
15	مولده ونشأته.	1
15	دراسته الجامعية.	2
15	تربيته وانتسابه للحركة الإسلامية.	3
16	مواقف مع أخته في صغره.	4
18	مواقف مع والدته.	5
21	موقف آخر مع والدته.	6
22	موقف واحد فقط يدل على بساطة والديه.	7
23	زواجه وأولاده.	8
ثانياً : ما بين انتقاله إلى الأردن وفصله من الجامعة الأردنية.		
27	انتقاله إلى الأردن.	1
27	الشيخ في عمان 1967م والقرار الحاسم.	2
28	قواعد الشيوخ.	3
29	موقفين في القواعد.	4
30	الماجستير أثناء القواعد.	5
31	الدكتوراة من الأزهر الشريف.	6
32	فصله من الجامعة الأردنية.	8
33	وفد من الحكومة وآخر من الحركة.	9
ثالثاً: ما بعد عمان حتى أرض الأفغان.		
36	الشيخ نحو السعودية.	1

شيخ الذي عرفته



36	مع الأستاذ السناني.	2
37	السناني إلى مصر.	3
38	الشيخ يرثي الأستاذ كمال السناني بعد إعدامه من قبل السادات.	4
39	الشيخ نحو الأفغان.	5
40	عودته من باكستان بعد الجولة الاستطلاعية والعكس.	6
41	إنشاء مكتب الخدمات.	7
49	الشيخ جسراً بين العرب والأفغان.	8
56	عرف قدره فوقف عنده.	9
57	مكانة العربي لدى الأفغان.	10
59	الوضع عام 1986م.	11
59	ملاحظته من قبل الحكومة الباكستانية.	12
61	زينب الغزالي في باكستان في أواخر عام 1986م.	13
62	اشتداد الضغوط.	14
65	الهجوم الإعلامي الغربي على الشيخ.	15
رابعاً: مناقب الشيخ فوق أرض الجهاد وقصص لا تنسى.		
70	طرف من سلوك الشيخ.	1
74	طرف من سلوكه بين الناس.	2
75	طرف من حياته المعيشية.	3
77	طرف من الهيئة الظاهرية للشيخ أثناء تحركه.	4
79	نموذج من القصص في التعامل مع غيره .	5
83	صلب المكسر لكن ليس لين المعصر.	6
86	كلمة تقابل الملايين.	7
87	ذكريات لا تنسى فوق أرض الجهاد.	8
94	نموذج من الإصلاح الذي كان يقوم به الشيخ أواخر عام 1988-1989م بين قادة الجهاد.	9
102	دروس وعبر أخرى من خلال الدعوة الإسلامية الأفغانية.	10



خامساً: رؤى الشيخ في الدول القائمة في الوقت الحاضر.		
110	رؤية الشيخ نحو الدول العربية والإسلامية.	1
111	رؤيته حول قدرة أبناء الحركة الإسلامية على قيام الدولة.	2
111	رؤيته نحو أمريكا.	3
115	رؤيته في بريطانيا.	4
115	رؤيته بالنسبة لفرنسا.	5
115	رؤيته في أوروبا الشرقية والغربية.	6
116	رؤيته نحو الرعب العالمي من الجهاد في سبيل الله.	7
119	رؤيته في الحركات الإسلامية وتجربة بعضها على الساحة الإسلامية .	8
120	مدرسة جهادية ورؤيته في إقامة الدولة الإسلامية.	9
128	رؤيته في عقدة المخابرات.	10
129	رؤيته في العوائق التي تقف أمام المجاهدين.	11
سادساً: جولات الشيخ عبد الله عزام.		
135	الشيخ وجولاته في العالم.	1
136	رحلته إلى الكويت.	2
137	مؤتمر لاهور.	3
139	كلمة للتاريخ .. صرخة من القلب.	4
141	رسائل متنوعة.	5
سابعاً: حياة الشيخ الإخوانية.		
145	الإخوان والشيخ.	1
147	دفاعه عن العلماء والحركة.	2
152	موقفه يوم إعدام سيد قطب.	3
156	دفاعه عن منهج الإمام حسن البنا.	4



ثامناً: علاقة الشيخ عبد الله عزام بالأخ أسامة بن لادن.		
160	المرحلة الأولى: مرحلة التعارف.	1
160	المرحلة الثانية: مرحلة الاحتضان والتربية والشراسة الجهادية في أفغانستان.	2
161	المرحلة الثالثة: مرحلة الاستقلالية في دعمه وعلمه الجهادي مع الشيخ.	3
164	المرحلة الرابعة: مرحلة ما بعد الشيخ، وهي مرحلة التباين الفكري واستقلال الأخ أسامة أسلوباً وعلماً.	4
166	قضية مهمة لا بد أن ننبه إليها.	5
تاسعاً: حياة الشيخ تجاه فلسطين.		
170	الشيخ وفلسطين.	1
174	استشعار الشيخ بالظلم وقراره بالهجرة من الأرض التي حرم فيها الجهاد.	2
178	التحدي الكبير ومصارحة اليهود وأذنبهم والأمريكان وأشياعهم.	3
181	شعار الشيخ لأبناء فلسطين (ليس من متاع جديد في عالم جديد).	4
183	ثقل قضايا المسلمين في حياة الشيخ.	5
187	إرهاصات جهاد الانتفاضة.	6
187	حركة حماس برزت بشكل منظم.	7
188	حماس في نظر الشيخ.	8
189	الشيخ في نظر حماس	9
192	وصايا ونصائح لأبناء حماس	10
193	الحق التاريخي البشري للمسلمين في فلسطين	11
عاشراً: رحلة الشهادة.		
199	عشقه للشهادة.	1
202	من هم الشهداء في نظر الشيخ.	2
204	ما قبل الشهادة بأسابيع.. محاولة فاشلة لاغتياله.	3
205	ما قبل الشهادة بأيام.	4
208	لحظات الشهادة.	5
209	ما بعد الشهادة مباشرة.	6



210	موقف قادة الجهاد	7
211	الشهيد في نظر الشيخ د. يوسف القرضاوي	8
212	برقية بنازير بوتو رئيسة وزراء باكستان في حينها.	9
214	رد فعل الإعلام العربي الرسمي على استشهاد الشيخ.	10
214	ملف اغتيال الشيخ.	11
215	رؤى في الشيخ بعد الشهادة وقبلها.	12
218	البحث عن البديل.	13
حادي عشر: منهج الشيخ الفكري.		
224	أسلوب الشيخ الخطابي.	1
226	افتتاحيات خطبه.	2
227	الكتاب المثير للجدل.	3
232	صورة عن كلمات الوداع على أرواح الشهداء.	4
235	النكتة المعبرة الحاضرة في محاضراته.	5
236	الثناء والدعاء في منهج الشيخ	6
238	فكره وعلمه.	7
241	الأسس التي قامت عليها تربية الجيل الفريد.	8
242	تراث الشيخ الفكري والعلمي والمراحل التي صدر فيها.	9
255	أسماء معظم الأشرطة التي سجلت له مع ذكر بعض أرقامها وتواريخها، التي فرغت كتابة داخل تراث الشيخ العلمي والفكري.	10



الحقوق محفوظة لهذه الطبعة لصالح

لمؤسسة إبداع للأبحاث والدراسات والتدريب
لا يجوز طبعه أو نشره الكترومياً إلا بعد الرجوع للمؤسسة والمؤلف
فلسطين - غزة - شارع الوحدة

بجوار برج شوا وحصري ص.ب. 5087

Telefax: 00970 8 2842211

E-mail: cct@creativity.ps

Web: www.creativity.ps

2012م - 1433هـ

قالوا...

عندما يتكلم عزام فإنه يظهر بطبيعة قوية كطبيعة الموج في المد المرتفع، فليس في داخله إلا قلب غير هيباب، إن قانونه هو الثبات والاستقرار والتوازن والقصد. يقينه بأن اللذة ليست في الراحة والفراغ وإنما في مواصلة الجهاد وإقامة دين الله على الأرض في التعب والكدح والمشقة.

الدكتور الشهيد

عبدالله يوسف عزام

شيخ الذي عرفت



للبحاث والدراسات والتدريب
www.creativity.ps